

الولاية التكوينية

للنبي والأئمة

تأليف

آية الله الحاج الشيخ علي النمازي الشاهرودي (دام)



وَمِنْ عَمَلِهِ سَمْعُكُمْ وَأَبْصَارُكُمْ



شركة الأمل للطباعة
بيروت - لبنان

ترجمة وتحقيق
محمد جعفر المدرسي

الولاية التكوينية
للنبي ﷺ والأئمة عليهم السلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الولاية التكوينية للنبي ﷺ والأئمة عليهم السلام

تأليف

آية الله الحاج الشيخ علي النمازي الشاهرودي (قدس سره)

ترجمة وتحقيق

محمد جعفر المدرّسي

منشورات

مؤسسة الأعلی للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص.ب. ٧١٢٠

ترجمة المؤلف

وُلد سماحة آية الله الحاج الشيخ علي النمازي (المؤلف) سنة ١٤٠٥ هـ. ق/١٩٢٦م)، وهو من أبرز فقهاء ومحدّثي عصرنا الحاضر، في مدينة شاهرود الإيرانية.

درس فيها مقدّمات الدروس الحوزويّة، من الأدب العربي، والفقه، والأصول لدى والده المعظّم العالم الربّاني الحاج الشيخ محمد النمازي وغيره من الأساتذة، ثم هاجر إلى مشهد الإمام الرضا - عليه آلاف التحية والسلام - لمواصلة دراسته الحوزويّة فيها وحضر عند الأستاذ العلامة الفذ آية الله الميرزا مهدي الإصفهاني - (١٣٦٥ هـ. ق) أعلى الله مقامه - وتلمذ على يديه الفقه، والأصول، والمعارف حتى نال درجة الاجتهاد.

كان، رحمه الله، يرى أنّ الطريق الوحيد والسليم للوصول إلى العقائد الحقّة هو التمسك العلمي والعملّي بالقرآن الكريم والعترة الطاهرة. من هنا، كان حافظاً للقرآن ومتتبّعاً للأحاديث الشريفة حتى عدّ على حدّ تعبير آية الله العظمى السيّد المرعشي النجفي (مجلسي عصرنا) لكثرة تتبعه وإخلاصه في هذا المجال.

خلّد تراثاً علمياً ضخماً ومنه هذا الكتاب الذي بين يديك «الولاية التكوينية للنبي ﷺ والأئمة ﷺ»، حيث أثبت فيه المؤلف ولاية النبي

وأهل بيته (عليه وعليهم الصلاة والسلام) التكوينية في أربعة عشر فصلاً مستنداً بالأحاديث المعتبرة، ثم ناقش الشبهات التي أثارها المخالفون والذين في قلوبهم مرض حول الولاية، وأجاب عن بعض الأسئلة التي عرضت على هامش البحث.

في وجوب التمسك بالثقلين (الكتاب والعترة)

حديثنا في هذا الكتاب للذين يؤمنون بالقرآن الكريم ويصدقون برسالة النبي الأعظم ﷺ وخلفائه وأوصيائه الأئمة الإثني عشر ﷺ. فمن الواجب على كل مؤمن أن يأخذ عقائد دينه من القرآن الكريم بضميمة تفسير العترة الطاهرة المودع عندهم علم الكتاب، فيرجع في جميع أمور دينه من أصوله إلى فروعه إلى هذا النبع الصافي الزلال (القرآن والعترة) ويحتكم في عقائده وبإستمرار إلى هذين النبعين النقيين كما ورد في الخبر المتواتر بين المسلمين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»^(١).

وهذه الرواية نقلها علماء الشيعة والسنة ما تجاوز حدّ التواتر وقد أوردت في كتابي المسمى مقام القرآن^(٢) أسماء بعض من ذكر هذا

(١) بحار الأنوار، ج ٢، ص ١٠٠، ح ٥٩ (باب ١٤ من يجوز أخذ العلم منه . . .).

(٢) مقام القرآن والعترة، ص ١٥ - ١٧.

الحديث من كتب العامة والخاصة، وهنا أكتفي بذكر روايتين ذكرتا في كتاب «التاج الجامع» لأصول العامة الستة الموثوق لدى جميع أهل السنة عن رسول الله ﷺ قال: «إني تارك فيكم ما إن تمسكنم به لن تضلوا بعدي. أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبلٌ ممدودٌ من السماء إلى الأرض، وعترتي أهلُ بيتي ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما»^(١).

رواه مسلم^(٢) والترمذي^(٣) في كتابيهما.

وفيه بسند آخر عن النبي ﷺ في خطبته:

«وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به»^(٤)

ثم قال: وأهلُ بيتي أذكركم الله في أهل بيتي.

وفي الختام ذكر مصنف (التاج) أن أهل البيت هم أهل النبي الذين حرمت عليهم الصدقة.

(١) التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول، ج ١، ص ٤٧ باب ٤ من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، ص ١٢٠٠، ح ٢٤٠٨، باب ٤ من فضائل علي ابن أبي طالب - رضي الله عنه -.

(٣) الجامع الصحيح سنن الترمذي، ص ٩٢٢، ح ٣٧٩٧ (باب ٣٢ في مناقب أهل بيت النبي ﷺ).

(٤) التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول، ج ٣، ص ٣٣٠ - ٣٦٠، كتاب فضائل ومناقب علي بن أبي طالب وأهل البيت ﷺ والسيدة فاطمة الزهراء.

في وجوب التمسك بالثقلين (الكتاب والعترة) ٩

وذكر في كتاب احقاق الحق طرق العامة إلى هذا الحديث (الثقلين) وأورد مصادرها ومواضعها^(١).

وأورد العلامة المعاصر نجم الدين العسكري في كتابه^(٢) في «حديث الثقلين» أكثر من ١٥٠ رواية من طرق علماء العامة عن رسول الله ﷺ مع ذكر مصادرها.

وبهذا النحو في كتاب فضائل الخمسة^(٣) وقد تضمن عدة روايات في حديث الثقلين.

استنتاجات حديث الثقلين

يعتبر حديث الثقلين من أصح الأحاديث سنداً ودلالةً وهو حديث متواتر متفق على صحته بين المسلمين ويدل على أن العترة أفضل وأشرف الناس بعد رسول الله ﷺ لأن النبي ﷺ قد إليهم أرجع الناس جميعاً ولم يرجع إلى أحد من الناس واحداً من أهل بيته؛ فالناس بحاجة إليهم ولكنهم ليسوا بحاجة إلى الناس.

كما أن هذا الحديث يدل على:

أن العترة معصومون عن الخطأ والكفر والشرك، وأن لديهم جميع علوم القرآن، وأن خلافتهم لرسول الله هي خلافة من الله ورسوله، وأن الإمامة الإلهية منحصرة فيهم، وكذا الهداية الربانية في التمسك بهم، ولا

(١) إحقاق الحق، ج ٤، ص ٤٣٦ - ٤٤٣ وكذا في ج ٦، ص ٣٤١ - ٣٤٤ وج ٧، ص ٧٢٢ وج ٩، ص ٣٠٩ - ٣٧٥.

(٢) محمّد ﷺ وعليّ وبنوه الأوصياء، ص ١١٧.

(٣) فضائل الخمسة من الصحاح الستة، ج ٢، ص ٥٢ - ٦٣.

تخلو الأرض منهم ومن عدلهم القرآن الى يوم القيامة. وإليك تفصيل هذه الدلالات.

الدلالة الأولى: أهل البيت أفضل الناس وأشرفهم بعد النبي

جعل النبي ﷺ كلاً من الكتاب والعتره قرنين وعدلين، فقال: إنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض. وجعل التمسك بهما أماناً من ضلالة الأمة، فلو كان في الأمة شخص أو مجموعة في مقام العتره أو أفضل منهما، لما أمر النبي ﷺ بالتمسك بالعتره بشكل خاص بل لأمر العتره باتباع ذلك الشخص أو أولئك الأشخاص.

الدلالة الثانية: أهل البيت ملاذ الأمة

أرجع رسول الله ﷺ الأمة كلها إلى أهل البيت كما أرجع الأمة أيضاً إلى القرآن الكريم، أي جعلهم قرائن القرآن؛ فهم القرآن في مقام واحد من حيث وجوب الإتيان وعدم المخالفة. وذلك بدلالة قوله ﷺ: «لن يفترقا» أي أنّ القرآن لن يفترق عنهم، وأهل البيت لن يفترقوا عن القرآن.

فالأول: (أي: عدم افتراق القرآن عن أهل البيت ﷺ) يدلّ على أن جميع أفراد الأمة بمختلف طبقاتهم وأصنافهم محتاجون إلى العتره.

أما الثاني: (أي: عدم افتراق العتره عن القرآن) فإنه يدلّ على أنّ أهل البيت لا يحتاجون إلى أحد من الناس. وذلك لأنّ كلّ الناس محتاجون إلى القرآن وعلمه لكي يفهموا أحكام الدين ووظائفهم الدينية،

وكيفية القضاء ورفع النزاع، وإصلاح الأمة ورفع الشبهات، ومعرفة حقوق بعضهم على بعض، وإصلاح أمور المعاش والمعاد وطرق التقرب إلى الله عز وجل وبشكل عام في جميع شؤون دينهم ودنياهم.

ولأن القرآن لن يفترق عن العترة، فالناس جميعاً بحاجة إلى العترة. وبما أن القرآن الكريم جامع لكافة ما يحتاج إليه الخلق، ولكنه بصريح بيانه، فيه محكم ومتشابه، وبصريح الروايات المتواترة،^(١) فيه ذكر هر وباطن إلى سبعين بطناً، ولا ترفع محكمات القرآن جميع حاجات الناس ولا سبيل لهم إلى تفسيره وتأويل متشابهاته واستخراج العلوم من بطنه إلا بالرجوع إلى من اختاره الله لعلم القرآن وأشار إليه في آخر سورة الرعد^(٢).

(١) موارد هذه الروايات كثيرة. منها: في مقدمة تفسير العياشي، ج ١، ص ١٣ نقل ٧ روايات كما ذكر عدداً من هذه الروايات العلامة السيد هاشم البحراني في مقدمة تفسير البرهان، ج ١، ص ١٥٣.

وفي بحار الأنوار، ج ٩٢، ص ٧٨ - ١٠٦ جعل العلامة المجلسي عنواناً مستقلاً بعنوان باب (أن للقرآن ظهراً وبطناً وأن علم كل شيء في القرآن وأن علم ذلك كله عند الأئمة عليهم السلام ولا يعلمه غيرهم إلا بتعليمهم) ثم ذكر تلك الأخبار متجاوزة عن ٨٠ رواية.

وفي الوسائل للشيخ الحر العاملي ذكر ٨٠ رواية في نفس الموضوع. وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ١٧٦ (باب ١٣) عدم جواز استنباط الأحكام من ظواهر القرآن، إلا بعد معرفة تفسيرها من الأئمة عليهم السلام.

وفي مستدرک الوسائل ذكر ٣٥ رواية، ج ١٧، ص ٣٢٥.

(٢) الآية ٤٣ من سورة الرعد: ﴿قُلْ كُنْ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدُ عِلْمِ الْكِتَابِ﴾ وقد ورد في الأحاديث أن تأويلها علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولأنّ النَّبِيَّ ﷺ أخبر الناس بأنّ القرآن لن يفترق عن العترة، والعترة لن تفترق عن القرآن، فكلّ من يحتاج إلى القرآن - وليس هنالك من لا يحتاج إليه - فهو محتاج إلى العترة الطاهرة، وهم وحدهم يعلمون جميع علوم القرآن، لأنّهم إذا لم يكونوا كذلك لافترقوا عنه في ما لم يعلموه منه. ولأنّهم لن يفترقوا عن القرآن، فلا يكون هنالك شيء لا يعلمونه.

فثبت لمن حدّثه عقله أنّ الناس كما أنّهم بحاجة دائمة إلى علوم القرآن الكريم، فهم أيضاً بحاجة دائمة إلى العترة الطاهرة. ولأنّ العترة وعت جميع علوم القرآن، فهي غير محتاجة إلى أحد قطّ.

وواضح أنّه لو كان هنالك أحد من الأمة - سوى العترة الطاهرة - محيطاً بجميع علوم القرآن، لوجب أن يذكره النَّبِيُّ ﷺ ويجعله قريناً لعترة ولأمر بالتمسك به ولاستثناء من أتباع أهل البيت لعدم احتياجه إليهم.

وبما أنّه ﷺ أمر جميع الأمة بالتمسك بأهل البيت ولم يستثن من ذلك أحداً، فلن تبقى شبهة لذوي الألباب في أنّ الجميع محتاجون إليهم، وأنّه ليس هنالك أحد من أفراد الأمة عالم بجميع علوم القرآن سواهم. فلو كان لأحد منهم عالم بجميع علوم القرآن لاستغنى عن العترة.

الدلالة الثالثة: عصمة أهل البيت عليهم السّلام عن الذنب والخطأ
أخبر النَّبِيُّ ﷺ بأنّ العترة لن تفترق عن القرآن، وأنّ في التمسك بهم مأناً من الإنحراف والضلالة..

فلم يكن بدّ إلاّ أن يكونوا معصومين عن الخطأ والمعصية والغبي والسهو... فلو لم يكونوا كذلك، وكانت لهم أخطاء ومعاص، لافترقوا

عن القرآن في ذلك الموضع ، ولما كان في اتباعهم نجاه من الضلالة مطلقاً ، ولما كان الشخص مصوناً من الانحراف والخطأ ، كما أنّ عدلهم (أي : القرآن) معصوم من الخطأ ، ولكي يضمن المرء أنه في مأمن من الضلالة في التمسك بهما .

الدلالة الرابعة لجميع القرآن لدى العتره

ظهر ممّا مرّ في الدلالة الثانية أنّ اقتران العتره بالكتاب دليل على أن لديهم جميع علوم القرآن ، ذلك لأنهم لو لم يحيطوا بجميعها علماً ، لا فترقوا عنه في ما يجهلون ، لأنّ الجاهل بالشّيء منفصل عمّا يجهل ، وهذا أمر بديهي .

ولو افترضنا أنّهم لا يعلمون بعضه ، لما كان التمسك بهم سبباً للأمن من الضلالة . فالمرء - في هذه الصورة - عندما يرجع إلى العتره في أمر من أموره لا يأمن من السقوط في الخطأ المؤدي إلى الضلالة والانحراف ، إذ أن احتمال جهلهم ذلك الموضوع وارد في كلّ حين ، وهذا ينافي قول النبي ﷺ : لن تضلّوا بعدي أبداً .

الدلالة الخامسة: أهل البيت: خلفاء الله ورسوله

يدلّ هذا الحديث على أنّ الإمامة والولاية والخلافة لدى أهل البيت ﷺ من الله ورسوله ، ويمكن الاستدلال على ذلك بالنحو التالي : جعل النبي ﷺ في كلامه الشريف عترته (أهل بيته) قرائن القرآن وفي محلّ وجوب التمسك بهم لرفع ضلالة الأمة والشك والريبة وجعل هداية الأمة وعدم انحرافها فرعاً لتمسكها بهذين الأصلين .

لقد ورد في بعض نصوص حديث الثقلين ، ما هذا نصّه (إني

مُستخلف فيكم خليفتين، كتاب الله وعترتي^(١). . . ولأن العترة الطاهرة ليست بحاجة إلى أحد - ما داموا لا يفترون عن القرآن -، والناس بحاجة إليهم - لتجنب الضلالة - (كما مرّ شرحه) فالعقل يحكم بوجود كون أهل البيت أئمة وقدوة للناس كما قال أحدهم في أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام (استغناؤه عن الكلّ، واحتياج الكلّ إليه دليل على أنّه إمام الكل)^(٢).

ولأنّ أهل البيت عليهم السلام هم وحدهم مراجع جميع أفراد الأمة إلى يوم القيامة، فيجب أن تكون جميع حاجات الأمة في حوزتهم، وهذه العلوم مختصة بهم لعدم دخول أحد من الناس ضمن تعريف (أهل بيت النبي وعترته) فالكلّ محتاج إليهم وهم ليسوا بحاجة إلى أحد، ولذلك هم المختصون لقيادة الأمة وللإمامة على جميع الخلق، لأنّ المحتاج إلى غيره والجاهل لا يكون إماماً للأمة، والجاهل لا يُقدّم على العالم حتّى بعد رفع جهله وحاجته بعد رجوعه إلى العالم والتعلّم لديه.

هل يمكن لمجتهد عالم يفتي الناس ويبيّن لهم أحكام دينهم بعد أن يفتي في مسألة ما ويبيّن للمقلد الذي رجع إليه تكليفه الشرعي هل يمكن له أن يتبع ويقلّد ذلك المقلّد؟!!

الأمر الآخر الذي لا بد من الالتفات إليه هو أن الله تعالى قسّم آيات القرآن إلى محكم ومتشابه، وهذا دليل أن الله خصّ قوماً علّمهم القرآن

(١) بحار الأنوار، ج ٥، ص ٢١، ح ٣٠ (باب ١ من أبواب العدل).

(٢) الخليل بن أحمد البصري المتوفى سنة ١٧٥ هـ. ق. واضع علم العروض ومعلّم سيويه. (المترجم).

ليبينوه للناس، ولولا هؤلاء لتحير الناس في القرآن ولانتهضت الحكمة في الكتاب الذي أنزل لهداية الناس؛ من هنا امتاز أهل العلم بالقرآن عن غيرهم من الناس.

وقد قرن الله في آخر سورة الرعد شهادة ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ الْكِتَابِ﴾ على صدق دعوى النبي بشهادته كما ورد ذلك في روايات عديدة أن ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ الْكِتَابِ﴾^(١) هم عترة النبي ﷺ. (للتفصيل راجع كتاب مقام القرآن والعترة^(٢) للمصنف).

الدلالة السادسة: أهل البيت والإمامة الإلهية

إن الإمامة والخلافة الإلهية منحصرة بالعترة الطاهرة وذلك لقول النبي ﷺ: «لن يفرقا»، أي إن القرآن لن يفرق عن أهل البيت وهم أيضاً لن يفرقوا عن القرآن أبداً. وهذا يدل على أن غير العترة محتاج اليهم كما أنه محتاج إلى القرآن، فلا يمكن لأحد آخر أن يكون خليفة وإماماً، فلو كان، لما احتاج إلى العترة.

الدلالة السابعة: أهل البيت طريق الهداية الإلهية

إن طريق الهداية والسعادة الأبدية منحصر بالتمسك بالعترة الطاهرة بدلالة قول النبي ﷺ: «ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً»، فالهداية منحصرة بهذين الثقلين، ولن تكون الأمة في مأمن من الضلالة والضياع إلا بالتشبث بالقرآن والعترة. فبعد أن ثبت أن السعادة تكمن في

(١) سورة الرعد، الآية ٤٣.

(٢) للتفصيل راجع مقام القرآن والعترة، ص ٣٧.

اتباع القرآن، وأن علم القرآن موجود لدى العترة الطاهرة وأنهما لن يفترقا أبداً، أصبح من الضروري أن نتمسك بأهل البيت عليهم السلام من أجل نبيل السعادة وتجنب الشقاء. فلو وُجدت السعادة عند غير العترة، لافترق القرآن عنهم والتحق بغيرهم، وهذا مخالف لمقالة الرسول الأعظم عليه السلام.

الدلالة الثامنة: وجود العترة والقرآن معاً في كل زمان

يدلّ هذا الحديث النبويّ بوضوح على أنّ الأرض لن تخلو من العترة الهادية ولن تخلو من القرآن الكريم إلى يوم القيامة، وذلك لقوله عليه السلام (وإنهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض . .) فلو خلت الأرض من أحدهما لافترقا من بعضهما وهذا يناقض قول الصادق المصدق عليه السلام. وكذلك لأنّ صيانة الخلق من الضلالة والانحراف إنّما هي باتباع الثقلين، فما دام الخلق مأمورين بأداء الواجبات وإتيان التكاليف، ينبغي أن يبقى الثقلان - القرآن والعترة - موجودين على وجه الأرض وذلك لإتمام الحجّة. فالعترة ملازمة للقرآن والقرآن ملازم للعترة. ومادام القرآن موجوداً، فالعترة موجودة أيضاً إلى يوم القيامة.

ولا منافاة بين غيبة الإمام المهدي المنتظر «عج» وبين إمامته ووجوده بين الأمة؛ فقد ردّ رسول الله عليه السلام على هذه الشبهة بقوله: أمّا وجه الانتفاع به في غيبته فكالاتّفاع بالشّمس إذا غيّبها عن الأبصار السحاب^(١).

من هنا، يعدّ هذا الحديث من الكلمات الجامعة المنقولة عن رسول الله عليه السلام لاحتوائه على فضائل جمّة في العترة الطاهرة.

(١) بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٩٢، ح ٧ (باب ٢٠ علّة الغيبة وكيفية انتفاع الناس به عليه السلام).

من هم المعنّيون بالعتره؟

المقصود بالعتره هم أهل بيت النبي ﷺ الأئمة المعصومون من أولاد الإمام الحسين ﷺ ويدل على ذلك .

أولاً: كلمات أهل اللغة؛ فالعتره هم ولد الرجل وذريته .

ثانياً: كلمات رسول الله ﷺ في كثير من هذه الروايات حيث قال (وَعِثْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي) .

ثالثاً: ذكر أوصاف ونعوت في العتره لا تنطبق على غير الأئمة الإثني عشر ﷺ منها: العصمة من الذنب^(١)، علم جميع القرآن عندهم وأنهم لا ينفصلون عنه^(٢)، التمسك بهم يوجب الصون من الضلالة^(٣)، مثلهم كمثل سفينة نوح^(٤)، وغيرها من النصوص مما اتفق عليها العامة والخاصة^(٥) وهي لا تنطبق على سواهم .

الأخبار الواردة في معرفة العتره

لا بأس هنا بذكر الروايات الواردة عن الله ورسوله في ذكر مصداق

(١) الكافي، ج ١، ص ١٩١، ح ٥: «إن الله تبارك وتعالى طهرنا وعصمنا و...»؛ مستدرک سفينة البحار، ج ٧، ص ٢٥٧ .

(٢) الكافي، ج ١، ص ٢٢٨، وهي روايات كثيرة وردت في ذيل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدُ عَلَّمَ الْكِتَابِ﴾ وج ١، ص ٢١٣ في ذيل قوله تعالى: ﴿الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ أنها نزلت في أئمة أهل البيت ﷺ .

(٣) الكافي، ج ١، ص ٢٠٣، ح ١ (باب ٧١) . «فهو معصوم مؤيد، موفق مسدّد، قد أمن من الخطايا والزلل والعتار...» .

(٤) الأمالي للطوسي، ص ٦٠، ح ٥٧: «قال رسول الله: إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق...» .

(٥) راجع فضائل الخمسة من الصحاح الستة .

العترة، وأسمائهم، وفضائلهم، ومناقبهم.

اعلم أنها متواترة تصل إلى الألوف. وفي ما يلي أسماء علماء ذكروا هذه الروايات في كتبهم:

- الكليني في الكافي ذكر ما يقارب ١٥ رواية فيها تصريح من الله ورسوله على وجود أسماء، ومناقب، وفضائل العترة الطاهرة^(١).

- المجلسي في البحار^(٢) ذكر ٢٢ حديثاً قدسياً كلها معتبرة وصحيحة.

وأما الروايات الواردة عن رسول الله ﷺ فتقسم إلى قسمين:

القسم الأول قوله: «خلفائي وأوصيائي اثنا عشر»

فقد ذكر الشيخ الصدوق في الخصال ٤٦ رواية من طرق أهل السنة بهذا المضمون^(٣).

وذكر الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة ١٠ روايات من طرق العامة وقال روايات الشيعة لا تحصى كثرة^(٤).

وعن الشيخ النعماني في كتاب الغيبة ٣٠ رواية^(٥).

ونقل عن العلامة السيد هاشم البحراني صاحب تفسير البرهان في

(١) الكافي، ج ١، ص ٢٨٦ باب: (ما نصّ الله عزّ وجلّ ورسوله على الأئمة ﷺ واحداً فواحداً).

(٢) ج ٣٦، ص ١٩٢، باب ٤٠.

(٣) الخصال، ص ٤٦٦ (أبواب الاثني عشر).

(٤) الغيبة، للشيخ الطوسي، ص ١٢٧ - ١٣٧ روايات العامة في أن الأئمة ﷺ إثني عشر.

(٥) الغيبة (لأحمد بن إبراهيم النعماني)، ص ٥٣ (الباب الرابع).

في وجوب التمسك بالثقلين (الكتاب والعترة) ١٩

كتاب الإنصاف ٣ روايات من صحيح البخاري، ٩ من صحيح مسلم، ٨ من الحميدي في الجمع بين الصحيحين، من ابن بطريق في كتاب العمدة من ٢٠ طريق ومن غيرهم من علماء العامة عن النبي ﷺ أنه قال: الخلفاء من بعدي اثنا عشر^(١). ومن الواضح عدم إنطباق هذا العدد على سوى أئمة أهل البيت ﷺ.

القسم الثاني: الروايات الواردة عن النبي ﷺ وفيها أسماء العترة وأنهم اثنا عشر إماماً، وهم خلفاؤه وأوصياؤه، وفيه ذكر فضائلهم ومناقبهم.

أخرج الكليني في هذا الخصوص عشر روايات.

وذكر الشيخ الصدوق في كتاب العيون باب ٦ ما يتجاوز عن ٣٠ رواية^(٢).

وعن الطوسي في كتاب الغيبة ١٥ رواية، والنعماني في كتاب الغيبة ٣٠ رواية بهذا المضمون.

وجمع العالم الكامل والثقة الجليل علي بن محمد الخزّاز، في كتاب كفاية الأثر أكثر من ٢٠٠ رواية نصّ فيها النبي ﷺ وصرّح بالأئمة الإثني عشر ﷺ وذكر فضائلهم ومناقبهم^(٣).

وفي كتاب الإنصاف ذكر السيد ٣٢٦ رواية عن النبي ﷺ نص فيها

(١) الانصاف في النص على الأئمة الإثني عشر الأشراف.

(٢) عيون أخبار الرضا ﷺ، ج ١، ص ٤٠ (باب ٦ النصوص على الرضا ﷺ بالإمامة في جملة الأئمة الإثني عشر ﷺ).

(٣) كفاية الأثر في النص على الأئمة الأثني عشر.

بالإسم على كل واحد من الأئمة مع ذكر فضائلهم ومناقبهم، ثم شرع بذكر الروايات الواردة بأسانيد أهل السنة حيث اكتفى بذكر ٤٠ رواية^(١).

واكتفى العلامة المجلسي في البحار^(٢) باب نص النبي على الأئمة بذكر ٢٤٠ رواية، وفيه^(٣) أيضاً ذكر روايات عن جابر بن عبد الله الأنصاري في هذا الخصوص عن النبي ﷺ.

ونقل الصدوق في كمال الدين باب ٢٤ هذه الروايات حيث بلغ جمعها ٣٧ رواية و في الموضوع نفسه في أبواب الأحاديث نقل ١٨٩ رواية صحيحة ومعتبرة عن الله والنبي ﷺ والأئمة الأطهار في ذلك^(٤).

في كتاب مدينة المعاجز لمؤلفه العلامة السيد هاشم البحراني، بلغت روايات معاجز الأئمة ٢٠٦٦ رواية منها ٦٥٠ في إخباراتهم بالغيب^(٥).

وذكر العلامة الشيخ الحرّ العاملي (صاحب وسائل الشيعة) في كتابه إثبات الهداة، ١٩٠٧ روايات في معاجز الأئمة^(٦) و ٧٢٠^(٧) رواية في

(١) الإنصاف، ص ٥٣٩ - ٥٦٣ (فصل في جملة ممّا جاء من طريق المخالفين أن الأئمة إثنا عشر من رسول الله ﷺ).

(٢) بحار الأنوار، ج ٣٦، ص ٢٢٦ (باب ٤١).

(٣) بحار الأنوار، ج ٤٦، ص ٢٢٣ (باب ٣).

(٤) كمال الدين وتمام النعمة، ج ١، ص ٤٨٢ (باب ٢٤).

(٥) مدينة المعاجز للأئمة الإثني عشر ودلائل الحجج على البشر.

(٦) إثبات الهداة، ج ٥، ص ٢ (باب ١١)؛ وص ١٤٣ (باب ١٣)؛ وص ١٧٤ (باب ١٥)؛

وص ٢١٧ (باب ١٧)؛ وص ٢٦٦ (باب ١٩)؛ وص ٣٣١ (باب ٢١)؛ وص ٤٩٤

(باب ٢٣)؛ وج ٦، ص ٣١ (باب ٢٥)؛ وص ١٦٦ (باب ٢٧)؛ وص ٢١١ (باب

٢٩)؛ وص ٢٧٩ (باب ٣١) وج ٧، ص ٢٧٠ (باب ٣٣).

(٧) إثبات الهداة، ج ١، ص ٤٠٣ إلى ٦٠٨، ج ٢، ص ١ إلى ص ١٩٦.

معاجز النبي ﷺ وذكر في الباب^(١) (٩) ٩٢٧ رواية بالإجمال والتفصيل في إمامة وخلافة وعصمة الأئمة الإثني عشر، وما ذكره من أسانيد أهل السنة في هذا الباب بلغت ٢٧٨ رواية.

وفيه في الباب العاشر من الكتاب ذكر النصوص الواردة في إمامة وخلافة علي بن أبي طالب وقد تجاوزت ١٠١٩ رواية، منها ٥٥١ رواية من طرق العامة. أمّا الروايات الواردة في حكم النص على هذا الموضوع فهي ٣٢٦ رواية. والنصوص الواردة عن كل واحد من الأئمة ﷺ في إمامته ووصيته للإمام من بعده فقد بلغت ١٣٠٩ روايات (ذكرتها بالتفصيل في كتاب أصول الدين)^(٢).

مفاسد تفسير القرآن من دون الرجوع إلى العترة الطاهرة

بناء على ما مرّ، فإن كلّ أمر - سواء ارتبط بالأمر التكويني أو غيرها من الأمور - ثبتت صحته في آيات القرآن إذا انضم إليها تفسير العترة الطاهرة، يجب على جميع المؤمنين القبول والاعتقاد به، ويحرم عليهم رده أو الإعراض عنه.

كما لا يجوز التمسك بأحكام القرآن عامّة أو مطلقه لإثبات شيء من دون الرجوع إلى النبي ﷺ والإمام ﷺ، والموارد التي ستتطرق إليها في ما يلي شواهد تدلّ على المدّعى المذكور:

فالذين يتمسكون بظواهر الآيات المتشابهة ويدعون رؤية الله في يوم القيامة - كما يقول به بعض من يخالف مذهب أهل البيت ﷺ من

(١) إثبات الهداة، ج ٢، ص ٢٤٤.

(٢) للتفصيل راجع كتاب أصول الدين، ص ٣٣.

المسلمين - أو الذين يحتجّون بمتشابه القرآن ويقولون بالتجسيم وأن الله أعضاء وجوارح،^(١) أو أن الأنبياء مشركون وتصدر منهم المعاصي، ويستدلون على ذلك بآيات من القرآن^(٢). أو يثبتون الجبر وحتّهم في ذلك بعض الآيات المتشابهة،^(٣) أو ينكرون علم الغيب لدى النبي الأعظم ﷺ والإمام المعصوم ﷺ مستدلّين على ذلك بظواهر الآيات^(٤) أو يثبتون التناقض والاختلاف في القرآن الكريم تمسكاً بظاهر بعض الآيات كما قد اتفق ذلك في أيام أمير المؤمنين ﷺ في خبر من ادعى التناقض في القرآن وأجوبة الإمام في ذلك^(٥). وقد اتفق ذلك في أيام

(١) يذكر أحمد بن محمد بن مظفر الرازي من علماء أهل السنة في القرن السابع في كتابه «حجج القرآن»، ص ٦٩ (باب ١٥) الآيات التي تستدل بها كل فرقة من فرق المسلمين لتأييد مذهبها منها الفرقة التي تؤمن بروية الله ودليها في ذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَنْذِرُ نَارُهُ أَكْثَرُ نَارٍ﴾ الآية ٢٢ - ٢٣، وفي المقابل احتجت الفرقة النافية لرؤية الله تعالى بقوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ﴾ سورة الأنعام، الآية ١٠٣، وقوله: ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾ سورة الأعراف، الآية ١٤٣، مثال آخر: الفرقة المجسمة استدلت للتجسيم بالآيات الشاملة لألفاظ مثل «يد، عين، وجه» وفي المقابل احتج النافون للتجسيم بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

(٢) وقد سأل المأمون الرضا ﷺ عن هذه الآيات ففي البحار، ج ٥، ص ٤٩، ح ٨٠.
(٣) التفسير الكبير، ج ٢، ص ٤٣ ولو رجعنا إلى سائر الآيات القرآنية والروايات الواردة في تفسير هذه الآيات المدعى بأنها تؤيد مذهب الجبر لاتضح منها بطلان الجبر على عكس ما أدعى.

(٤) لقد فضلنا الكلام في كتابنا مقام القرآن والعترة، ص ١٤٤ وفي رسالة إثبات علم الغيب، ص ١٢١ وذكرنا الآيات والروايات المتواترة المثبتة لعلمهم بالغيب.

(٥) نقلها الطبرسي في كتاب الاحتجاج، ج ١، ص ٥٦١، ح ١٣٧، احتجاجه على زنديق جاء مستدلاً عليه بأي من القرآن... والصدوق في كتاب التوحيد، ص ٢٥٥، ح ٥، =

الإمام العسكري عليه السلام حيث أخذ إسحاق الكندي فيلسوف العراق في زمن الإمام في تأليف كتاب (تناقض القرآن)، فردعه الإمام عن ذلك وأثبت خطأه، فعمد إلى كتبه وأحرقها^(١).

أو يؤمن بهذه الآية من سورة البراءة ﴿وَمَنْ أَهْلَ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَىٰ النَّفَقِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢) ويقول بأن النبي كان يجهل جيرانه ولا يعرف المنافق من المؤمن والقرآن يصرح ويقول: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا بِمَا يَرَىٰ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^(٣).

فكيف يعقل أن يرى النبي عليه السلام ويطلع على أعمال العباد ولا يعلم بهم؟

لا يصح أن نتمسك بجملة من الآيات المتشابهة ونثبت - معاذ الله - الجهل أو المعصية للنبي عليه السلام، كما لا يصح أن نرد الآيات المحكمة الواردة في علم وكمالات النبي وأئمة أهل البيت عليه السلام التي تثبت لهم العلم والقدرة وندعي بأنها موضوعة.

وقد يصل الأمر إلى البعض حيث يضعف الأجوبة التي طرحها الإمام في رد ذلك الزنديق الذي أتى أمير المؤمنين يسأله عن الآيات التي

= باب ٣٦. وقد مرّ ذكر هذه الرواية بالتفصيل في كتاب القرآن باب ضرب القرآن

بعضه ببعض من بحار الأنوار، ج ٩٣، ص ٩٨، ح ١ (باب ١٢٩).

(١) ابن شهر آشوب في المناقب (باب تاريخ الإمام الحسن العسكري عليه السلام)، ج ٤، ص ٤٥٧؛ وفي بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٣١١، ح ٩، (باب ٢٨ من ...).

(٢) سورة التوبة، الآية ١٠١.

(٣) سورة التوبة، الآية ١٠٥، - المراد بالمؤمنين في هذه الآية الشريفة أئمة أهل البيت عليه السلام

كما مرّ ذلك بالتفصيل في كتاب مقام القرآن والعترة، وكتاب علم الغيب، ص ٩٣.

تشابهت عليه . فيضل ويضلل الآخرين معه، فلا بد من حمل متشابهات الكتاب على محكماته كما صنع ذلك الإمام الرضا عليه السلام ^(١).

من باب المثال لابد أن نجمع بين الآيتين في قوله تعالى: ﴿فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ فنقول لا تعلمهم لنفي العلم الذاتي عن الرسول، ويعلمهم بإظهار الله تعالى له ذلك.

وهل من الصحيح أن يكون النبي صلى الله عليه وآله الذي رأى ملكوت السماوات والأرض جاهلاً بأهل المدينة الذين يسكنون من حوله أو دعوى إنكار حصول الرؤية للنبي صلى الله عليه وآله وإثباته للنبي إبراهيم عليه السلام ^(٢).

كذلك من يتمسك بظاهر قوله تعالى في سورة النساء، الآية ٣ في جواز تعدد الزوجات مشروطاً بالعدالة وظاهر قوله تعالى في نفس السورة، الآية ١٢٩ في عدم التمكن من ذلك، فيستنتج من ذلك ويستدل على أن القرآن يجوز التعدد في الزوجات ولكنه يجعل شرطاً غير مقدور عليه للمكلف في ذلك.

وقد جرى مثل هذا التفسير بالرأي لابن أبي العوجاء الذي فهم التناقض من القرآن، فسأل هشام بن الحكم في ذلك فلم يكن عنده جوابه، فرحل إلى المدينة إلى أبي عبد الله عليه السلام فأخبره بالقصة، فقال أبو

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ٢٩٠، ح ٣٩ (باب ٢٧).

(٢) قال تعالى عن رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿سَيَحْنُ الَّذِي أَتَى بِعَبْدِهِ لِيَأْتِيَكَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ مَبْنِئِنَّا إِنَّهُ هُوَ السَّيِّعُ الْبَصِيرُ﴾ الإسراء، الآية ١. وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ سورة الأنعام، الآية ٧٥، المترجم.

عبد الله ﷺ: أما قوله عز وجل ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ فَإِنَّ خِفَتُمْ أَلَآ تَمْلِكُوا فُوجَهَةً﴾^(١) يعني في النفقة. وأما قوله ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَمْلِكُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾^(٢) يعني في المودة^(٣).

وجوب الرجوع إلى العترة في تفسير آيات القرآن

ظهر من البحوث السابقة أن جميع علوم القرآن مودعة عند رسول الله ﷺ وأئمة أهل البيت ﷺ وهم العترة الطاهرة، ولا بد من الرجوع إلى النبي والإمام لكشف علوم القرآن ومعرفة مرادات الله عز وجل. من هنا، لا يمكن للناس الاهتداء بالقرآن من دون الرجوع إلى بيان وتفسير العترة الطاهرة، ومن رام ذلك من دون بيانها، فقد ضلّ ضلالاً مبيناً.

وأما مقولة «حسبنا كتاب الله»^(٤)، فهي خلاف صريح قول النبي ﷺ في حديث الثقلين «أنهما (أي: القرآن والعترة) لن يفترقا». وهكذا، فإن القرآن يهدي الناس إلى النبي والإمام، كما أن النبي والإمام يهديان الناس إلى القرآن. فقد روي عنهم «فلا تقبلوا علينا خلاف القرآن فإننا إن تحدّثنا حدّثنا بموافقة القرآن»^(٥).

(١) سورة النساء، الآية ٣.

(٢) سورة النساء، الآية ١٢٩.

(٣) ذكرها الكليني في الكافي، ج ٥، ص ٣٦٣، ح ١ (باب: فيما أحله الله عز وجل من النساء). والقمي، ج ١، ص ١٨٣؛ والعايشي، ج ١، ص ٢٧٩، ح ٢٨٥ في تفسيريهما عن هشام بن سالم؛ والبرهان، ج ٣، ص ٢٤٤، ح ٢٧٨٢.

(٤) صحيح البخاري، ج ٥، ص ١٣٧، بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ٤٧٣.

(٥) بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٥٠، ح ٦٢ (من كتاب العلم باب ٢٩).

من هنا، فإن الذي حاول أن يقتصر في فهم الآيات على فكره الشخصي من دون الرجوع إلى المُبَيِّن لكتاب الله وهو النبي ﷺ وأهل بيته الطيبين الطاهرين، فقد ضل سواء الطريق وهلك من حيث لا يشعر؛ فإن الله قد اختصهم بالعلم والحكمة وأنزل فيهم الثناء الجميل كما أنزل في معانديهم تنديده واستنكاره.

من هنا، فلا مناص لمعرفة علم الكتاب من الرجوع إلى رسول الله، وأوصيائه الهداة.

وقد قال أمير المؤمنين ﷺ في خطبة له تكلم فيها عن القرآن: «هذا القرآن إنما هو خطٌّ مسطور بين الدفتين، لا ينطقُ بلسان، ولا بد له من ترجمان وإنما ينطق عنه الرَّجَالُ»^(١).

وقال: «هذا كتاب الله الصامت، وأنا كتاب الله الناطق»^(٢).

وقال الإمام زين العابدين ﷺ: «الإمام منا لا يكون إلا معصوماً وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها فلذلك لا يكون إلا منصوفاً. فقليل له: يابن رسول الله فما معنى المعصوم؟ فقال: هو المعتصم بحبل الله وحبل الله هو القرآن لا يفترقان إلى يوم القيامة، فالإمام يهدي إلى القرآن، والقرآن يهدي إلى الإمام، وذلك قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّيْ هِيَ أَقْوَمُ﴾»^(٣).

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٢٥ من كلام له ﷺ، في التحكيم وذلك بعد سماعه لأمر الحكيم.

(٢) وسائل الشيعة (كتاب القضاء، باب ٥)، ج ١٨، ص ٢٠.

(٣) سورة بني إسرائيل، الآية ٩، تفسير البرهان، ج ٦، ص ٦١، ح ٣ (٦٢٦٨) وفي تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ١٥٨، ح ٨٩ من معاني الأخبار للصدوق. وفي الكافي =

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «إِيَّاكَ أَنْ تَفْسِّرَ الْقُرْآنَ بِرَأْيِكَ حَتَّى تَفْقَهُهُ عَنِ الْعُلَمَاءِ فَإِنَّهُ رَبٌّ تَنْزِيلُ يَشْبَهُ كَلَامَ الْبَشَرِ وَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ وَتَأْوِيلُهُ لَا يَشْبَهُ كَلَامَ الْبَشَرِ كَمَا لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ يُشْبَهُهُ. كَذَلِكَ لَا يُشْبَهُ فِعْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى شَيْئاً مِنْ أَعْمَالِ الْبَشَرِ وَلَا يُشْبَهُ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِهِ كَلَامَ الْبَشَرِ، فَكَلَامُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى صِفَتُهُ، وَكَلَامُ الْبَشَرِ أَعْمَالُهُمْ، فَلَا تُشْبَهُ كَلَامَ اللَّهِ بِكَلَامِ الْبَشَرِ فَتَهْلِكُ وَتَضِلُّ»^(١).

وفي خطبة لرسول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ:

«هَذَا عَلَيَّ أَخِي وَوَزِيرِي وَهُوَ خَلِيفَتِي وَهُوَ الْمُبْلَغُ عَنِّي وَهُوَ إِمَامُ الْمُتَّقِينَ وَقَائِدُ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ. إِنْ اسْتَرَشَدْتُمُوهُ، أُرْشِدْكُمْ. وَإِنْ اتَّبَعْتُمُوهُ، نَجُوتُمْ. وَإِنْ خَالَفْتُمُوهُ، ضَلَلْتُمْ. وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُ، فَاللَّهُ أَطْعَمَكُمْ. وَإِنْ عَصَيْتُمُوهُ، فَاللَّهُ عَصَيْتُمْ. وَإِنْ بَايَعْتُمُوهُ، فَاللَّهُ بَايَعْتُمْ. وَإِنْ نَكَثْتُمْ بَيْعَتَهُ، فَبَيْعَةُ اللَّهِ نَكَثْتُمْ. إِنْ اللَّهُ تَعَالَى أَنْزَلَ عَلَيَّ الْقُرْآنَ، فَمَنْ خَالَفَهُ ضَلَّ، وَمَنْ ابْتَغَى عِلْمَهُ عِنْدَ غَيْرِ عَلَيٍّ، هَلَكَ»^(٢).

= للكليني باب أَنَّ الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلْإِمَامِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُوَ أَقْوَمُ﴾ قَالَ: يَهْدِي إِلَى الْإِمَامِ.

(١) بحار الأنوار، ج ٩٢، ص ١٠٧، ح ٢ (باب ١٠) هذه الرواية مذكورة ضمن حديث مفصل في كتاب توحيد الصدوق، ص ٢٦٤، ح ٥ (باب ٣٦)، وفي الكافي، ج ١، ص ٢١٦، ح ٢ (باب أَنَّ الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلْإِمَامِ)، روي ذلك عن الإمام الصادق عليه السلام . .

(٢) الصراط المستقيم، ج ١، ص ٢٧٠؛ بحار الأنوار، ج ٣٨، ص ٩٤، ح ١٠ (باب ٦١) من تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام؛ وفي كتاب مقام القرآن والعترة، ص ١٨ - ٣٤؛ وكتاب تاريخ الفلسفة والصرف، ص ١٦٥ و ١٦٨؛ في ممنوعة تفسير القرآن بالرأي من دون بيان أهل البيت عليهم السلام ذكرت روايات عديدة في هذا الموضوع فراجع.

وجاء في الرسالة التي كتبها أبو عبد الله الصادق عليه السلام إلى أصحابه وقد أمرهم بمدارستها والنظر فيها وتعاهدها والعمل بها :

«عليكم بآثار رسول الله ﷺ وسنته وآثار الأئمة الهداة من أهل بيت رسول الله ﷺ من بعده وستّهم، فإنه من أخذ بذلك فقد اهتدى، ومن ترك ذلك ورغب عنه ضلّ، لأنهم هم الذين أمر الله بطاعتهم وولايتهم»^(١).

وجاء في موضع آخر منها :

«واعلموا أنه ليس من علم الله ولا من أمره أن يأخذ أحد من خلق الله في دينه بهوى ولا رأي ولا مقياس قد أنزل الله القرآن وجعل فيه تبيان كل شيء وجعل للقرآن ولتعلم القرآن أهلاً لا يسع أهل علم القرآن الذين آتاهم الله علمه أن يأخذوا فيه بهوى ولا رأي ولا مقياس، أغناهم الله عن ذلك بما آتاهم من علمه، وخصّهم به ووضعه عندهم كرامة من الله أكرمهم بها، وهم أهل الذكر الذين أمر الله هذه الأمة بسؤالهم، وهم الذين من سألهم وقد سبق في علم الله أن يصدّقهم ويتبع أثرهم، أرشدهم وأعطاهم من علم القرآن بما يهتدي به إلى الله بإذنه...»^(٢).

وقال العلامة الخوئي في شرحه لنهج البلاغة^(٣) :

قد تواترت الأخبار عن أئمة أهل البيت عليه السلام وأجمعت الطائفة أنّ القيم على القرآن (أي : العالم بتفسير المحكمات والمتشابهات والحافظ

(١) الكافي، ج ٨، ص ٨، ح ١ (كتاب الروضة).

(٢) روضة الكافي، ج ٨، ص ٥ وكان الأصحاب يضعون هذه الرسالة في مصلاهم يقرءونها بعد صلاتهم. بحار الأنوار، ج ٧٨، ص ٢١٥، ح ٩٣ (باب ٢٣ من كتاب الروضة).

(٣) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ٢، ص ٢٢١.

لأسرار الآيات) بعد رسول الله ﷺ هو عليّ والطيبون من أولاده ﷺ. ثم يأخذ المصنف بذكر البراهين العقلية والنقلية على اختصاص أهل البيت في معرفة الكتاب. ولمن أراد التفصيل في ذلك، فليراجع كتاب مقام القرآن والعترة^(١).

فإن قيل أن الكتاب العزيز يغني عن غيره وهو يوضح مقصوده بنفسه ولا حاجة للرجوع إلى النبي ﷺ والأئمة، والدليل على ذلك قوله تعالى في الآية ٥٠ من سورة العنكبوت: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾^(٢).

قلنا: إن الآية نزلت في مقام الاحتجاج على الكفار الذين طالبوا النبي ﷺ بإظهار المعجزات وإنزال الآيات العجيبة، فنزلت الآية لتؤكد أن في القرآن كفاية على أصل الإيمان بالنبي، فكلماته عربية وهي لغتهم، فالآية في مقام الاحتجاج عليهم وردّ لمقولة الكفار، لا في مقام بيان هل أن في القرآن كفاية للناس عن الرجوع إلى تفسير النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ. فمن يستند بهذه الآية ويستغني عن الرجوع إلى الأخبار وبيان العترة الطاهرة فيثبت الجهل للنبي ﷺ والأئمة ﷺ، فقد أخطأ الطريق.

فهناك - وللأسف - جهلاء ومغرضون يأخذون بالآيات المتشابهة ويتركون الآيات المحكمة ويستغنون عن بيان العترة الطاهرة، فلا يرجعون إلى من أودع الله عندهم علم الكتاب وبذلك يبعدون الناس عن

(١) مقام القرآن والعترة، ص ٣٦ - ٤٨ وتاريخ الفلسفة والتصوف، ص ١٦٦ و ١٩٩. للمؤلف.

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٥١.

أخبار أهل البيت عليهم السلام، فلا يجنون بذلك سوى الضلال لأنفسهم وللآخرين. فهؤلاء ينكرون كل ما لا تفهمه عقولهم الضيقة وأفكارهم الناقصة، ويدّعون أن هذه الآيات (الآيات المتشابهة التي جمعوها) تخالف القرآن الكريم.

وقد أكد الأئمة عليهم السلام أنهم لا يخالفون القرآن؛ فقالوا أكثر من مرة: ما خالف كتاب الله فدعوه^(١). والعبرة في مخالفة القرآن هو أن يخالف خبرهم ما أثبتته القرآن بالنص الصريح، أو يثبت ما نفاه القرآن بالدليل القاطع.

ونكتفي هنا بذكر روايتين بمثابة الميزان في ذلك:

الأولى: في الكافي في باب الشهادات باب شهادة الواحد ويمين المدعي عن الثقة عبد الرحمن بن الحجاج قال: دخل الحكم بن عتيبة وسلمة بن كهيل على أبي جعفر عليه السلام، فسألاه عن شاهد ويمين؟ فقال: قضى به رسول الله صلى الله عليه وآله، وقضى به علي عليه السلام عندكم بالكوفة، فقالا: هذا خلاف القرآن، فقال: وأين وجدتموه خلاف القرآن؟ فقالا: إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾^(٢). فقال لهما أبو جعفر عليه السلام: فقولوه: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ هو أن لا تقبلوا شهادة واحد ويميناً؟^(٣).

(١) الكافي، ج ١، ص ٦٩ (باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب)؛ بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢١٩ (باب ٩ من كتاب العلم) قال عليه السلام ما وافق حُكْمُهُ حكم الكتاب والسنة وخالف العامة فيؤخذ به؛ مصباح الهدى، ص ١٢٩.

(٢) سورة الطلاق، الآية ٢.

(٣) الكافي، ج ٧، ص ٣٨٥، كتاب الشهادات باب شهادة الواحد ويمين المدعي ح ٥؛ =

الثانية: وفي حديث آخر عن الصادق عليه السلام أنه قال: المنى يخرج من جميع الجسد. قال أبو حنيفة: كيف يخرج من جميع الجسد والله يقول ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ (٧) قال أبو عبد الله عليه السلام: فهل قال: لا يخرج من غير هذين الموضعين (٢).

من هنا يتضح أن ملاك وميزان معرفة ما يتخيل أنه من المتناقضات في القرآن وحدود الاختلاف في آياته هي من خصائص أهل العلم والمعرفة بالقرآن، لا كمن اعتمد بمقطع من دعاء كميل وهو أساساً غير مذكور في هذا الدعاء المروي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فأنكر مفهوم التوسل والولاية فيقول: إن قول الإمام «إلهي بربوبيتك توسلي» هو نفي التوسل بغير الله .

أقول: الآفة كل الآفة هو أن يكون ملاك معرفة القرآن وآياته عقيدة الشخص وفهمه الخاص، فيعول في فهم القرآن على فكره القاصر، فما وافق رأيه قبله وما خالفه رده، وقد عرّف القرآن المكذبين، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ، فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَ فَدِيرٌ﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ﴾ (٤).

= وفي التهذيب، ج ٦، ص ٢٧٤، ح ١٥٢ (باب البيئات في كتاب القضايا) وكان الأصحاب يضعون هذه الرسالة في مصلاهم يقرءونها بعد صلاتهم.

(١) سورة الطارق، الآية ٧.

(٢) بحار الأنوار، ج ١٠، ص ٢١٣، ح ١٣، باب ١٣ من كتاب الاحتجاج نقلاً عن المناقب لابن شهر آشوب [ج ٤ ص ٢٥٢ فصل في علمه عليه السلام].

(٣) سورة الأحقاف، الآية ١١.

(٤) سورة يونس، الآية ٣٩.

وقد بيّن الأئمة عليهم السلام موقفهم من الرواة الوضّاعين وشخصوهم بأسمائهم للثقات من أصحابهم. وكان الرواة بدورهم يعرضون على الأئمة عليهم السلام أسماء أشخاص معينين ليعرفوا حالهم فيسألونهم عن صدقهم أو وثاقتهم في نقل الأحاديث وقد عرضوا كتبهم عليهم، وقد اتفق عرض الكتاب على الإمام عليه السلام نفسه، فكان يصحح لهم رواياتهم.

وقد بذل علماؤنا المتقدمون (كالشيخ الكليني والصدوق والطوسي والمفيد وجمع من شيعة قم وعلماؤها) جهوداً كبيرة لمعرفة الأخبار واستخرجوا موافق الكتاب منها وأسقطوا ما خالفها^(١)، فما وصل إلينا بعد هذه التدقيقات هي أخبار معتبرة لا يمكن التشكيك فيها أو تضعيفها إلا ما ندر؛ وهي غير خفية عند علماء الحديث والرجال.

تخصيص آيات القرآن بالروايات

من الواضح أنه لا تعارض بين عام الكتاب والخاص من الحديث، كما لا تعارض بين المقيّد من الحديث والمطلق من الكتاب سواء كان أصلاً من أصول الدين أو فرعاً من فروعهِ. فالروايات المفصلة لأحكام الوضوء والغُسل والتيمم، لا تعارض الآيات المطلقة المنزلة في تلك الأبواب، والأحاديث المبينة لأحكام الصلاة والزكاة والصوم والحج والمعاملات والتي تتجاوز المئات بل الألوف، لا تخالف الآيات المنزلة في العبادات والمعاملات.

فآية ﴿أَوَّلِ الْأَمْرِ﴾^(٢) بلفظها العام قد خصص بما ورد عنهم أنها

(١) الأعلام الهادية الرفيعة في اعتبار الكتب الأربعة المنيعة.

(٢) سورة النساء، الآية ٥٩: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَوَّلِ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾.

نزلت فيهم، فلا تعارض هنا. وبعد ورود هذا التخصيص من أهل البيت عليه السلام، لا يجوز التوسع في مفهوم أولي الأمر.

كذلك آية ﴿الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾^(١) لفظ عام أريد منه معنى خاص كما ورد في روايات عديدة عن أئمة أهل البيت عليه السلام «نحن الراسخون في العلم»^(٢)، نعلم تأويله.

كذلك آية الولاية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ ذَكَرُونَ﴾^(٣) لفظه عام أريد من المؤمنين هنا أمير المؤمنين، فلا يحق - لأحد بعد هذا التعيين - أن يعمم الآية في غير أئمة أهل البيت عليه السلام تمسكاً بظاهرها.

كذلك آية عرض الأعمال في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرِّي اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^(٤). لفظ عام أريد منه معنى خاص، فقد تواترت الروايات^(٥) أن المقصود من المؤمنين هنا أئمة أهل البيت عليه السلام.

وهل تعم لفظة أهل البيت زوجات النبي في آية التطهير^(٦) أو تختص بالنبي وأمير المؤمنين وفاطمة الزهراء والحسن والحسين عليه السلام كما دلت

(١) سورة آل عمران، الآية ٧: ﴿وَمَا يَسْكَمْ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾.

(٢) الكافي، ج ١، ص ٢١٣، ح ١ (باب أن الراسخين في العلم... من كتاب الحجّة).

(٣) سورة المائدة، الآية ٥٥؛ البرهان، ج ٣، ص ١٤٩، ح ٤: يعني علماً.

(٤) سورة التوبة، الآية ١٠٥.

(٥) الكافي، ج ١، ص ٢١٩، ح ٢ (باب عرض الأعمال على النبي عليه السلام والأئمة عليه السلام من كتاب الحجّة).

(٦) سورة الأحزاب، الآية ٣٣: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

عليه الروايات الشريفة؟^(١)

وهل اليتامى والمساكين في آية الخمس^(٢) مطلقة تشمل السادة وغير السادة أو مخصصة بالسادة فقط من بني هاشم، كما دلت عليه الروايات؟^(٣) فلا يحقّ لأحد أن يتمسك بظاهر الآية ويعمم الحكم لغيرهم.

مثال آخر في ذلك هو الآية التي تذكر دعاء سليمان حيث قال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يُبَغِّى لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾^(٤) يقول الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: قصد سليمان من قوله هذا أن لا يقول أحد إنه ملك مأخوذ بالغلبة والجور وإجبار الناس فسخر الله له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب^(٥).

فلا يُعدّ النص، هنا، مخالفاً للآية بل مبيّن لقصد سليمان. من هنا، فقد يقدم نص الإمام على ظاهر القرآن كما هو المعلوم ضرورة من المذهب، فلا يكون الظاهر مراداً، بل يكون كلام الإمام قرينة صارفة عن ظاهر اللفظ فلا يجوز - بعدئذٍ - التمسك بظاهر اللفظ لمعنى ينافي نص الإمام.

(١) بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ٥٠٢، وج ٢٥، ص ٢٠٩ و ٢٣٦.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٤١: ﴿فَأَن يَّلَهُ تَحْسَبُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾.

(٣) تهذيب الأحكام، ج ٤، ص ١٦٣، ح ٢ (باب ٣٦ من كتاب الزكاة).

(٤) سورة ص، الآية ٣٥.

(٥) بحار الأنوار، ج ١٤، ص ٨٥، ح ١ (باب ٦ من كتاب النبوة) نقلاً من معاني الأخبار وعلل الشرائع. وفعل «لا ينبغي» هنا مأخوذ من البغي، بمعنى الظلم والتعدي.

كذلك هي الروايات الواردة في شرح عوالم الخلفة^(١) وعددها، وهذه الروايات لا تخالف القرآن بوجه، بل توافقه وهي مذكورة في ذيل كلمة العالمين المكررة في سورة الحمد وسائر سور القرآن.

القرآن وعلم غيب النبي ﷺ والإمام عليه السلام

الأخبار الدالة على ثبوت علم الرسول ﷺ بالغيب لا تنافي الكتاب العزيز، بل توافقه، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾^(٢).

وقد صرحت الروايات الصحيحة المعتبرة ثبوت علم الغيب للنبي ﷺ كما أوردناه مفصلاً في كتاب مقام القرآن والعتره^(٣). فالآيات التي ثبتت علم الغيب لله لا بد أن نجتمعها مع الآيات والروايات الواردة في هذا الباب والإيمان بجميعها.

ومما لا شك فيه بأن رسول الله ﷺ أفضل الخلق وقد اجتباه الله عز وجل وعلمه الغيب. قال تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾^(٤).

وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له: «وإنما علم الغيب علم الساعة... فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه أحد إلا الله»^(٥) وذلك يشمل

(١) المراد من عوالم الخلفة: عالم الذر والأرواح والأظلة والآخرة.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٧٩.

(٣) مقام القرآن والعتره، ص ٨١ (الفصل العاشر في إثبات علم الغيب للنبي ﷺ و...).

(٤) سورة الجن، الآيتين ٢٦ - ٢٧.

(٥) نهج البلاغة، من كلام له عليه السلام فيما يخبر به عن الملاحم بالبصرة، الخطبة ١٢٨.

جميع الناس بما فيهم النبي الأعظم ﷺ كما هو صريح القرآن في هذه السورة، ولكن هناك موارد أخرى تبين أن المقصود من نفى العلم بالغيب هنا نفى العلم الذاتي الاستقلالي من دون تعليم من الله ولا وراثته من النبي الأعظم. وسنذكر في ما يلي آيات وروايات دلت على ثبوت علم الغيب للنبي والإمام ﷺ.

فمن الآيات الدالة على علم الإمام بالغيب قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٧٥) (١).

وقال تعالى: ﴿وَلَا حَبْرَةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٣).

وحين يبين القرآن أن الكتاب المبين هو القرآن، يقول تعالى: ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ (١) ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ (٤).

وقال في أول الزخرف: ﴿حَمْدٌ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ (٢) ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾. وقال في أول سورة الدخان: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ﴾ (١) ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ (٢). وقال في الآية ٨٩ من سورة النحل: ﴿وَوَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾. وقال: ﴿مَا قَرَأْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (٥).

(١) سورة النمل، الآية ٧٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٥٩.

(٣) سورة يونس، الآية ٦١.

(٤) سورة يوسف، الآيتين ١ - ٢.

(٥) سورة الأنعام، الآية ٣٨.

وعندما يبين القرآن أن علومه مودعة عند فئة معينة هم العتره الطاهره، يقول: ﴿قُلْ كَفَى بِاللّٰهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ (١).

والذي عنده علم الكتاب هو أمير المؤمنين عليه السلام (٢) والأئمة الهداه وبهذا قد اتفقت روايات الفريقين سنة وشيعه كما بين ذلك بالتفصيل في كتاب مقام القرآن والعتره (٣). ويستفاد من هذه الروايات أن الكتاب المبين الصامت هذا القرآن وعلومه مودعة عند الكتاب المبين الناطق وهو الإمام عليه السلام.

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: هذا كتاب الله الصامت، وأنا كتاب الله الناطق (٤).

وفي الكافي في باب مولد الإمام أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام في حديث مفصل أنه أتى إليه نصراني اسمه مطران عليا الغوطه (غوطه دمشق) وسأله أسئله، منها أنه قال: أخبرني عن كتاب الله - الذي أنزل على محمد ونطق به ثم وصفه بما وصفه به فقال ﴿حَدَّثَنَا﴾ (١) وَالْكِتَابُ الْمُبِينُ (٢) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤) ما تفسيرها في الباطن؟ فقال: أما ﴿حَدَّثَنَا﴾ (١) فهو محمد عليه السلام وأما

(١) سورة الرعد، الآية ٤٣.

(٢) الكافي، ج ١، ص ٢٢٩، كتاب الحج، وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ١٨١ (باب ١٣)؛ مستدرک الوسائل، ج ١٧، ص ٣٣٤ (باب ١٣)؛ بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ١٦٠ (باب ٩ و ١٢ و ١٥)، بصائر الدرجات، ج ١، ص ٤١٤ (باب ١، جزء ٥).

(٣) مقام القرآن والعتره، ص ٣٦.

(٤) وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ٣٤، ح ١٢، من كتاب القضاء، (باب ٥).

﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ فهو أمير المؤمنين علي عليه السلام^(١).

أقول: الظاهر من ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ هذا القرآن بين الدفتين، والباطن منه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

عن العياشي في تفسيره: عن حسين بن خالد قال: سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن الكتاب المبين في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ فقال: يعني الإمام المبين.

وفي الكافي عن أبي الربيع الشامي قال: سألت أبا عبد الله عن تفسير هذه الآية فقال: كل ذلك (العلم) في إمام مبين^(٢).

وفسر المجلسي في مرآة العقول الكتاب المبين بالإمام المبين وقال: هم الأئمة الهداة^(٣) عليه السلام. كما روى ذلك العامة والخاصة في تفسير الآية ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾^(٤) أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما نزلت هذه الآية أشار إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: إنه الإمام الذي أحصى الله تبارك وتعالى فيه علم كل شيء^(٥).

وروى الشيخ الطبرسي في الاحتجاج عن الإمام الصادق عليه السلام حديثاً

(١) الكافي، ج ١، ص ٤٧٩، ح ٤ (باب مولد أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام من كتاب الحجة)؛ تفسير العياشي، ج ١، ص ٣٦٢، ح ٢٩.

(٢) الكافي، ج ٨، ص ٢٤٩، ح ٣٤٩.

(٣) مرآة العقول، ج ٢٦، ص ٢٢٢.

(٤) سورة يس، الآية ١٢.

(٥) الأمالي (للصدوق)، ص ٢٥، ح ٥ (المجلس الثاني والثلاثون).

مطوّلاً قال فيه : قال لصاحبكم أمير المؤمنين عليه السلام ﴿قُلْ كَفَى بِاللّٰهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ ^(١) وقال الله عز وجل ﴿وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ وعلم هذا الكتاب عنده ^(٢).

وفي كتاب آيات الأئمة في تفسير قوله تعالى : ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ ^(٣) وردت أخبار كثيرة عن أهل البيت عليهم السلام المراد بالكتاب المبين أئمة أهل البيت عليهم السلام يعلمون ما عند الخلق بأجمعهم ^(٤).

عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في تفسير قوله : ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا

(١) نذكر فيما يلي أسماء بعض علماء أهل السنة الذين نقلوا في كتبهم أن «من عنده علم الكتاب» هو علي بن أبي طالب عليه السلام ؛ قواعد الاسلام في بيان دين سيد الانام، ج ٣، ص ٢٤ (القاعدة السابعة).

منهم فاضل الثعلبي روى في تفسيره ٦ روايات أن «من عنده علم الكتاب» علي بن أبي طالب.

وما رواه فاضل إسماعيل السدي في تفسيره وفيه رواية. ما رواه فاضل النطنزي في كتاب الخصائص عن محمد بن الحنفية. ما رواه ابن المغازلي في كتاب المناقب وفيه حديث واحد. ما رواه أبو نعيم في كتاب نزول القرآن في شأن علي بن أبي طالب روى ذلك بسندين ثم قال رواه عبد الله بن عمر وجابر الأنصاري وأبو هريرة وعائشة عن النبي صلى الله عليه وآله. وقد ذكرت في كتاب مقام القرآن والعترة ما يقارب ٢٠ مأخذاً من كتب وتفسير أهل السنة ما يؤيد ذلك.

(٢) الاحتجاج، ج ٢، ص ٣٠٢ [٢٥٤] احتجاج أبي عبد الله الصادق عليه السلام في أنواع شتى من العلوم الدينية. . . .

(٣) سورة هود، الآية ٦.

(٤) آيات الأئمة عليهم السلام، ص ٩٦.

رَبِّ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴿١﴾ قال: ﴿الْكِتَابُ﴾ علي عليه السلام لا شك فيه ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ بيان لشيئتنا^(١).

أقول: لا تنافي هنا بين التأويل والتنزيل والظاهر والباطن، ظاهر القرآن هو الصامت وباطن الكتاب هو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لا يدخل شك في قلبه، فمن يقرأ سيرة أمير المؤمنين ويتصفح تاريخه العظيم المشرق سيتضح له ومن دون أدنى شك حقانيته عليه السلام. أليس هو القائل لقومه: «والحق معي»^(٢).

وحين نادى أهل الشام في يوم صفين بجعل القرآن حكماً بينهم، قال علي عليه السلام: «أنا القرآن الناطق»^(٣).

ومن خطبة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام تسمى بالوسيلة يذكر فيها خصائصه: «فأنا الذكر الذي عنه صل، والسبيل الذي عنه مال، والإيمان الذي به كفر، والقرآن الذي إياه هجر، والدين الذي به كذب، والصراط الذي عنه نكب»^(٤).

وهذه الأوصاف التي وصف بها الإمام نفسه (الذكر، السبيل، الإيمان، القرآن، الدين، الصراط) وردت كصفات للقرآن نفسه، فأولت بالإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

والشاهد على ذلك كلام الإمام عليه السلام حيث قال: «أنا القرآن الذي ترك

(١) تفسير الفمي، ج ١، ص ٥٩.

(٢) بحار الأنوار، ج ٢٩، ص ٤٦٦.

(٣) إحقاق الحق، ج ٧، ص ٥٩٥ عن (ينابيع المودة).

(٤) الكافي، ج ٨، ص ٢٨، ح ٤.

في وجوب التمسك بالثقلين (الكتاب والعتره) ٤١

ومالوا عنه». ولمن أراد التفصيل، فليراجع كتاب سفينة البحار للمحدث القمي، أو مستدرك سفينة البحار للمصنف في ذيل هذه الكلمات.

وفي قراءة أهل البيت عليهم السلام لهذه الآية ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾^(١) يقرأ هذا الفعل بصيغة المجهول كما في رواية الإمام الصادق عليه السلام، حيث قال: «إن الكتاب لم ينطق ولن ينطق، ولكن رسول الله ﷺ هو الناطق بالكتاب»^(٢).

ومما مضى، قد اتضح أن الإمام المبين هو الذي أحصى الله فيه علم كل شيء وهو أمير المؤمنين عليه السلام^(٣).

ضرورة الطاعة المطلقة للقرآن وأهل البيت عليهم السلام

ثم إن الحث الشديد في الآيات على اتباع القرآن وقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٤) دليل على عظيم شأن أولي الأمر وهم الأئمة الهداة من آل محمد عليهم السلام^(٥)، وأن طاعتهم هي امتداد لطاعة

(١) سورة الجاثية، الآية ٢٩.

(٢) الكافي، ج ٨، ص ٥٠، ح ١١؛ وفي البحار، ج ٢٣، ص ١٩٧، ح ٢٩، باب ١٠ من كتاب الإمامة، قال: «إن الكتاب لا ينطق ولكن محمد وأهل بيته هم الناطقون بالكتاب».

(٣) عن الحسين بن علي عليه السلام قال: لما نزلت هذه الآية ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَارِهِ تُبَيِّنُ﴾، قالوا: يا رسول الله، هو التوراة أو الإنجيل أو القرآن؟ قال ﷺ: لا، فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام، فقال رسول الله ﷺ: «هو هذا إنه الإمام الذي أحصى الله فيه علم كل شيء».

بحار الأنوار، ج ٣٥، ص ٤٢٧، ح ٢ (باب أنه عليه السلام هو الإمام المبين).

(٤) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٥) مجمع البيان، ج ٣، ص ١١٤.

الرسول ﷺ، كما أن طاعة الرسول هي امتداد لطاعة الله عز وجل. وقد ثبت بالدليل العقلي والنقلي أن الله أرجع الأمة إلى أولي الأمر لرفع الاختلاف عنهم حين يتنازعون؛ قال تعالى: ﴿فَتَشَاوَرُوا أَمْرَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١).

والمراد من «الذكر» في القرآن، النبي الأعظم ﷺ^(٢)، وأهل الذكر هم أهل بيت النبي، بهذا قد تواترت الروايات،^(٣) كما سيأتي التنبيه عليه لاحقاً.

كما نقرأ في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزِمُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾^(٤)، فإذا لاحظنا الآيات والروايات لعرفنا المقصود من الراسخين العالمين بكل الكتاب، أنهم رسول الله وأهل بيته المعصومين ﷺ^(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ هو علم كل شيء أحصاه الله في الإمام المبين.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^(٦)، وقوله تعالى: ﴿حَدِّ

(١) سورة النحل، الآية ٤٣.

(٢) قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ رُسُلًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ مَا بَيَّنَّ اللَّهُ مِنْ بَيْنَتِهِ، سورة الطلاق، الآيتين ١٠ و ١١، وعيون أخبار الرضا ﷺ، ج ١ ص ٢٣٩، ح ١ (باب ذكر مجلس الرضا ﷺ مع المأمون...).

(٣) البرهان، ج ٤، ص ٤٤٩، ذكر ٢٣ حديث. وفي الكافي، ج ١، ص ٢١٠: قال ﷺ الذكر محمد ﷺ ونحن أهله المستولون.

(٤) سورة آل عمران، الآية ٧.

(٥) تفسير مناهج البيان، الجزء الثالث، ص ١٤٥.

(٦) سورة القدر، الآية ١.

﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿١﴾ .

والقرآن الكريم يُخبر عن نزول الروح والملائكة في ليلة القدر على قلب رسول الله ﷺ حيث يقدر الله في تلك الليلة كل أمر سواء كان من الحق أو من الباطل، وما يكون في تلك السنة من الآجال والأرزاق والأعراض والأمراض فيعلمه النبي بتعليم من الله عز وجل، وهذا مما لا شك فيه كما هو الظاهر من آيات القرآن^(٢).

وقد أجمع المسلمون وقطعت روايات الفريقين المطابق لظاهر القرآن على استمرارية ليلة القدر بعد رسول الله ﷺ.

وقد تواترت روايات الطائفة بنزول هذه التقديرات على الأوصياء ﷺ أمير المؤمنين ﷺ وبعده في كل زمان على الإمام في ذلك الزمان حتى ينتهي ذلك إلى صاحب الزمان (عج) حيث تنزل عليه الملائكة والروح في يومنا هذا^(٣).

وإن من ينكر علم أهل البيت الأوصياء ﷺ بالغيب لا سبيل له إلى إنكار علم النبي ﷺ بالغيب، كيف وقد نطق الكتاب العزيز بذلك في سورتي آل عمران والجنّ، وقد دلت هذه الآيات على تفرد الله سبحانه بعلم لا يعلمه أحد غيره إلا من اصطفاه من أنبيائه ورسله.

(١) سورة الدخان، الآيات ١ - ٣.

(٢) سورة القدر، الآية: ﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ . وقد وردت روايات في كتب العامة والخاصة في تفصيل كل الأمور. كما في الدر المنثور، ج ٧، ص ٣٩٩، وج ٨، ص ٥٧٠؛ وتفسير الفيضاني، ج ١، ص ٩٩؛ التفسير الكبير، ج ١٦، ص ٢٨.

(٣) مناهج البيان، الجزء الثلاثون، ص ٦٠١.

﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾^(١).
ويؤكد القرآن الكريم في آياته أن أعمال العباد تُعرض على الله
ورسوله فيطلع عليها^(٢)، فكيف يجهل، بعد ذلك، أسماء المنافقين الذين
يعيشون من حوله؟!

فلا بدّ أن نجمع بين هذه الآيات، فقوله تعالى: ﴿لَا تَعْلَمُهَا﴾^(٣)،
وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٤) هو نفي العلم الذاتي عن
النبي ﷺ، أو نفي حصول مثل هذا العلم عبر الأسباب العادية الظاهرية
المألوفة لدى الناس، فإن هذه المعرفة لا تحصل من دون تعليم من الله
تبارك وتعالى.

كيف يمكن للنبي الذي رأى ملكوت السماوات والأرض ورأى
أعمال العباد بعين النبوة والرسالة أن يكون جاهلاً بجيرانه ويخفى عليه
أعمالهم؟! فهل يجوز الإيمان بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ إِذْ
يَخْتَصِمُونَ﴾^(٥) وترك سائر الآيات؟! ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ
وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَيْهِ أَشَدَّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٦).

(١) سورة الجن، الآيتان ٢٦ - ٢٧.

(٢) سورة التوبة، الآيات ٩٤ و ١٠٥.

(٣) سورة التوبة، الآية ١٠١.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢١٦.

(٥) سورة ص، الآية ٦٩.

(٦) سورة البقرة، الآية ٨٥.

وكذلك لا بد أن نجمع بين قوله تعالى: ﴿وَكُنْزِي رِيكَ يَذُوبُ عِبَادِي خَيْرًا بَصِيرًا﴾^(١). الدالة على حصر المعرفة (بذنوب العباد) بالله تعالى دون الرسول والإمام، وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرِّي اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^(٢). وكما مرّ سابقاً، فإن المقصود بالمؤمنين هنا (الأئمة الهداة) عليهم السلام^(٣)، فانهم يرون أعمال العباد ولا يخفى عليهم حالهم.

ولم يكن للنبي صلى الله عليه وآله العالم بالغيب والعالم بأعمال العباد أن يخالف القرآن وأحكامه والجواب هو قول الله تعالى في سورة البراءة: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أَذُنٌ قُلْ أَذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤).

وهم المنافقون حيث كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وآله هو أذن أي يستمع إلى ما يُقال له ويصغي إليه ويقبله، قُلْ يا محمد أذن خير لكم يؤمن بالله أي يصدق الله فيما يقول له ويؤمن للمؤمنين ويصدقك فيما يقول لك.

وسبب نزول هذه الآية هو أن عبد الله بن نفيل كان منافقاً وكان يقعد إلى رسوله الله صلى الله عليه وآله فيستمع كلامه وينقله إلى المنافقين وينم عليه، فنزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: يا محمد، إن رجلاً من المنافقين ينم عليك وينقل حديثك إلى المنافقين. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من هو؟ فأعلمه جبرئيل، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره، فحلف أنه لم يفعل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله قد قبلت منك فلا تقعد، فرجع إلى أصحابه فقال: إن محمداً

(١) سورة الإسراء، الآية ١٧.

(٢) سورة التوبة، الآية ١٠٥.

(٣) الكافي، ج ١، ص ٢١٩ (باب عرض الأعمال على النبي والأئمة عليهم السلام).

(٤) سورة التوبة، الآية ٦١.

أُذِّنْ، أخبره الله أنني أنتم عليه وأنقل أخباره فقبل، وأخبرته أنني لم أفعل فقبل. فأنزل الله على نبيه ﷺ ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

وقد أثنى الله على نبيه ﷺ ذلك وأمضى عليه عمله ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ﴾، فمهمة النبي ﷺ التصديق في ما يعتذر إليه في الظاهر وكذلك التصديق بمن يقر له بالإيمان ويتشهد الشهادتين وإن كان في الباطن غير معتمد بالله، فإنه تجري عليه أحكام الإسلام من الصلاة والصيام والحج والزكاة، لأنه ﷺ مأمور بالظواهر لا بالباطن أي لا يخاصم الناس بعلم النبوة والرسالة.

لذلك قال ﷺ ﴿أَنَا بَشَرٌ مِمَّنْكُمْ﴾^(٢) لكي يثبت بشرية النبي ﷺ وأنه كسائر الناس لا يخرج عن حد الاعتدال في معاشرته معهم، فلا يتكلم إلا بما يأمره به ربه ولا يفعل إلا بوحيه، فكان مما أوحى الله إليه ليلة المعراج «يا محمد دارِ خَلْقِي»^(٣).

النبوي والإمام ووجوب العمل بالظاهر

قال تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾^(٤) وقد أوصى الدين بتصديق أخبار المؤمنين. والمؤمنون هم المقرون بالستهم وإن لم تصدق قلوبهم، وعلى

(١) تفسير القمي، ج ١، ص ٣٢٧؛ تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ١٣٦، ح ٢١٧؛ تفسير الثعالبي، ج ٣، ص ١٩١.

(٢) سورة الكهف، الآية ١١.

(٣) الكافي، ج ٢، ص ١١٧، ح ٢ (باب المداراة).

(٤) سورة الحجرات، الآية ١٢.

ذلك نزلت الخطابات القرآنية، ف﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ تعمّ المؤمنين بظاهر دعوة النبي ﷺ وقد أمرهم الله بقبول بعضهم أعدار بعض. وأساساً، يحرم إذاعة سرّ المؤمن وأن يُروى عليه ما يُعيبه، وعدم جواز تصديق ذلك ما أمكن، ومن هنا ثبت الحدّ على القذف بالزنا - وإن كان القاذف محقّقاً في الواقع - إلا أن يأتي بأربعة شهود عدول، فإن لم يأت بهم، كان عند الله كاذباً^(١).

وقد أوصى الشرع بتصديق المُخبر المؤمن في ما يُخبر عنه إن لم يكن للسامع عذر شرعي في تصديقه، ولا يحقّ أن يكذّبه لمجرد سوء الظن به، وعلى هذا جرت سيرة النبي الأعظم ﷺ والأئمة ﷺ.

فمن ذلك قصة قدوم أبو براء (سيد بني عامر)^(٢) على رسول الله ﷺ المدينة وسؤاله النبي أن يبعث رجلاً من أصحابه إلى أهل نجد فيدعوهم إلى الإسلام. فبعث رسول الله ﷺ أربعين رجلاً من أصحابه فصاروا إليهم حتى وصلوا نجد، فاستصرخ عامر بن طفيل قبائل من بني سليم على المسلمين فأجابوه إلى ذلك، فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحالهم. فلما رأوهم، أخذوا السيوف فقاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم، فلما وصل الخبر إلى رسول الله ﷺ قال هذا عمل أبي براء، قد كنت لهذا كارهاً متخوفاً^(٣). وهذا الخبر يدلّ أن النبي ﷺ كان مأموراً بالظاهر ولم

(١) سورة النور، الآية ١٣: ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ﴾.

(٢) كما ذكره صاحب كتاب السيرة النبوية، ج ٣، ص ١٧٤ نقلناه عن الصحيح في سيرة النبي الأعظم، ج ٨، ص ٢٥٣، طبع دار الحديث، قم.

(٣) مستدرک سفیه البحار، ج ١٠، ص ٤٩٦.

يكن علمه بباطن الأمور يمنعه عن العمل الظاهر .

وقد علم النبي في ليلة القدر بآجال هؤلاء الذين استشهدوا ولكن علمه ما كان ليمنع عن قضاء الله أن ينفذ في حقهم . ولو عاش النبي ﷺ الناس وحكم فيهم بعلمه أو أخبر كلَّ قوم بما استبطنوه، لانفضَّ الناس من حوله ولأبعدهم عن مسجده بل طردهم ولعنهم . وإذا كان كذلك، ما انتشر الإسلام في الآفاق ولا اتسعت رقعته . وأساساً، أمر النبي ﷺ أن يكلم الناس على قدر عقولهم وبذلك كان يعاشرهم إلا في حالات خاصة كإقامة المعجزة، أو إثبات حق لمصلحة عامة أو خاصة .

فمثلاً: كان النبي ﷺ يعلم بتعريف الله له عدد أزواجه وأنه سيتزوج بزینب بنت جحش بعد أن يطلقها زوجها زيد فتعتد منه فيزوجها الله عز وجل من نبيه محمد ﷺ وبذلك سيثبت حكم من أحكام الله وفيه توسعة للمؤمنين حتى لا يكون إثم في أن يتزوجوا أزواج أديعائهم الذين تبئوهم إذا قضى الأديعاء منهم وطراً وأنزل بذلك قرآناً وقد علم النبي ﷺ ذلك بتعليم من الله عز وجل .

ولكن ظاهر الأمر أن رسول الله ﷺ قصد دار زيد بن حارثة في أمر أرادته فرأى امرأته فقال سبحان الله الذي خلقك، وإنما أراد بذلك تنزيه الله تبارك وتعالى عن قول من زعم أن الملائكة بنات الله، فلما عاد زيد إلى منزله أخبرته امرأته بمجيء رسول الله ﷺ وقوله لها سبحان الذي خلقك، فلم يعلم زيد ما أراد بذلك وظنَّ أنه قال ذلك لما أعجبه من حُسْنها، فجاء النبي ﷺ فقال له: يا رسول الله ان امرأتي في خلقها سوء وإنني أريد طلاقها - وإنما صنع ذلك لكي يتزوجها النبي بعد انقضاء عدتها

إذا أراد ذلك - فقال له النبي ﷺ: «أمسك عليك زوجك واتق الله»^(١).

فأخفى النبي ذلك في نفسه (لأنه يعلم الغيب وما ستجري إليه الأمور) ولم يبدئه لزيد وخشى الناس (لأنهم رأوا النبي قد تزوجها بعد انقضاء عدتها) أن يقولوا إن محمداً يقول لمولاه إن امرأتك ستكون لي زوجة، فيعيبونه بذلك، فقال: أمسك عليك زوجك واتق الله^(٢)، ولكنه كان يعلم أنه سيطلقها وأن الله سيزوجها من نبيّه، فهل كان يصحّ من النبيّ بمجرّد علمه بأنها ستكون زوجته قبل أن يتزوجها أن يجري عليها أحكام الزوجية؟ وهل كان يصحّ من النبيّ ﷺ أن يقيم حكم الارتداد على طائفة من أمته لعلهم أنهم سيرتدون بعد وفاته؟ لاشك أن الجواب هو النفي.

فلو أراد النبي ﷺ أن يحكم بعلمه ما استطاع أن يقرب أحداً إلى نفسه بل لطرد الناس من حوله وأقام حكم الردّة على بعض من سيرتد من أصحابه. فمثلاً: الزبير بن العوام عمته السيّدة خديجة الكبرى ﷺ وصاحب النبي وأمير المؤمنين، دافع عنهما طيلة حياته ونصر الإسلام في مواطن كثيرة سجّلها التاريخ، وقد كُسر سيفه في إحدى الغزوات، فأخذ النبي ﷺ خشبةً يابسة من على الأرض فأمر يده المباركة عليها فإذا هي سيف مصقول أعطاه للزبير يقاتل به، كل ذلك والنبي ﷺ يعلم مصير الزبير وعاقبة أمره وأنه سيرتد ويقاتل أمير المؤمنين ﷺ آخر أيام حياته في معركة الجمل ظالماً له، مع ذلك لم نسمع أو نشهد موقفاً من النبي ﷺ أو

(١) سورة الأحزاب، الآية ٣٧.

(٢) بحار الأنوار، ج ١١، ص ٨٣؛ تفسير القمي، ج ٢، ص ١٧٢ (في ذيل الآية ٣٦ من سورة الأحزاب).

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام تعاملوا مع الزبير بعلمهم الغيبي فيه، بل كثيراً ما كانوا يُشخصونه في مهام رسالية، فقد أرسله النبي صلى الله عليه وآله مع أمير المؤمنين عليه السلام في عشرين رجلاً إلى «دومة الجندل»^(١) كما اصطحبه أمير المؤمنين عليه السلام معه لدفن الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام^(٢).

لقد كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يعرف قاتله لكنه لم يقتله ولم يأمر بقتله، وحين سُئل عن سبب ذلك قال: لا يجوز القصاص إلا بعد الجناية، والجناية لم تحصل منه^(٣).

وحين نقرأ التاريخ نجد أن رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام لم يقيموا عداً مع بني العباس قبل جنایاتهم مع علمهم وإخبارهم بأنهم سيرتكبون في حقهم الظلم والاضطهاد. أو هل يصحّ قطع يد السارق قبل سرقة، أو قصاص القاتل قبل جنايته، أو الخائن قبل خيانه؟ فلا يحكم بالخيانة على من لم يرتكبها بعدُ تمسكاً بقوله تعالى «وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً»^(٤).

وقد ثبت في الشرع عدم ترتيب آثار وأحكام الجناية قبل ثبوتها. ومن هذا الباب، قضية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حين اختار الولاية وأرسلهم إلى الولايات في أيام خلافته فخانوّه في أمر الولاية^(٥)، فإن الإمام كان يعلم بذلك ولكنه كان مأموراً أن يتعامل مع الناس بالظاهر، كما أن علم

(١) دومة الجندل منطقة تقع بين المدينة والشام.

(٢) فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد، ص ٤٠٧.

(٣) بحار الأنوار، ج ٤٢، ص ٢٧٨ (باب ١٢٧).

(٤) سورة النساء، الآية ١٠٥.

(٥) نهج البلاغة، الكتاب ٤١ و ٧١.

الرسول ﷺ والإمام ﷺ بارتداد الزبير لم يمنعهما عن الوثوق به في أمورهم، وكذلك لم يمنع الإمام موسى بن جعفر ﷺ أن يعين زياد بن مروان وعلي بن أبي حمزة الباطني وكيلين من قبله مع علمه بما سينتهي إليه أمرهما من الخيانة في الأموال وإنكار الإمامة من بعده^(١)، ولم يكلف الإمام أن يحكم بعلمه أو يخبر كل قوم بما استبطنوه، بل يجري معهم ما جروا.

فمعرفة الرسول ﷺ والأئمة ﷺ بتقديرات الناس وعلمهم بالغيب لم يخرجهم عن حد الاعتدال في تعاملهم مع الناس وأن يعملوا بعلمهم، بل كانوا يسلّمون لأمر الله تعالى ويرضون بقضائه وقدره، وما حدث خلاف ذلك في موارد معينة فكان بإذن الله ولاقتضاء المصلحة، وهذا معنى قوله ﴿عِبَادُ مَكْرُومٌ ۖ لَا يَسْقُونَهُ إِلَّا قَوْلٌ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ (٢). فهم مسلّمون لله، راضون بقضائه وقدره، وهم في أعلى درجات العلم والمعرفة، وقد أكرمهم الله وعلمهم وأقدرهم على كل شيء، وهذه هي السلطنة والخلافة والولاية الحقّة الإلهية التي أردنا إثباتها في هذا الكتاب^(٣).

أهل البيت ﷺ والولاية التكوينية

قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾.

(١) معجم رجال الحديث، ج ٧، ص ٣١٥، الرقم ٤٨٠١، وج ١١، ص ٢١٤، الرقم ٧٨٣٢.

(٢) سورة الأنبياء، الآيتين ٢٦ - ٢٧.

(٣) وقد ذكر المصنف تفصيل ذلك في كتاب علم الغيب، ص ٢١٧.

فعن أبي جعفر عليه السلام قرأ هذه الآية، فقال: «نحن الناس المحسودون على ما آتانا الله من الإمامة دون خلق الله جميعاً»^(١).

لا يخفى أن الآيات القرآنية اذا انضمت إليها تفسير العترة الطاهرة تثبت الولاية التكوينية والتشريعية لأئمة أهل البيت عليهم السلام، فعندها يجب الإيمان بهذه الولاية والاعتقاد بها وبذلك تدحض شبهات المنكرين والجاهلين.

يراد بالملك العظيم في هذه الآية المعاني التالية: السلطة، السلطنة، الطاعة المطلقة ليس على المكلفين فحسب بل يشمل جميع الكائنات من الإنس، والجن، والشياطين، والريح، والنمل، وجميع الطير، والوحش، والدواب.

وفي الروايات المتواترة عنهم صلوات الله عليهم: فنحن المحسودون على ما آتانا الله من الإمامة دون خلق الله جميعاً عليهم السلام فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا عليهم السلام يقول الحديث: فجعلنا منهم الرُّسل والأنبياء والأئمة، فكيف يَقْرُونَ بذلك في آل إبراهيم وينكرونه في آل محمد عليه السلام؟!^(٢)

وذكر الحافظ الحاكم الحسكاني الحنفي وهو من علماء العامة في

(١) سورة النساء، الآية ٥٤ وذكر الكافي هنا ٥ روايات، ج ١، ص ٢٠٥ (باب أن الأئمة عليهم السلام ولاية الأمر وهم الناس المحسودون)، والبصائر ٩ روايات، ج ١، ص ٨٩ (باب ١٧) وتفسير البرهان، ج ٣، ص ١١٨، ح ٢ [٢٤٢٤، فما بعد] ونور الثقلين، ج ٢، ص ٧٦، ح (٢٩٧ إلى ٣١٢) ٢٠ رواية، وكذلك بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ٢٨٣ - ٣٠٤ (باب ١٧): وجوب طاعتهم... ٦٠ رواية صحيحة ومعتبرة أنها في أهل البيت عليهم السلام.

(٢) بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ٢٩٠، ح ١٧.

كتاب شواهد التنزيل^(١) روايات حاصلها أن المحسودين في هذه الآية هم آل محمد وهم آل إبراهيم الذين أعطاهم الله علم الكتاب (القرآن) والحكمة، وفرض طاعتهم على الناس.

قيل: أن المقصود من آل إبراهيم في هذه الآية أنبياء بني إسرائيل كيوسف وداود وسليمان، والشاهد على ذلك أن لفظة آتينا فعل ماض فهو يخبر عن أنبياء سابقين.

أقول: قد استعمل لفظ الآل في القرآن الكريم وروايات أئمة أهل البيت عليهم السلام وأريد منه معنى عام يشمل كل الأقرباء والتابعين. فمثلاً: آل موسى وآل هارون وآل عمران هم أولاده وتابعوه كما أن آل فرعون وآل زياد وآل مروان هم التابعون لهم. وآل إبراهيم هنا يعم جميع أولاده بما فيهم ملوك الروم ٧٠,٠٠٠ نبي من نسله الطاهر وكذلك أئمة أهل البيت عليهم السلام وجميع المؤمنين التابعون له. ومن البديهي أن الآية هنا لم تقصد جميع أولاده والسبعين ألف نبياً من نسله والمؤمنين التابعين لهم؛ لوضوح تحديد العطاء هنا لفئة خاصة خصّهم الله بالكتاب والحكمة دون غيرهم.

ثم إن الالتزام بأن العطاء هنا هو لبعض الأنبياء والتشكيك في دخول النبي الأعظم عليه السلام والأئمة الإثني عشر في آل إبراهيم وإقصائهم عن هذه الفضيلة علماً بأنهم أجل وأفضل وأكمل مصاديق آل إبراهيم تحكّم بلا دليل وقول من غير علم.

وكثيراً ما نجد في القرآن الكريم آيات لفظها عام ولكن أريد منها فئة معينة كآية الولاية، وأولي الأمر، والتطهير، وغيرها.

(١) شواهد التنزيل، ج ١، ص ١٨٣، ح ١٩٥ و ١٩٨.

من هنا، فعود الضمير في ﴿وَأَتَيْنَهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾^(١) يختص بفئة معينة من آل إبراهيم، والشاهد على ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْجِعْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾^(٢) والضمير في بعولتهن يعود إلى النساء المطلقات ذوات العدة، حيث يمكن للزوج الرجوع إليهن، لا المطلقة بالطلاق البائن الذي لا رجوع فيه.

ولو قلنا بأن المقصود بالبعض هو أهل بيت رسول الله والأئمة المعصومون عليهم السلام، كما هو الحق، فلا ينافي ذلك فعل ﴿وَأَتَيْنَا﴾ المذكور في الآية الدالّة على الزمن الماضي أي قبل نزول الآية، فهو ينبىء عن العطاء الإلهي الذي هو الكتاب والحكمة والملك العظيم المهداة إلى رسول الله ﴿أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ﴾^(٣) وأهل بيته عليهم السلام الأئمة الإثني عشر^(٤).

وأما الدلالة هنا فهي دلالة إلى العوالم السابقة كعالم الأظلة والأشباح والأرواح، فالاجتباء والاصطفاء واللفظ الإلهي لهؤلاء الصفوة ناشئ من تلك العوالم، وبسبب هذا العطاء الإلهي أخذت بوادر الحسد تظهر على الحاسدين فكانت هذه الآية نوع إخبار لرسول الله ﷺ تنبئه بما يجري على أهل بيته عليهم السلام من بعده.

والمراد بالملك العظيم في هذه الآية السلطنة والرياسة وفرض

(١) سورة النساء، الآية ٥٤.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٢٨.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٦٨.

(٤) الكافي، ج ١، ص ٤١٦، ح ٢٠.

الطاعة على جميع الخلق المكلفين والحيوانات والكائنات، ومن ذلك طاعة جهنم لهم يوم القيامة كما في رواية الإمام الصادق عليه السلام لهشام^(١)، رواها الثقة الجليل الصفار في كتاب البصائر، والمجلسي في البحار^(٢).

وفي كتاب البصائر^(٣) وتفسير القمي وتفسير البرهان^(٤) وتفسير نور الثقلين^(٥) والبحار^(٦) وغيرها روايات كثيرة أن الملك العظيم هي فرض الطاعة. فقد سئل الإمام: ما ذلك الملك العظيم؟ قال عليه السلام: فرض الطاعة^(٧). وبإطلاقه يدل على وجوب طاعة كل شيء لهم عليهم السلام كما في خبر شق القمر، وقد هبط جبرئيل على رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله إن الله يقرئك السلام ويقول لك: إني قد أمرت كل شيء بطاعتك^(٨).

وقال الإمام الحسين عليه السلام: «والله ما خلق الله شيئاً إلا وقد أمره بالطاعة لنا»^(٩).

(١) عن هشام بن الحكم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أم يحسدون الناس... الآية، ما ذلك الملك العظيم؟ قال: فرض الطاعة؛ ومن ذلك طاعة جهنم لهم يوم القيامة يا هشام. بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ٢٨٧، ح ٩.

(٢) بصائر الدرجات، ج ١، ص ٨٩، ح ١ (باب ١٧)؛ بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ٢٨٧، ح ٩ (باب ١٧)، وجوب طاعتهم وإنها المعنى بالملك..

(٣) المصدر السابق.

(٤) البرهان، ج ٣، ص ١١٩، ح ٢ [٢٤٢٤].

(٥) نور الثقلين، ج ٢، ص ٧٦، ح ٢٩٧ إلى ٣١٢.

(٦) بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ٢٨٣ - ٣٠٤ (باب ١٧ وجوب طاعتهم).

(٧) الهامش (١).

(٨) بحار الأنوار، ج ١٧، ص ٣٥٢، ح ١ (باب ٣: ما ظهر له شاهداً على...).

(٩) بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ١٨٣، ح ٨.

وقد وردت روايات أخرى فسّرت الملك العظيم هنا بالإمامة الكبرى والخلافة العظمى. وبما أن لهم ﷺ الحجة على الخلق، فهذا يعني أن عندهم الإحاطة والقدرة على جميع الخلق. وسيأتي تفصيل ذلك في الفصول القادمة، إن شاء الله.

ومما مضى اتضح ما أردنا إثباته من الولاية التكوينية لأهل البيت ﷺ، فإن الله الذي خلق الخلائق وأوجدها بقدرته إن شاء أبقاها أو أهلكها، أمر الخلق أن يتقادوا لمحمد وآل محمد، عليهم الصلاة والسلام.

وبعبارة أخرى: فقد سخر الله لنبية الكريم والأئمة المعصومين كل شيء. عن الإمام الصادق ﷺ: سبحان الذي سخر للإمام كل شيء^(١).

ولو أراد الإمام بالقدرة التي أقدره الله عليها أن يستخدم هذه القدرة ويستعملها في أعدائه كأن يسلب منهم القدرة والاختيار، لفعل ذلك بما أعطاه الله عزّ وجلّ، ولكن الله جعل الدنيا دار اختبار وامتحان، والخلق مختارون فيها. وأساساً هدف الخلقة هي الهداية الاختيارية لا الجبرية؛ «لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ يُحْيِيَ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ» فإنهم، صلوات الله عليهم، لا يعملون بالإعجاز إلا في موارد خاصة ولمصالح هامة. وفي كلّ الأحوال، فهم مسلمون لله راضون بقضائه وقدره، وهم أمناء على تقاديره تعالى.

وسيأتي شرح هذا البحث في الفصل الأول من الكتاب ضمن ١٤ باباً. وفي الفصل الثاني، يتم الرد على شبهات أثّرت في هذا الموضوع. وفي الختام، سنجيب على بعض الأسئلة التي عرضت على هامش هذا البحث.

(١) مستدرک سفینه البحار، ج ٤، ص ٥٠٨؛ مدينة المعاجز، ج ٦، ص ١٠٠.

الباب الأول

في إثبات الولاية التكوينية
للنبي ﷺ والأئمة عليهم السلام

الفصل الأول

في معنى لفظة «المُلْك»

وتفسير الآيات المذكورة فيها

لفظة الملك وذكر مَنْ وهب الله لهم الملك
وهم يوسف الصديق وطالوت وداود وسليمان
على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام

الملك عبارة عن التسلط، والاستيلاء، والرئاسة، وولاية التصرف
على العباد والبلاد.

والمملكة هي حدود هذه الرئاسة وهو كل ما يقع تحت هذا التصرف
والاستيلاء والسلطنة.

والمَلِكُ صاحب المُلْك^(١) الذي في يده القدرة والسلطنة والرئاسة.
والفارق بين المَلِك والمَالِك هو أن استيلاء الملك أكثر من استيلاء
المالك.

(١) أقرب الموارد، ج٦، ص٢٦٢.

والمُلك من اختصاصات الله عزّ وجلّ فهو مالك كلِّ ملك لا يشاركه فيه أحد، يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء .

قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾^(١).

فلو أعطى لأحد عباده السلطنة والولاية فلا يكون شريكاً لله في ملكه بل هو عطاء منه عزّ وجلّ يعطي لمن يشاء السلطنة والولاية المطلقة . وعطاؤه هذا لا ينافي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ لَكُمْ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾^(٢) إذ لا ينقص من ملكه شيء، لأنه أملك وأقدر ممن ملكه وأقدره فيأخذه منه متى شاء .

النبي يوسف والمُلك الإلهي

وقد أعطى الله المُلك إلى يوسف الصديق فحكم أهل مصر والقرى التي من حولها حتى اليمن فقال ﷺ كما في القرآن الكريم ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾^(٣).

مُلك طالوت وقصة النبي داوود

بدأت قصة طالوت وجالوت وداوود كما يحدثنا القرآن الكريم في أن جماعة من بني إسرائيل وبعد وفاة النبي موسى، طلبوا من نبيهم أن ﴿أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُنْقِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٤) ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ

(١) سورة آل عمران، الآية ٢٦ .

(٢) سورة الفرقان، الآية ٢ .

(٣) سورة يوسف، الآية ١٠١ .

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٤٦ .

طَالُوتٌ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ ﴿٢٤٨﴾ الْآيَات (١).

فقبلوا بذلك وسار بهم الجيش يقودهم طالوت حتى إذا برزوا لجالوت وجنوده ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا مَبْذَرًا وَنَحْنُ أَقْدَامُنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٢٤٩﴾ فَهَرَمُوهُمْ يَوْمَئِذٍ اللَّهُ وَفَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴿٢٥٠﴾ وهذا الملك وهذه الحكمة هي

(١) سورة البقرة، الآيات ٢٤٧ - ٢٤٨. وقد وردت روايات عن حقيقة تابوت بني إسرائيل في مستدرك سفينة البحار، ج ١، ص ٤٦٧ في لغة «تبت» وهو التابوت الذي أنزله الله على موسى فوضعت فيه أمه وألقته في اليم، فكان في بني إسرائيل يتبركون به. فلما حضر موسى الوفاة وضع فيه الألواح (التوراة) ودرعه وما كان عنده من آيات النبوة وأودعه يوشع وصيه، فلم يزل التابوت بينهم حتى استخفوا به، وكان الصبيان يلعبون به في الطرقات، فلم يزل بنو إسرائيل في عزٍّ وشرف ما دام التابوت عندهم، فلما عملوا بالمعاصي واستخفوا بالتابوت رفعه الله عنهم، فلما سألوا النبي وبعث الله إليهم طالوت ملكاً يقاتل معهم ردَّ الله عليهم التابوت، كما قال الله: (إن آية ملكه أن يأتكم التابوت) وهذا التابوت اليوم مع سائر آثار النبوة عند رسول الله ﷺ والأمة ﷺ.

(٢) سورة البقرة، الآيتان ٢٥٠ - ٢٥١.

خرج داود ﷺ وإخوته وأبوهم لما فصل طالوت بالجنود وتخلف عنهم داود وقال ما يصنع بي في هذا الوجه واستهان به إخوته وأبوه وأقام في غنم أبيه يرعاها فاشتدت الحرب وأصاب الناس جهد فرجع أبوه وقال لداود احمل إلى إخوانك طعاماً يتقوّون به على العدو وكان ﷺ رجلاً قصيراً قليل الشعر طاهر القلب أخلاقه نقيه فخرج والقوم متقاربون بعضهم من بعض قد رجع كل واحد منهم إلى مركزه فمرَّ داود على حجر =

من فضل الله وعطائه لداود، وكان مما تفضل به الله عليه أنه أمر الجبال أن تسبح معه كما لين له الحديد وأمره بصنع الدرع فقال عز من قائل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالُ أَوْبِي مَعَهُ وَالظَّيْرُ وَالنَّارُ لَهُ الْحَدِيدُ ۝ أَنْ أَعْمَلَ سَيِّغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَليحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝﴾^(١).

وفي المناقب لابن شهر آشوب روى جماعة عن خالد بن الوليد أنه قال: رأيت علياً يسرد حلقات درعه بيده ويصلحها فقلت: هذا كان لداود عليه السلام. فقال: يا خالد بنا ألان الله الحديد لداود فكيف لنا؟^(٢).

= فقال الحجر له بنداء رفيع يا داود خذني فاقتل بي جالوت فإني إنما خلقت لقتله فأخذه ووضع في مخلاته التي كانت يكون فيها حجارتها التي كان يرمي بها غنمه فلما دخل العسكر سمعهم يعظمون أمر جالوت فقال لهم ما تعظمون من أمره فوالله إن عاييته لأقتلنه فتحدثوا بخبره حتى أدخل على طالوت فقال له يا فتى ما عندك من القوة وما جربت من نفسك؟ قال: قد كان الأسد يعدو على الشاة من غنمي فأدركه وأخذ برأسه وأقلب لحيه عنها فأخذاها من فيه. وقد كان الله تبارك وتعالى أوحى إلى طالوت أنه لا يقتل جالوت إلا من لبس درعك فملأها فدعا بدرعه فلبسها داود فاستوت عليه فراع ذلك طالوت ومن حضره من بني إسرائيل فقال عسى الله أن يقتل جالوت به فلما أصبحوا والتقى الناس قال داود: أروني جالوت، فلما رآه أخذ الحجر فرماه به فصك به بين عينيه فدمغه وتنكس عن دابته فقال الناس قتل داود جالوت وملكه الناس حتى لم يكن يسمع لطالوت ذكر واجتمع عليه بنو إسرائيل، بحار الأنوار، ج ١٣، ص ٤٤٦. وفي تفسير العياشي، ج ١، ص ١٥٤، ح ٤٤٦؛ مجمع البيان، ج ١، ص ١٥١؛ البرهان، ج ١، ص ٥٥٢، ح ١١.

(١) سورة سبأ، الآيتان ١٠ - ١١ (أوبى معه) سبّحي أو رجعي معه التسبيح (اعمل سابغات) دروعاً واسعة كاملة - (قدّر في السرد) أحكم صنعتك في نسج الدروع.

(٢) بحار الأنوار، ج ٤١، ص ٢٦٦، ح ٢٢ (باب ١١٢: ما ظهر من معجزاته عليه السلام)؛ المناقب، ج ٢، ص ٣٢٥ (فصل في طاعة الجمادات له عليه السلام).

وفي رواية أخرى؟ أنه ﷺ أُلين له الحديد ولوّاه في عنق خالد^(١).
وفي سورة ص قال تعالى: ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ ۝١٦﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ
وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾^(٢). (٣).

النبي سليمان والمُلْك الإلهي

وورث سليمان المُلْك والعلم من داوود، فسأل ربّه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾^(٤). (٥).

(١) مستدرک سفینه البحار، ج ٢، ص ٢٤٥ في لغة الحداد، وفي البحار، ج ٤١، ص ٢٧٧،
ح ٣ (باب ١٣ من كتاب تاريخ نينا).

(٢) سورة ص، الآيتان ١٩ و ٢٠.

(٣) عن الصادق ﷺ: إن داوود ﷺ لما جعله الله عز وجل خليفة في الأرض وأنزل عليه الزبور أوحى الله عز وجل إلى الجبال والطير أن يسبحن معه وكان داود يمشي على قدميه ويقرا الزبور وكان إذا قرأ الزبور لا يبقى حجر ولا شجر ولا جبل ولا طائر ولا سبع إلا يجاوبه. بحار الأنوار، ج ١٤، ص ٢٢.

(٤) سورة ص، الآية ٣٥.

(٥) عن علي بن يقطين قال: قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر ﷺ: أيجوز أن يكون نبي الله عز وجلّ بخيلاً؟ فقال: لا. فقلت له: فقول سليمان (رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي) ما وجهه ومعناه؟ فقال: الملك ملكان، ملك مأخوذ بالغلبة والجور وإجبار الناس، وملك مأخوذ من قبل الله تعالى ذكره كملك آل إبراهيم وملك طالوت وملك ذي القرنين، فقال سليمان ﷺ: هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي أن يقول إنه مأخوذ بالغلبة والجور وإجبار الناس، فسخر الله عز وجلّ له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب، وجعل غدوها شهراً ورواحها شهراً وسخر الله عز وجلّ للشياطين كلّ بناء وغواص، وغلّم منطق الطير ومكّن في الأرض فعملّم الناس في وقته ومن بعده أن ملكه لا يشبه ملك الملوك المختارين من قبل الناس والمالكيين بالغلبة والجور. بحار الأنوار، ج ١٤، ص ٨٥، ح ١. نقلاً عن علل الشرايع، للصدوق =

ثم إن الله استجاب دعاء سليمان قال تعالى: ﴿فَسَحَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ (٣٧) وَآخَرِينَ مَقْرِنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٣٨) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٩) (١).

قال الصادق عليه السلام: جعل الله عز وجل ملك سليمان في خاتمه، فكان إذا لبسه حضرته الجن والإنس والشياطين وجميع الطير والوحش وأطاعوه فيقعده على كرسيه. ويبعث الله عز وجل رياحاً تحمل الكرسي بجميع ما عليه من الشياطين والطير والأنس والدواب والخيول فتمر بها في الهواء إلى موضع يريده سليمان عليه السلام، وكان يصلي الغداة بالشام ويصلي الظهر بفارس (٢).

لا يخفى أن جميع هذه المواهب المذكورة في الآية والروايات الواردة في هذا الموضوع هي من آثار ومصاديق الملك الذي وهبه الله تعالى لسليمان. ويستفاد من قوله ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾ (٣) أن الريح كانت مسخرة له وفي طاعته في كل ما يأمرها وفي صريح الآية والروايات تسخير الجن والشياطين له وأنها كانت تحت إمرته، وهذه السلطنة والولاية على الخلق هي عطاء الله تعالى له.

وفي رواياتنا المتواترة القطعية أن رسول الله ورث علم من كان قبله من الأنبياء والمرسلين، ولم يعط الأنبياء شيئاً إلا وقد أُعطي رسول

= ج ١، ص ٧١ (باب ٦٢ العلة التي من أجلها قال سليمان...)، ح ١.

(١) سورة ص، الآية ٣٦ - ٣٩.

(٢) مجمع البحرين في لغة «ملك»؛ تفسير القمي، ج ٢، ص ٢٣٨.

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٨١.

الله ﷻ ذلك مع زيادة. وقد ورثه الأئمة الإثنا عشر ﷺ منه ﷺ^(١). ولا يخفى أن جميع العلوم وسائر الكمالات المعطاة للمخلوق هي من لطف الله عز وجل، فإن المخلوق فقير عاجز بالذات وكل ما يُعطى له هي إفاضة من الغني بالذات.

وتحدث ربنا عن ملك سليمان في سورة سبأ فقال: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَاطِرِ وَمِنَ الْجَبِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ يَافِئِينَ رَبِّهِ وَمَن يَبِغِ مِنْهُمْ عَن أَمْرٍ نَّذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ٧﴾ ﴿يَعْمَلُونَ لِمَا يُشَاءُ مِن تَحَرِّبٍ وَتَمَثِيلٍ فِي جَفَانٍ كَلْجَوَابٍ وَقُدُورٍ رَّاسِيتٍ﴾^(٢).

وقال في سورة النمل: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ (فصار سلطاناً ملكاً) ﴿وَقَالَ يَتْلِيَهَا أُنَاسٌ عَلِمْنَا مَنَاقِبَ الطَّيْرِ وَأَوْثِنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ١٦﴾ وَخُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِبِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَتْلِيهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُم لَّا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَنَبَسَهُ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَن أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَن أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾^(٣).

ورد في دعاء علوي المصري المعروف المنقول عن صاحب العصر والزمان «عج»:

«إلهي وأسألك اللهم بالاسم الذي سألك به عبدك ونبيك سليمان بن

(١) الكافي، ج ١ ص ٢٢٤ (باب ان الأئمة ورثوا...)؛ بحار الأنوار، ج ١٧، ص ١٣٠ -

١٤٦، وج ١٨ و ٢٦.

(٢) سورة سبأ، الآيتان ١٢ و ١٣.

(٣) سورة النمل، الآيات ١٦ - ١٩.

داوود إذ قال رب هب لي مُلكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعدي إنك أنت الوهاب فاستجبت له دعاءه وأطعت له الخلق وحملته على الريح وعلمته منطق الطير وسخرت له الشياطين من كل بَنَّا وغَوَاصٍ وآخرين مقرنين في الأصفاد^(١). يستفاد من هذا الدعاء أن حقيقة مُلك سليمان هو إطاعة الخلق له، والعبارات التالية لبيان حدود ومصاديق هذه الإطاعة.

مقارنة بين مقام النبي سليمان ﷺ والأئمة الأطهار ﷺ

حين نتأمل هذه الآية نجد أن القرآن الكريم هنا لم يصف ملك النبي سليمان بالعظمة ولكنه حين يتكلم عن آل إبراهيم رسول الله ﷺ والأئمة الأطهار ﷺ في موضع آخر يصف ملكهم بالعظمة فقال عزّ من قائل: ﴿وَأَتَيْنَهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾^(٢).

إذا قارنا بين هذه الآية: ﴿وَأَتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٣) وبين قوله تعالى في سورة ياسين: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾^(٤) لإتضح لنا بعض سمات المفاضلة بين آل إبراهيم وهم محمد وآل محمد وآل داوود؛ فحرف «من» في الآية الأولى تأتي للتبعيض في جملة معانيها، فعبرة ﴿وَأَتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يختلف عن عبارة (وَأَتَيْنَا كُلَّ شَيْءٍ).

وحين تحدث القرآن عن الإمام المبين في الآية الثانية أحصى الله فيه

(١) كتاب الدعاء والزيارة، للمرجع الديني السيد محمد الشيرازي «رحمه الله» دعاء علوي المصري؛ بحار الأنوار، ج ٩٥، ص ٢٧٢، ح ٣٦ (باب ١٠٧: الأدعية والأحراز...).

(٢) سورة النساء، الآية ٥٤.

(٣) سورة النمل، الآية ١٦.

(٤) سورة يس، الآية ١٢.

في معنى لفظة «المُلْك» وتفسير الآيات المذكورة فيها ٦٧

علم كل شيء والإمام المبين هو «خليفة الله» في الأرض. وقد عين رسول الله ﷺ مصداق ذلك الإمام المبين في خطبته يوم الغدير، حيث قال كما في الإحتجاج: «معاشر الناس ما من علم إلا وقد أحصاه الله فيّ وما من علم إلا وقد علمته علياً وهو الإمام المبين»^(١).

وقد نقل الصدوق عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ قام رجلان^(٢) من مجلسهما فقالا: يا رسول الله هو التوراة؟ قال: لا. قالوا: فهو الإنجيل؟ قال: لا. قالوا: هو القرآن؟ قال: لا. قال: فأقبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال رسول الله ﷺ: هو هذا، إنه الإمام الذي أحصى الله تبارك وتعالى فيه علم كل شيء^(٣).

عن عمار بن ياسر عليه السلام قال: كنت عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في بعض غزواته فمررنا بواد مملوء نملاً فقلت: يا أمير المؤمنين، ترى يكون أحد من خلق الله تعالى يعلم عدد هذا النمل؟ قال: نعم يا عمار أنا أعرف رجلاً يعلم عدده وكم فيه ذكر وكم فيه أنثى. فقلت: من ذلك الرجل يا مولاي؟ فقال: يا عمار ما قرأت في سورة يس ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾؟ فقلت: بلى يا مولاي. فقال: أنا ذلك الإمام المبين^(٤).

(١) بحار الأنوار، ج ٣٥، ص ٤٢٨، ح ٣. وذكر تمام الحديث الشيخ الطبرسي في كتاب الإحتجاج.

(٢) هما أبو بكر وعمر.

(٣) الأماشي للصدوق، ص ٢٣٥، ح ٦ (المجلس الثاني والثلاثون).

(٤) الروايات المذكورة هنا بالإضافة إلى روايات أخرى مذكورة في هذا الشأن تؤكد هذا=

وقال تعالى عن القرآن المجيد: ﴿وَرَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(١) وقال أيضاً: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٢) ومن بديهيات المذهب الشيعي أن جميع علوم القرآن، مودعة عند رسول الله ﷺ وأئمة أهل البيت (عليهم السلام)، وحين نقرأ في سورة النمل حوار النبي سليمان مع الهدهد حين فقدته وشك في أمره، فسأله عن سبب غيبته تلك فقص عليه الطائر قصص مملكة بلقيس. حينها طلب سليمان من جلسائه أن يحضروا له عرش الملكة بلقيس قبل دخولهم عليه مسلمين. فقال عند ذلك عفريت من الجن: أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك. قال سليمان: أريد أسرع من ذلك. عند ذلك، قال له الذي عنده علم من الكتاب وكان وصياً لسليمان واسمه «أصف بن برخيا»: أنا آتيك به (عرش بلقيس) قبل أن يرتد إليك طرفك^(٣).

= التفسير. ففي كتب تفسير البرهان، ج ٨، ص ١٧٥ ونور الثقلين، ج ٦، ص ١٦٧ وبحار الأنوار، ج ٣٥، ص ٤٢٧؛ ج ٣٧، ص ٢٠٨؛ ج ٤٠، ص ١٧٦؛ ج ٤٧، ص ٣٠. وذكر المصنف في كتبه مستدرك السفينة، ج ١، ص ١٩٥ في لغة «أمم»؛ أبواب الرحمة، ص ٥٤ - ٤٦، أركان الدين، ص ٦٦ - ٧٠؛ مقام القرآن والعثرة، ص ٣٦ - ٤٥، مواضع هذه الروايات. وما ورد في تفاسير العامة في معنى هذه الآية أنه اللوح المحفوظ فهو مخالف لظاهر القرآن ولا خبر يعضده كما أنه لا دليل له من الشارع. لعل المقصود من «الإمام المبين» إشارة إلى مقام الولاية ونورانية أمير المؤمنين (عليه السلام) فهو الحامل لنور الأنوار وهو النور الذي يضيئ كل شيء كما نقرأه في الدعاء «وَبُورُ وَجْهِكَ الَّذِي أَضَاءَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ» بحار الأنوار، ج ٩٧، ص ٣٦٤ (باب ٣٠). فإذا كان هذا النور قد أحاط بكل شيء وأحصى فيه كل شيء، يكون حامله أيضاً عالماً وقادراً على كل شيء.

(١) سورة النحل، الآية ٨٩.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٣٨.

(٣) سورة النمل، الآية ٤٠.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: ما زاد صاحب سليمان على أن قال بإصبعه هكذا (أشار بإصبعه) فإذا هو قد جاء بعرش صاحبة سبأ^(١).

وقد ذكر القطب في كتابه الخرائج، أن المسافة بين النبي سليمان وعرش بلقيس مسيرة خمسمائة فرسخ وبإشارة واحدة بإصبعه انشقت الأرض وطويت وأحضر العرش^(٢)، وقد تمت هذه العملية بعلم من الكتاب أي بعض الكتاب.

وفي إرشاد القلوب بالإسناد إلى المفيد يرفعه إلى سلمان الفارسي عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام يا سلمان أيهما أفضل محمد عليه السلام أم سليمان بن داود عليه السلام؟ قال سلمان: بل محمد عليه السلام. قال: يا سلمان فهذا آصف بن برخيا قدر أن يحمل عرش بلقيس من فارس في طرفه عين وعنده علم من الكتاب ولا أفعل أضعاف ذلك وعندي علم ألف كتاب^(٣).

لقد ورث أئمة أهل البيت عليهم السلام الأحد عشر من أبيهم أمير المؤمنين عليه السلام علم ألف كتاب و٧٢ حرفاً من الاسم الأعظم وفاقوا في

(١) بحار الأنوار، ج ١٤، ص ١١٠، ح ٢. وقد نقل هذا الخبر الشيخ المفيد بسند صحيح عن زرارة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ما زاد صاحب سليمان على أن قال بإصبعه هكذا، فإذا هو قد جاء بعرش صاحبة سبأ، فقال له حمران: كيف هذا؟ فقال: إن أبي كان يقول: إن الأرض طويت له إذا أراد طواها. الإختصاص، ج ١، ص ٢١٧.

(٢) الخرائج والجرائع، ج ١، ص ١٨ (الجزء الأول في معجزات النبي والأئمة عليهم السلام).

(٣) بحار الأنوار، ج ٢٧، ص ٢٨، ح ١٠؛ وفي مستدرک السفينة لغة «أصف»، ج ١، ص ١٤٢؛ وفي بحار الأنوار، ج ٥٤، ص ٣٤١، ح ٣١ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: عندي علم مائة ألف كتاب وأربعة وعشرين ألف كتاب.

علمهم وقدرتهم علم الأنبياء وقدرتهم، فلهم القدرة على إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص.

كما أن الدنيا في متناول أيديهم؛ فقد كان أمير المؤمنين عليه السلام يمدّ يده من على منبر الكوفة ويردّها وإذا فيها قطعة من الثلج اقتطعها من جبال الشام يقطر الماء منها، وقد ذكر هذا الخبر عمار وهو مذكور في باب قضاء الإمام عليه السلام ^(١).

عن المفيد في الاختصاص عن ابن أبي عمير عن أبان الأحمر قال: قال الصادق عليه السلام: يا أبان كيف ينكر الناس قول أمير المؤمنين عليه السلام لما قال لو شئت لرفعت رجلي هذه فضربت بها صدر ابن أبي سفيان بالشام فنكسته عن سريره، ولا ينكرون تناول آصف وصيّ سليمان عرش بلقيس وإتيانه سليمان به قبل أن يرتدّ إليه طرفه؟ أليس نبينا عليه السلام أفضل الأنبياء ووصيّ أفضل الأوصياء؟ أفلا جعلوه كوصيّ سليمان، حكم الله بيننا وبين من جحد حقّا وأنكر فضلنا ^(٢).

عن سدير قال: كنت أنا وجماعة من الشيعة في مجلس أبي عبد الله عليه السلام فقال: يا سدير، لِمَ تقرأ القرآن؟ قلت: بلى. قال: فهل وجدت في ما قرأت من كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتَاكَ

(١) بحار الأنوار، ج ٤٠، ص ٢٧٩، ح ٤٢ (باب ٩٧: تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام) نقلا عن فضائل بن شاذان ص ١٥٥.

(٢) بحار الأنوار، ج ٢٧، ص ٢٨، (باب ١٢: أن عندهم الإسم الأعظم) نقلا عن الاختصاص، ص ٢١٢.

يقول فجأة رأيت يد الإمام امتدت وحمل ذلك الكائن في الطرف الآخر من الغرفة. رأيت في عالم الرؤيا وقد مثل لي هذه القدرة.

في معنى لفظة «المُلْك» وتفسير الآيات المذكورة فيها ٧١

يَه. بَلْ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴿١﴾ قال: قلت: جعلت فداك قد قرأته. قال: فهل عرفت الرجل؟ وهل علمت ما كان عنده من علم الكتاب؟ قال: قلت أخبرني به. قال: قدر قطرة من الماء في البحر الأخضر، فما يكون ذلك من علم الكتاب؟ قال: قلت جعلت فداك ما أقلّ هذا.

فقال: يا سدير ما أكثر هذا أن ينسب الله عزّ وجلّ إلى العلم الذي أخبرك به. يا سدير، فهل وجدت في ما قرأت من كتاب الله عزّ وجلّ أيضاً ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدُ عِلْمٍ الْكِتَابِ﴾^(١) قال: قلت قد قرأته جعلت فداك. قال: أفمن عنده علم الكتاب كلّ أفهم أم من عنده علم الكتاب بعضه؟ قلت: لا بل من عنده علم الكتاب كلّ. قال: فاوماً بيده إلى صدره وقال: علم الكتاب والله كلّ عندنا، علم الكتاب والله كلّ عندنا^(٢).

عن أبي عبد الله عليه السلام قال الذي عنده علم الكتاب هو أمير المؤمنين عليه السلام وسئل عن الذي عنده علم من الكتاب أعلم أم الذي عنده علم الكتاب؟ فقال ما كان علم الذي عنده علم من الكتاب عند الذي عنده علم الكتاب إلا بقدر ما تأخذ البعوضة بجناحها من ماء البحر^(٣).

(١) سورة الرعد، الآية ٤٣.

(٢) الكافي، ج ١، ص ٢٥٧، ح ٣ «كتاب الحجّة» (باب نادر فيه ذكر الغيب)؛ وفي بصائر الدرجات، ج ١، ص ٤١٥ (باب مما عند الأئمة عليه السلام الجزء الخامس). «من عنده علم الكتاب» في الآية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ويتبعه الأئمة الهداة عليه السلام. وقد ورد هذا المعنى عندنا في روايات متواترة، وذكرها علماء العامة في تفاسيرهم عن النبي صلى الله عليه وآله أنه علي بن أبي طالب كما مرّ سابقاً.

(٣) تفسير القمي، ج ١، ص ٣٩٦ في ذيل آخر آية من سورة الرعد.

وإذا كان آصف بن برخيا وصي سليمان قد أوتي من القدرة بمقدار ما أوتي من العلم فتمكّن أن يأتي بعرش بلقيس في لحظة واحدة ويحضره عند سليمان، فكيف بمحمد وآل محمد ﷺ الذين أعطاهم الله علم الكتاب كلّه وسخر لهم كلّ شيء وفرض طاعتهم على جميع الخلائق، فكيف تكون قدرتهم وتصرفهم في الكائنات؟

عن أبي بصير قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل عليه المفضل ابن أبي عمر فقال: مسألة يا ابن رسول الله. قال: سل يا مفضل. قال: ما منتهى علم العالم؟ قال: قد سألت جسيماً ولقد سألت عظيماً، ما السماء الدنيا في السماء الثانية إلا كحلقة درع ملقاة في أرض فلاة، وكذلك كلّ سماء عند سماء أخرى، وكذا السماء السابعة عند الظلمة، ولا الظلمة عند النور ولا ذلك كله في الهواء ولا الأرضين بعضها في بعض ولا مثل ذلك كله في علم العالم (يعني الإمام) مثل مدّ من خردل دقّته دقّاً ثم ضربته بالماء حتى إذا اختلط ورغا، أخذت منه لعقة بإصبعك، ولا علم العالم في علم الله تعالى إلا مثل مدّ من خردل دقّته دقّاً ثم ضربته بالماء حتى إذا اختلط ورغا انتهزت منه برأس إبرة^(١).

ومع أن القرآن لم يصف ملك سليمان بالعظمة وقد كان باستطاعته أن يستخر الجنّ والإنس والشياطين والطير والرياح وكل شيء لخدمته، فكيف بمن وصف الله ملكه بالعظيم وعلمه ما كان وأقدره على كل شيء بحيث لا تخفى عليه أخبار الخلق وباستطاعته أن يتصرف فيهم كيف يشاء؟

(١) شرح نهج البلاغة (منهاج البراعة)، ج ٢، ص ٣١١؛ بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٣٨٥، (باب ١٣: غرائب أفعالهم وأحوالهم من كتاب نوادر الحكمة).

الفصل الثاني

في جهات علومهم ﷺ وأن عندهم جميع كتب الأنبياء

لقد أعطى الله محمداً ﷺ جميع ما أعطاه الأنبياء والمرسلين ثم ورثه أوصيائه الأئمة الأطهار ﷺ من الكتب المنزلة والآثار وآيات الأنبياء والمرسلين: صحف آدم وإدريس وإبراهيم، وتوراة موسى، وإنجيل عيسى، وزبور داود، وعصا موسى التي أنزلت من الجنة وورثها شعيب، ثم ورثها موسى فكان يضرب بعصاه الحجر فتنفجر منه اثنتا عشرة عيناً، وإن الحجر اليوم والتابوت وقميص يوسف الذي نزل على إبراهيم من الجنة وورثه إسحاق فصارت بعده إلى يعقوب، ثم صارت إلى يوسف فأرسله إلى أبيه بعد أن ابيضت عيناه من الحزن فألقاه على وجهه فارتد بصيراً ودرع داود، وخاتم سليمان وجميع ما أعطاه الله لأنبيائه فقد انتهى جميع ذلك إلى آل محمد ﷺ .

في الكافي باب أن الأئمة ﷺ ورثوا علم النبي ﷺ وجميع الأنبياء والأوصياء الذين من قبلهم بسند صحيح عن أبي بصير عن أبي عبد الله

الصادق عليه السلام قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا أبا محمد إن الله عز وجل لم يعط الأنبياء شيئاً إلا وقد أعطاه محمداً عليه السلام. قال: وقد أعطى محمداً جميع ما أعطى الأنبياء وعندنا الصحف التي قال الله عز وجل: ﴿صُحُفَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ (١). قلت: جعلت فداك، هي الألواح؟ قال: نعم (٢).

ويسند صحيح عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال الزبور الذي أنزل على داوود وكل كتاب نزل فهو عند أهل العلم، ونحن هم (٣).

وفي الكافي عن عبد الحميد عن أبيه عن أبي الحسن الأول عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا قُرْءَانًا سُرِّتَ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمٌ بِهِ أَلْمُوتُ﴾ (٤) فقد ورثنا الله تعالى هذا القرآن ففيه ما يسير به الجبال ويقطع به البلدان ويحيا به الموتى، إن الله تعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٥) وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾ (٦) فنحن اصطفانا الله جل اسمه، فورثنا هذا الكتاب الذي فيه كل شيء (٧).

(١) سورة الأعلى، الآية ١٩.

(٢) الكافي، ج ١، ص ٢٢٥، ح ٥ (باب أن الأئمة ورثوا علم النبي وجميع الأوصياء...).

(٣) الكافي، ج ١، ص ٢٢٥.

(٤) سورة الرعد، الآية ٣١.

(٥) سورة النمل، الآية ٧٥.

(٦) سورة فاطر، الآية ٣٢.

(٧) بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ٦٥، ح ١٤٨ (باب ١: من كتاب الإمامة)، وقد ذكرت هذه الرواية في تفسير البرهان، ج ٨، ص ١٥٤، ونور الثقلين، ج ٦، ص ١٤٧، ح ٧٧؛ =

عَنْ أَبِي الْجَيْسَنِ الْأَوَّلِ ﷺ قَالَ الرَّاوي: قلت له: جعلت فداك أخبرني عن النبي ﷺ ورث النبيين كلهم؟ قال: نعم. قلت: من لدن آدم حتى انتهى إلى نفسه؟ قال: ما يعث الله نبياً إلاً ومحمد ﷺ أعلم منه. قال قلت: إن عيسى بن مريم ﷺ كان يُحيي الموتى بإذن الله. قال: صدقت وسليمان بن داود ﷺ كان يفهم منطق الطير، وكان رسول الله ﷺ يقدر على هذه المنازل. قال فقال: إن سليمان بن داود ﷺ قال لللهده حين فقدته وشك في أمره، فقال: ﴿مَالِكٌ لَا أَرَى الْهَٰذِهِدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾^(١) حين فقدته فغضب عليه، فقال: ﴿لَأَعَذِّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي سُلْطَانٌ مُّبِينٌ﴾^(٢) وإنما غضب لأنه كان يدلّه على الماء فهذا وهو طائر قد أعطي ما لم يعط سليمان وقد كانت الريح والنمل والجن والإنس والشياطين والمردة له طائعين ولم يكن يعرف الماء تحت الهواء وكان الطير يعرفه وإن الله يقول في كتابه ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْوَعْدُ﴾^(٣) وقد ورثنا نحن هذا القرآن الذي فيه ما تسير به الجبال، وتقطع به البلدان، وتحيا به الموتى، ونحن نعرف الماء تحت الهواء وإن في كتاب الله لآيات ما يراد بها أمر إلا أن يأذن الله به الخبر^(٤).

= وعن المناقب كما في ملحقات كتاب إحقاق الحق، ج ٧، ص ٥٩٢، ح ٦ (في علم

علي ﷺ) عن نتائج المؤدة للقندوزي عن المناقب.

(١) سورة النمل، الآية ٢٠.

(٢) سورة النمل، الآية ٢١.

(٣) سورة الرعد، الآية ٣١.

(٤) الكافي، ج ١، ص ٢٢٦، ح ٧.

ذكر الشيخ المفيد في كتاب الإرشاد عن المحدثين الثقة من العامة والخاصة أنهم رَوَوْا عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال ضمن خطبة شريفة:

«أيها الناس عليكم بالطاعة والمعرفة بمن لا تعذرون بجهالته فإن العلم الذي هبط به آدم وجميع ما فضلت به النبيون إلى خاتم النبيين في عترة محمد عليه السلام فأين يُتَاه بكم بل أين تذهبون يا من نسخ من أصلاب أصحاب السفينة هذه مثلها فيكم فاركبوها فكما نجا في هاتيك من نجا فكذلك ينجو في هذه من دخلها أنا رهين بذلك قسماً حقاً وما أنا من المتكلفين والويل لمن تخلف ثم الويل لمن تخلف أما بلغكم ما قال فيهم نبيكم عليه السلام حيث يقول في حجة الوداع إني تارك فيكم الثقليين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما، ألا هذا عذب فرات فاشربوا وهذا ملح أجاج فاجتنبوا»^(١).

وذكر الكافي خبرين في باب أن الأئمة عليهم السلام عندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله عز وجل وأنهم يعرفونها على اختلاف ألسنتها وأن عندهم جميع الكتب المنزلة^(٢).

كما ذكر ٥ روايات في باب ما عند الأئمة عليهم السلام من آيات الأنبياء مفاده أن كل نبي أو وصي نبي قد ورث علماً، فقد انتهى ذلك العلم إلى آل محمد عليهم السلام^(٣).

(١) الإرشاد، ج ١، ص ٢٣٢.

(٢) الكافي، ج ١، ص ٢٢٧ ح ١ - ٢ (باب أن الأئمة عندهم جميع الكتب)؛ بحار الأنوار، ج ١٤، ص ١١٣.

(٣) الكافي، ج ١، ص ٢٢٧ (باب أن الأئمة عندهم جميع الكتب).

في جهات علومهم ﷺ وأن عندهم جميع كتب الأنبياء ٧٧

وفي الزيارات الواردة عن المعصومين ﷺ أنهم ورثة آدم ونوح وموسى وعيسى ومحمد ﷺ وهي كثيرة^(١).

وقد تعددت الروايات الدالة على وراثة عتره النبي ﷺ لجميع علوم الأنبياء ﷺ، وسنشير في ما يلي إلى بعض تلك المصادر:

ذكر الثقة الجليل في كتاب البصائر جزء ٣، في الباب الأول (١٤) رواية؛ في الباب الثالث (٤) روايات؛ في الباب العاشر (١٥) رواية؛ في الباب الحادي عشر (٧) روايات؛ الجزء ٤، الباب الأول (٢٤) رواية؛ في الباب الرابع (٥٨) رواية؛ في الجزء السابع، الباب الثالث عشر (٣) روايات.

وفي بحار الأنوار^(٢) باب «علمه ﷺ وما دفع اليه من الكتب والوصايا وآثار الأنبياء...» وأنه يقدر على معجزات الأنبياء ذكر (٦٢) رواية» وقد دلت الروايات على وراثة الأئمة للنبي في جميع هذه العلوم والكلمات. وإضافة إلى هذه الروايات المذكورة، هناك روايات ذكرت في هذا الباب^(٣) وغيرها.

ومن ما أعطي الخضر من علم الغيب^(٤) فكان يحدث الآخرين بما سيجري عليهم بما علمه الله من الغيب (كما هو صريح بيان القرآن) فهو عند النبي ﷺ والأئمة الأطهار ﷺ مع إضافات كثيرة. وكذلك ما أعطي

(١) كما نقرأ ذلك في زيارة الجامعة «وَوَرَّثَهُ الْأَنْبِيَاءُ».

(٢) بحار الأنوار، ج ١٧، ص ١٣٠ - ١٥٥.

(٣) بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ١٨ و ١٥٩ و ٢٢٧.

(٤) سورة الكهف، الآيات ٧٠ - ٨٢.

عيسى بن مريم عليه السلام من العلم فكان ينبئ ما يدخره الناس في بيوتهم . وما أعطي يعقوب من العلم فحين قصَّ عليه يوسف رؤياه أنبأه بما سوف يجري عليه وأن الله سيَجْتِبه ويعلمه من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليه وعلى آل يعقوب كما أنمَّها على أبويه من قبل ، وحديث الإخوة أباهم بأكل الذئب ليوسف وبعدها خبرهم بذهاب بنيامين قال لهم ﴿يَبْنَئِ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾^(١) .

كذلك يوسف أنبأ إخوته عن الغيب فقال لهم : إذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا ، وفعلاً تحقَّق ما تحدَّث به ، ومرة أخرى يخبر يعقوب أولاده حيث تحركت قافلة إخوة يوسف في طريق عودتهم من مصر قال لهم : إني لأجد ريح يوسف^(٢) .

هنا لابد أن نتوقف وقفة لنسأل من المنكرين أو المشككين ، فنقول :

أفلا يكون جسم النبي ﷺ والأئمة الهداة عليهم السلام كقميص يوسف له من الأثر بحيث إذا وضع أحدهم يده على عيني أعمى برئ بإذن الله تعالى؟! أفلا يكون لهم عليهم السلام من علم الغيب ما كان ليعقوب ويوسف ذلك؟!

أفلا تكون لفاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ من الكرامة ما كان لمريم الصديقة والدة عيسى ﷺ حيث كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً فيتعجب من ذلك؟!

أفلا يكون أمير المؤمنين عليه السلام كعيسى بن مريم الذي حين ولد بشر أمه

(١) سورة يوسف ، الآية ٨٧ .

(٢) سورة يوسف ، الآيتان ٩٣ و٩٤ .

في جهات علومهم ﷺ وأن عندهم كتب الأنبياء ٧٩

وأشار إليها أن تهزّ بجذع النخلة لتساقط عليها رطباً جنيّاً فتأكل منه
وهذاها أن تصنع وتقول كذا لمن ينكر عليها أمرها ثم تكلم في المهد
ليثبت براءة أمه فقال: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾^(١)
فلماذا التشكيك في مولد الإمام أمير المؤمنين وقراءته للقرآن؟!

الفصل الثالث

علم النبي ﷺ والإمام علي عليه السلام بجميع علوم الأولين والآخرين

وأنهم لا يحجب عنهم علم السماء والأرض
ورد في النص الذي رواه ابن سنان عن الصادق عليه السلام أن الله سبحانه
وتعالى علمين: أحدهما استأثره الله لنفسه فلا يُطلع عليه أحداً من
الخلق، والآخر عام علمه ملائكته وأنبياءه ورُسُلُه، وقد وصل هذا العلم
من رسول الله ﷺ إلى الأئمة عليهم السلام.

وفي الكافي في باب البداء عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال:
إن الله علمين علم مكنون مخزون لا يعلمه إلا هو، من ذلك يكون البداء،
وعلم علمه ملائكته ورُسُلُه وأنبياءه فنحن نعلمه^(١).

(١) الكافي، ج ١، ص ١٤٧، ح ٦ (باب البداء)؛ وفي البصائر عنون مؤلف الكتاب باباً مستقلاً
(باب ٢٢ الجزء الثاني) فإنه صار إليهم جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء
وأمر العالمين، ج ١، ص ٢٢٩. وروى هنالك ١٨ رواية صحيحة ومعتبرة في ذلك.
وقد ذكرت ذلك بالتفاصيل في كتاب مقام القرآن والعتره، ص ٦٣، فراجع.

ذكرت هذه الرواية بسند آخر عن أبي بصير عن الإمام محمد الباقر عليه السلام وبهذا المضمون ذكرت بسند صحيح عن علي بن جعفر عن أخيه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام مع ثلاث روايات أخرى بهذا المضمون في كتاب الكافي ^(١) باب (أن الأئمة عليهم السلام يعلمون جميع العلوم التي خرجت الى الملائكة والأنبياء والرسل عليهم السلام). وقد علم من جميع هذه الروايات المذكورة في الفصول الثلاثة وهي ٢٠٠ رواية أن جميع العلوم والفضائل والكمالات المعطاة الى الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين وأوصيائهم مودعة عند الأئمة الإثني عشر. فلا تجد مخلوقاً أعطي علماً او فضلاً إلا وقد أعطي ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وأوصيائه عليهم السلام مع إضافات كثيرة بحيث يكون علم سائر الخلق بالنسبة الى علم محمد وآل محمد عليهم السلام كقطرة ملقاة في البحر ^(٢).

ولا يخفى أن هذا العلم هو عين القدرة التي بها تمكّن وصي سليمان آصف أن يتناول عرش بلقيس في أقلّ من طرفة عين ويضعه أمام سليمان؛ قال ﴿أَنَا أَنَا إِلَهُكَ﴾. وإذا كانت هذه القدرة هي نتيجة لذلك العلم فكيف بمن عنده علم الأولين والآخرين، كيف تكون قدرته؟ وهذا هو الملك العظيم الذي وهبه الله لآل إبراهيم (محمد وآل محمد) وهو نفوذ أمرهم وفرض طاعتهم على جميع الخلائق.

(١) الكافي، ج ١، ص ٢٥٥.

(٢) بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ٢٠٠، ح ١٢ (باب ١٥ : أنهم أعلم من الأنبياء).

الفصل الرابع

**أن للنبي ﷺ والإمام عليه السلام ولاية التصرف على
جميع الخلق
وما فرض الله على الخلق من الطاعة لهم ﷺ**

لا شك أن نتيجة الملك العظيم التي أعطاها الله لمحمد وآل محمد ﷺ هي الولاية والسلطنة والسلطة والقدرة على جميع الخلق، وما فرض الله على الخلق من الطاعة لهم ﷺ لا ينافي أي مرتبة من مراتب التوحيد، فإن حدوثه وبقائه هو بإرادة الله عز وجل وإن ما لديهم من العلم هو عطاء من الله لا بنحو الاستقلال؛ قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِقْمَةٍ مِنْ اللَّهِ﴾^(١) بل هو لما ملّكهم أملك، ولو شاء أمسك عليهم ذلك، وهذا معنى قوله تعالى (ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله)^(٢).

(١) سورة النحل، الآية ٥٣.

(٢) هذه هي عقيدة جميع علماء الدين والمجتهدين المتمسكين بذيل عنايات القرآن والعترّة الطاهرة من جملتهم؛ العلامة المحقق والفقيه الكامل الملا محمد باقر السبزواري صاحب كتاب الذخيرة والكفاية (في الفقه) في مناجاته المذكورة في الكتاب الفارسي =

لنفرض سلطاناً في مملكة يمنح لواحد ممن له الأهلية والقابلية من الذين أجهد السلطان نفسه في تعليمه وتهذيبه السلطة على بعض مقاطعات المملكة، ومنحه اختياراً تاماً في إدارتها، هل يتعارض اختياره في حيازته مع اختيار الملك التام؟
- كلا .

وسنشير في ما يلي إلى بعض الروايات التي لها دلالات تؤكد ولاية وسلطنة النبي وأهل بيته عليه السلام على جميع الخلائق كافة؛ منها عن يونس قال:

قال لي أبو عبد الله عليه السلام: اجتمعوا أربعة عشر رجلاً أصحاب العقبة ليلة أربع عشرة من ذي الحجة، فقالوا للنبي عليه السلام: ما من نبي إلا وله آية فما آيتك في ليلتك هذه؟ فقال النبي عليه السلام: ما الذي تريدون؟ فقالوا إن يكن لك عند ربك قدر فأمر القمر أن ينقطع قطعتين، فهبط جبرئيل عليه السلام وقال: يا محمد إن الله يقرئك السلام ويقول لك إنني قد أمرت كل شيء بطاعتك، فرفع رأسه فأمر القمر أن ينقطع قطعتين، فانقطع قطعتين، فسجد النبي عليه السلام شكراً لله ^(١).

= شهاب الأخبار (ص ٩٩) يقول فيه: اللهم أسألك بسيد الأنبياء وسرور الأصفياء وشفيع يوم الجزاء ومحرم حريم الكبرياء سلطان ممالك الوجود حاكم عوالم الغيب والشهود ملجأ المستضعفين وشفيع المذنبين الحاكم يوم الجزاء والمخصوص بالشفاعة الكبرى والمبوء مقام ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرَىٰ﴾ محمد المصطفى عليه السلام
وسأتي في نهاية الكتاب ذكر كلمات عدة من كبار العلماء بهذا الخصوص .

(١) وذكر هذه الرواية الثقة الجليل العالم المحدث علي بن إبراهيم القمي، ج ٢، ص ٣٥٠، في تفسيره لسورة القمر وهو ممن اتفق العلماء على جلالة قدره وهو أستاذ =

تبين هذه الرواية تفسير الإمام المُلْك العظيم بوجوب الطاعة، وسيأتي في الفصول القادمة بعض الأخبار المبيّنة لمصاديق هذه الكلمة التي ذكرت بصورة مطلقة. وهذه العبارة مطلقة تبين سائر الروايات الواردة في المقام (كالرواية المذكورة أعلاه) مصاديق وأنواع هذا الإطلاق.

في دعاء للإمام السجاد ﷺ في أول الصحيفة السجادية يقول: «والحمد لله الذي اختار لنا محاسن الخلق... وجعل لنا الفضيلة بالملكة^(١) على جميع الخلق. فكل خلقه مُنقاداً لنا بِقُدْرَتِهِ وَصَائِرُهُ إِلَى طَاعَتِنَا بِعِزَّتِهِ...»^(٢).

عن سعد بن خالد الباهلي أن رسول الله ﷺ اشتكى وكان محموماً فدخلنا عليه مع علي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: أَلَمْتُ بِبِي أَمْ مَلَدَمُ، فحسر علي ﷺ يده اليمنى، وحسر رسول الله ﷺ يده اليمنى فوضعها عليّ على صدر رسول الله ﷺ وقال يا أم مَلَدَمُ أخرجني فإنه عبد الله ورسوله. قال: فرأيت رسول الله ﷺ استوى جالساً ثم طرح عنه الإزار وقال: يا علي إن الله فضلك بخصال ومما فضلك به جعل الأوجاع مطيعة لك، فليس من شيء تزجره إلا انزجر بإذن الله^(٣).

عن ابن شهر آشوب في المناقب قال رسول الله: يا علي ما أوّل

= للشيخ الكليني (مؤلف الكافي) كما ذكرت الرواية في بحار الأنوار، ج ١٧، ص ٣٥٢، ح ١ (باب ٣ من تاريخ نبينا ﷺ) وتفسير البرهان، ج ٩، ص ٢٨٧، ح [١٠٢٦١] ونور الثقلين، ج ٧، ص ١٩٤.

(١) الْمَلَكَةُ: بفتح الميم وضمها وسكون اللام بمعنى المُلْك والسلطنة.

(٢) الصحيفة السجادية، ص ٢٨.

(٣) بحار الأنوار، ج ٤١، ص ٢٠٢، ح ١٦؛ الخرائج والجرائح، ج ٢، ص ٥٦٨.

النعم؟ فقال في جملة ما قال: «... وأن جعلني ملكاً مالِكاً، لا مملوكاً، وأن سخر لي سماء وأرضه وما فيهما وما بينهما من خلقه»^(١).

ذكر العالم والمحدث الخبير الحر العاملي؟، صاحب كتاب «الوسائل» عن النبي ﷺ في حديث أنه قال: «فأنت يا عليّ أمير من في السماء، وأمير من في الأرض...»^(٢).

ينقل السيد هاشم البحراني عن محمد بن جرير الطبري في كتاب الإمامة عن كثير بن سلمة قال: رأيت الحسن بن عليّ ﷺ في حياة رسول الله ﷺ قد أخرج من صخرة عسلاً ما ذبياً، فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته قال: أتذكرون لابني هذا وهو سيّد ابن سيّد، تطيعه أهل السماء في سمائه وأهل الأرض في أرضه^(٣).

في الرواية أن مريضاً شديد الحمى عاده الإمام الحسين ﷺ فلما دخل من باب الدار طارت الحمى عن الرجل. فقال له: رضيت بما أوتيتم به حقاً حقاً والحمى تهرب عنكم. فقال له الإمام الحسين ﷺ: والله ما خلق الله شيئاً إلا وقد أمره بالطاعة لنا^(٤).

في رواية عن الإمام الصادق ﷺ قال: سبحان الذي سخر للإمام كل شيء وجعل له مقاليد السماوات والأرض لينوب عن الله في خلقه^(٥).

(١) بحار الأنوار، ج ٤٠؛ ص ١٧٥؛ ح ٥٦؛ المناقب، ج ٢، ص ٣٥٥.

(٢) إثبات الهداة، ج ٣، ص ٥٩٣؛ بحار الأنوار، ج ٤٠، ص ٦٤، ح ٩٨.

(٣) مدينة المعاجز، ج ٢، ص ١٠.

(٤) بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ١٨٣، ح ٨. نقلاً عن كتاب المناقب، عن زرارة وفي كتاب

كشف الغمّة عن حرمان بن أعين عن الصادق ﷺ الحديث.

(٥) مدينة المعاجز، ج ٢، ص ٥٣٩، ح ٣٠٧ [١٨٧٧].

عن محمد بن سنان قال: كنت عند أبي جعفر الثاني ﷺ فأجريت اختلاف الشيعة فقال: يا محمد، إن الله تبارك وتعالى لم يزل متفرداً بوحدانيته ثم خلق محمداً وعلياً وفاطمة، فمكثوا ألف دهر^(١)، ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها، وأجرى طاعتهم عليها، وفوض أمورها إليهم^(٢).

قال العلامة المجلسي في شرحه لهذه الرواية «فأشهدهم خلقها» أي خلقها بحضرتهم وهم يطلعون على أطوار الخلق وأسراره فلذا صاروا مستحقين للإمامة لعلمهم الكامل بالشرائع والأحكام، وعلل الخلق وعلم الغيوب، وأئمة الإمامية كلهم موصوفون بتلك الصفات دون سائر الفرق.

فإن قيل: كيف يستقيم هذا مع قوله تعالى: ﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مُتَخَذَ الْمُضِلِّينَ عَصْدًا﴾^(٣).

(١) الكافي، ج ١، ص ٤٤١، ح ٥ (باب مولد النبي ﷺ ووفاته)، وفي بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٢٥، ح ٤٤، (باب ١ من كتاب الإمامة)، فمكثوا أو ألف ألف دهر ثم خلق جميع الأشياء وأشهدهم خلقها وأجرى عليها طاعتهم.. ويشهد لما تقدم ما في الكافي أيضاً باب أن الأئمة ولاية أمر الله وخزنة علمه. بسند صحيح بالاتفاق عن عبد الله بن أبي يعفور (ثقة جليل بالاتفاق) عن أبي عبد الله صلوات الله عليه قال: يابن أبي يعفور إن الله واحد متوحد بالوحدانية متفرد بأمره فخلق خلقاً فقدّهم لذلك الأمر، فنحن هم يابن أبي يعفور، فنحن حجج الله في عباده وخزّانه على علمه والقائمون بذلك. الكافي، ج ١، ص ١٩٣، ح ٥ (باب أن الأئمة ولاية أمر الله وخزنة علمه).

(٢) بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٢٥، ح ٤ (باب ١ من كتاب الإمامة).

(٣) سورة الكهف، الآية ٥١.

قلنا : لا ينافي ذلك بل يؤيده لأن الضمير في «ما أشهدتهم» راجع إلى الشيطان وذريته أو إلى المشركين بدليل قوله تعالى : ﴿وَمَا كُنْتُمْ تُخَدِّعُ الْمُضِلِّينَ عَصَدًا﴾^(١) فلا ينافي إشهاد الهادين في الخلق، قال تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٥﴾ مَا أَشْهَدْتُهُمْ﴾^(٢) .

ولا تنافي هذه الروايات آيات القرآن بل توافقه فقد مر ذكر الأئمة عليهم السلام في القرآن الكريم بألفاظ مختلفة كالشاهد والشهيد والأشهاد والشهداء .

وقال الطبرسي في تفسيره في معنى هذه الآية : أي ما أحضرت إبليس وذريته خلق السماوات والأرض، ولا خلق أنفسهم مستعيناً بهم على ذلك، ولا استعنت ببعضهم على خلق بعض^(٣) .

ومثل هذا الكلام لا ينافي أن يشهد الله خيرة خلقه على أمر الخلق، وقد روي بأسانيد معتبرة عن الإمام أمير المؤمنين والباقر والصادق عليهم السلام إنهم قالوا : (نحن شهداء الله على خلقه وحببته في أرضه) . ومصادر هذه الروايات في البحار^(٤) وفي الكافي^(٥) باب أن الأئمة شهداء الله على

(١) نفس الآية .

(٢) سورة الكهف، الآية ٥١؛ مرآة العقول، ج ٥، ص ١٩٠ - ١٩١، ح ٥ .

(٣) مجمع البيان، ج ٦، ص ٣٥٥ .

(٤) بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ٣٣٤ (باب ٢٠) وج ٢٢، ص ٤٤١ (باب ١٤ فضائل أئمة . . .)

ومواضع أخرى منه ذكرها المصنف في مستدرک سفينة البحار، لغة «شهد»، ج ٦، ص ٧٢ .

(٥) الكافي، ج ١، ص ١٩٠ .

خلقه روايات في ذلك كلها بأسانيد صحيحة ومعتبرة كذلك في البصائر^(١)، (جزء ٢، باب ١٣).

روايات في ذلك وهذه الروايات لاتخالف القرآن بل توافقه. فقد عبر القرآن عن الأئمة بألفاظ مختلفة فتارة بالـ «شاهد» وآخر «شاهد» وآخر «أشهاد» وآخر «شهداء» يمكنك مراجعة كتاب مقام القرآن والعتر^(٢) في ذلك.

وهنا يعلق العلامة المجلسي على خبر مروي عن الإمام الجواد ﷺ يقول فيه «وأجرى طاعتهم عليها» أي أوجب على جميع الأشياء طاعتهم حتى الجمادات والسمويات والأرضيات كشق القمر، وإقبال الشجر، وتسبيح الحصى وأمثالها مما لا يحصى كثرة. تم كلامه، رحمه الله^(٣).

(١) بصائر الدرجات، ج ١، ص ١٧٨ (باب ١٤: في الأئمة أنهم شهداء الله).

(٢) مقام القرآن والعتر، ص ١٦٩ - ١٧٢.

(٣) وقد ذكر العلامة المجلسي روايات عديدة في بحار الأنوار، ج ١٧، ص ٣٤٧ - ٣٦٢ (باب ٣ في إطاعة الحيوانات والظواهر السماوية للنبي ﷺ كشق القمر ورد الشمس وحبسها وإضلال الغمامة وظهور الشهب ونزول الموائد والنعم من السماء). وفي باب «ما نزل عليهم من السماء» وردت روايات عديدة في المجلد ٣٧، ص ٩٩ (باب ٥١ من تاريخ أمير المؤمنين ﷺ)، وكذلك في البحار باب إطاعة الأرضيات من الجمادات والنباتات للنبي ﷺ وتكلمها معه روايات عديدة بلغت ٥٩ رواية في المجلد ١٧ ص ٣٦٣ - ٣٩٠ (باب ٤ من تاريخ نبينا ﷺ). وفي بحار الأنوار، المجلد ١٧، ص ٣٩٠ - ٤٢١ (باب ٥ إطاعة الحيوانات له ﷺ وتكلمها معه) ذكر ٤٧ رواية. وفيه باب «أن للأئمة جميع ما لرسول الله من الفضائل وجوب الطاعة»، ٢١ رواية معتبرة. وفي المجلد ٢٥، ص ٣٥٢، ح ١ (باب ١٢ من كتاب الإمامة) في رواية أن أمير المؤمنين ﷺ جرى له من الفضل ما جرى لرسول الله ﷺ غير مقام النبوة والرسالة. =

وذكر الشيخ المفيد في الاختصاص^(١) والصفار في البصائر^(٢) (باب ٢ في الأئمة أنهم أعطوا خزائن الأرض). وابن شهر آشوب في المناقب والمجلسي في البحار^(٣) عن جابر قال لي أبو جعفر عليه السلام: إن الله أقدرنا على ما نريد، ولو شئنا أن نسوق الأرض بأزمئتها لُسَفْنَاهَا.

عن أبي جعفر عليه السلام في صفة أصحاب القائم، عجل الله فرجه، وقت ظهور الإمام عليه السلام قال: كَأَنِّي بِأَصْحَابِ الْقَائِمِ وَقَدْ أَحَاطُوا بِمَا بَيْنَ الْخَافِقِينَ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَهُوَ مُطِيعٌ لَهُمْ^(٤). وإذا كانت هذه صفة أصحاب الحجة، عجل الله فرجه، فكيف بأئمة أهل البيت، عليهم أفضل الصلاة والسلام، وهم سادة الأصحاب؟!

وفي رواية مفصلة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «وَيُطِيعُنَا كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنَّجْمِ وَالْجِبَالِ وَالشَّجَرِ وَالْدُّوَابِّ وَالْبَحَارِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ. أَعْطَانَا اللَّهُ ذَلِكَ كُلَّهُ بِالْأَسْمِ الْأَعْظَمِ الَّذِي عَلَّمَنَا وَخَصَّنَا بِهِ»^(٥).

لقد أيدت الروايات السابقة مضامين هذه الرواية كما أن هذه الرواية تؤيد الأخبار السابقة.

= الروايات الواردة في هذا المضمون في بحار الأنوار، ج ٤١، ص ١٦٧.

(١) الاختصاص، ص ١٧٢.

(٢) بصائر الدرجات، ج ٢، ص ٢٢٤، ح ٥ [١٣٣٨].

(٣) بحار الأنوار، ج ٤٦، ص ٣٣٩.

(٤) إثبات الهداة، ج ٦، ص ٤٥٠.

(٥) بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ٧، ح ١ (باب ١٣ من كتاب الإمامة).

عن أبي حمزة قال: سمعت أبا جعفر ع يقول: «أوحى الله تعالى إلى محمد ﷺ أنني خلقتك ولم تك شيئاً ونفختُ فيك من روحي»^(١) كرامة مني أكرمتك بها حين أوجبت لك الطاعة على خلقي جميعاً، فمن أطاعك فقد أطاعني، ومن عصاك فقد عصاني، وأوجبت ذلك في عليّ وفي نسله، ممن اختصته منهم لنفسه»^(٢).

وعن جابر قال:

قلت يا سيدي وما معرفة روحه:

قال ع: «أن يُعرَف كُلُّ من خصه الله تعالى بالروح فقد فوض إليه أمره يخلق بإذنه ويحيي بإذنه»^(٣) ويعلم غيب ما في الضمائر ويعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وذلك أن هذا الروح من أمر الله تعالى، فمن خصّه الله تعالى بهذا الروح فهذا كامل غير ناقص يفعل ما يشاء بإذن الله يسير من المشرق إلى المغرب في لحظة واحدة يعرج به إلى السماء وينزل به إلى الأرض ويفعل ما شاء وأراد. قلت: يا سيدي أوجدني بيان هذا الروح من كتاب الله تعالى وأنه من أمر خصه الله تعالى بمحمد ﷺ. قال: نعم، اقرأ هذه الآية ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ

(١) نسبة الله روح النبي ﷺ إلى نفسه هنا نسبة تشريفية كالكعبة فهي بيت الله وهذه نسبة تشريفية شرفها الله تعالى. كذلك يجري الكلام في «ناقة الله». والروح هنا إشارة إلى روح رسول الله ﷺ أو المراد بالروح ما سيأتي تفصيلها في رواية جابر.

(٢) الكافي، ج ١، ص ٤٤٠، ح ٤ كتاب الحجة باب مولد النبي ﷺ.

(٣) هذه القدرة نظير ما ورد ذكره في القرآن الكريم والتي كانت لمعسى بن مريم ﴿وَإِذْ نَخَّأْتُ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي﴾... ﴿وَإِذْ نَخَّجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾. المائدة، الآية ١١٠.

وَلَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَلَكِنَّ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِن عِبَادِنَا ﴿١﴾ (٢) (٣).

وقد ورد في كثير من الروايات الصحيحة المعتبرة أن رسول الله ﷺ وأوصيائه الإثني عشر عليه السلام هم حجج الله على جميع خلقه وفي جميع العوالم^(٤).

وذكر صاحب تفسير البرهان في كتاب مدينة المعاجز عن الثقة

(١) سورة الشورى، الآية ٥٢.

(٢) ويشهد على ما ذكرنا أيضاً ما في الكافي، ج ١، ص ٢٠٨ باب ما فرض الله ورسوله من الكون مع الأئمة عليه السلام مسنداً عن أبي حمزة الثمالي، قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: قال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى يقول استكمال حجتي على الأشقياء من أمتك من ترك ولاية علي عليه السلام وإلى أعدائه وأنكر فضله وفضل الأوصياء من بعده، فإن فضلك فضلهم وطاعتك طاعتهم وحقق حقهم ومعصيتك معصيتهم، وهم الأئمة الهداة من بعدك جرى فيهم روحك وروحك ما جرى فيك من ربك وهم عترتك من طينتك ولحمك ودمك، وقد أجرى الله عز وجل فيهم سنتك وسنة الأنبياء قبلك، وهم خزاني على علمي من بعدك، حق عليّ لقد اصطفتيهم وانتجبتهم وأخلصتهم وارتضيتهم، ونجا من أحبهم ووالاهم وسلّم لفضلهم... الخبر. (المترجم)

(٣) بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ١٤، ح ٢ (باب ١٤: نادر في معرفتهم صلوات الله عليهم).

(٤) ففي بحار الأنوار، ج ٢٧، ص ٤١ (باب ١٥: أنهم الحجة على جميع العوالم وجميع المخلوقات) ما يقارب ١٠ روايات رواها من كتب شيعية معتبرة كالخصال للصدوق (باب ما بعد الألف، ص ٦٣٩ والبصائر، للصفار، ج ٢، ص ٤٢٩، (باب ١٤) والاختصاص، للمفيد، ص ٣١٩.

وفي بحار الأنوار، ج ٥٧، ص ٣٢٠ - ٣٤٦ ذكرت روايات بهذا المضمون وفي تفسير البرهان، ج ١، ص ٢٣٨، ح ١٣ وتفسير نور الثقلين، ج ١، ص ٣٢، ح ٧٢ في تفسير سورة الحمد (ذيل كلمة العالمين) وكتاب أبواب الرحمة، ص ١٣٩ في تفسير سورة الحمد.

الجليل الطبري بسنده قال: أتيت الإمام علي بن موسى الرضا ﷺ وقد جاش الناس فيه وقالوا: لا يصلح للإمامة، فإن أباه لم يوص إليه، ففعد منا عشرة رجال فكلموه، فسمعت الجماد الذي من تحته يقول: هو إمامي وإمام كل شيء، وإنه دخل المسجد الذي في المدينة، فرأيت الحيطان والخشب تكلمه وتسلم عليه^(١).

ذكر الحر العاملي في إثبات الهداة رواية في تفسير قوله تعالى: ﴿جَعَلْنَا لِرِيسَهِ سُلْطَانًا﴾^(٢) قال: سلطانه حجته على جميع من خلق الله^(٣).

وفي كتاب جامع البزنطي^(٤) عن سليمان بن خالد قال: سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول: ما من شيء ولا من آدمي ولا إنسي ولا جنّي ولا ملك في السموات إلا ونحن الحجاج عليهم، وما خلق الله خلقاً إلا وقد عرض ولايتنا عليه واحتج بنا عليه، فمؤمن بنا وكافر وجاحد حتى السموات والأرض والجبال^(٥).

وقد اتضح كما ورد في النصوص بأن معنى الحجية على الخلق هو العلم بأحوالهم وبلغاتهم إضافة إلى الولاية والسلطنة التامة عليهم. ولأن

(١) مدينة المعاجز، ج ٣، ص ١٢٠.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٣٣.

(٣) إثبات الهداة، ج ٧، ص ١٢.

(٤) مستطرفات السرائر، ص ٥٨، ح ٢٢ (٧)، البزنطي من أصحاب الرضا ﷺ موثق. سليمان (ثقة جليل القدر) كما عن المفيد والعلامة الحلّي وغيرهم. من هنا تعتبر هذه الرواية غاية في الصحة والإعتبار.

(٥) بحار الأنوار، ج ٢٧، ص ٤٦ (باب ١٥: أنهم الحجة على جميع العوالم)؛ مستطرفات السرائر، ص ٥٨، ح ٢٢.

أئمة أهل البيت عليهم السلام خلفاء الله على خلقه وشهوده عليهم وحججه البالغة وعليهم أن يشهدوا على الخلق في يوم القيامة، لزم أن يمتازوا بصفة العلم والمعرفة والقدرة على سائر الناس.

عن عبد الله بن بكير قال: سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام هل يرى الإمام ما بين المشرق والمغرب؟

فقال: يا ابن بكير فكيف يكون حجة الله على ما بين قطريها وهو لا يراهم ولا يقدر عليهم وكيف يكون شاهداً على الخلق وهو لا يراهم؟^(١)
يستفاد من هذه الرواية ان لازم الحجة وكون الإمام شاهداً على ما بين المشرق والمغرب هو العلم والرؤية بهما والقدرة عليهما.

في كتاب المناقب لابن شهر آشوب عن نصر الخادم قال سمعت أبا محمد عليه السلام يكلم غلماناً بلغاتهم فيهم ترك وروم وصقالبة فقلت في نفسي هذا ولد بالمدينة ولم يظهر حتى مضى أبو الحسن فكيف هذا فأقبل علي فقال: إن الله بين حجته من سائر خلقه واعطاه معرفة كل شيء فهو يعرف اللغات والأنساب والحوادث ولولا ذلك لما كان بين الحجة والمحجوج فرق^(٢).

في عيون أخبار الرضا عليه السلام^(٣) عن الهروي قال: كان الإمام الرضا عليه السلام يكلم الناس بلغاتهم وكان والله أفصح الناس وأعلمهم بكل لسان ولغة فقلت له يوماً: يا ابن رسول الله إني لأعجب من معرفتك بهذه

(١) كامل الزيارات، ص ٣٢٨؛ بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٣٧٥، ح ٢٤ (باب غرائب أفعالهم...).

(٢) المناقب، ج ٤، ص ٤٢٨.

(٣) ذكره الصدوق وبسند صحيح في عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٢٢٨، ح ٣، باب ٥٤.

اللغات على اختلافها؟ فقال: يا أبا الصلت، أنا حجة الله على خلقه وما كان ليتخذ حجة على قوم وهو لا يعرف لغاتهم، أو ما بلغك قول أمير المؤمنين ﷺ «أوتينا فصل الخطاب» فهل فصل الخطاب إلا معرفة اللغات^(١).

عن أبي عبيدة الحذاء عن أبي جعفر ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٢) قال علم الإمام. ووسع علمه الذي هو من علمه عز وجل كل شيء^(٣).

عن ابن شهر آشوب في المناقب^(٤) باب إخبارات الإمام الصادق ﷺ بالغيب أن الدنيا عند الإمام كصحيفة، فلو لم يكن الأمر هكذا لم تكن أئمة وكنا كسائر الناس.

وهذه الروايات تدل أن علم الإمام وقدرته على الخلق من لوازم الإمامة.

(١) بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ١٩٠ (باب ١٤: أنهم ﷺ يعلمون جميع الألسن) وفي كتاب علم الغيب، ص ٥٤ (للمصنف) ذكر روايات تثبت ذلك، وفي البصائر (جزء ٧ باب ١١ و ١٢ و ١٣)، ج ٢، ص ١٣٣ - ١٥٠، تجاوزت ٢٠ رواية. وفي بحار الأنوار، ج ٤٩، ص ٨٦، باب ٦ (معرفة أي علي بن موسى الرضا ﷺ بجميع اللغات وكلام الطير والبهائم) عد عشر روايات بهذا الخصوص.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٥٦.

(٣) الكافي، ج ١، ص ٤٢٩، ح ٨٣؛ وفي إثبات الهداة، ج ٦، ص ٤٥١، ح ٢٥٢ روي عن أبي عبد الله الصادق ﷺ أنه قال: حتى تكون الدنيا عنده (أي الإمام) بمنزلة راحته فأيكفكم لو كانت في راحته شعرة لم يبصرها..

(٤) المناقب، ج ٤، ص ٢٢٢.

وفي روايات عديدة عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: إن الدنيا لتمثل للإمام في مثل فلة الجوز فلا يعزب عنه منها شيء، وإنه ليتناولها من أطرافها كما يتناول أحدكم من فوق مائدته ما يشاء^(١).

وقد وردت نصوص كثيرة في تفسير قوله ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢) أن الله كشف للنبي عليه السلام والأئمة عليهم السلام ذلك أيضاً.

عن ابن مسكان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣) قال كسط لإبراهيم عليه السلام السماوات السبع حتى نظر إلى ما فوق العرش، وكشط له الأرض حتى رأى ما في الهواء وفعل بمحمد عليه السلام مثل ذلك وإنني لأرى صاحبكم والأئمة من بعده قد فعل بهم مثل ذلك^(٤).

وقد وردت نصوص كثيرة من تفسير قوله ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ

(١) الاختصاص، ص ٢١٧، في حديث المفضل وخلق أرواح الشيعة من الأئمة عليهم السلام، وقد عرض هذا الحديث على الإمام الرضا عليه السلام فقال يا حمزة ذا والله حق، وقد وردت روايتين بهذا المعنى في بحار الأنوار، ج ٢، ص ١٤٥، ح ١١ و ١٢، باب فضل كتابة الحديث، باب ١٩ من كتاب العلم، وفي البصائر (جزء ٨، باب ١٤، ج ٢، ص ٢٨٤) وفي كتاب مقام القرآن والعرة للمصنف، ص ٣٦ وردت روايات صحيحة تبين أن الدنيا ممثلة للإمام كما ينظر إلى راحته. وفي بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٣٨٥، ح ٤٢ عن إسحاق القمي قال قال أبو عبد الله عليه السلام لحرمان بن أعين يا حرمان إن الدنيا عند الإمام والسماوات والأرضين إلا هكذا وأشار بيده إلى راحته يعرف ظاهرها وباطنها وداخلها وخارجها وظهرها وباطنها.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٧٥.

(٣) بحار الأنوار، ج ١٢، ص ٧٢، ح ١٥ - ١٩ (باب ٣: إراءته عليه السلام ملكوت السماوات والأرض) وفي كتاب مقام القرآن والعرة للمصنف، ص ٧١.

أن للنبي ﷺ والإمام ﷺ ولاية التصرف على جميع الخلق ٩٧

مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ^(١) أن الله كشف للنبي ﷺ والأئمة ﷺ ذلك أيضاً^(٢).

عن أبي جعفر ﷺ انه قال لمحمد بن مسلم: يا ابن مسلم، كل شيء خلقه الله من طير أو بهيمة، أو شيء فيه روح فهو أسمع لنا وأطوع من ابن آدم^(٣).

(١) سورة الأنعام، الآية ٧٥.

(٢) بحار الأنوار، ج ١٢، ص ٧٢، وفي تفسير البرهان، ج ٣، ص ٥٧٢، ح ٢ [٣٥١٢]، ونور الثقلين، ج ٢، ص ٣٦٠، ح ١٤٠.

(٣) بحار الأنوار، ج ٤٦، ص ٢٣٨، ح ١٧ و ١٨ (باب ٥: من تاريخ الإمام محمد الباقر ﷺ معجزاته ومعاني أموره)؛ إثبات الهداة، ج ٥، ص ٢٧١ وفي المصدر نفسه، ص ٣٠٤ عن أبي جعفر أنه قال لميسر «لو كانت الجدران تحجب أبصارنا عنكم كما تحجب أبصاركم عنا لكنا نحن وإياكم سواء» وقال ﷺ في ص ٣٢٠ لمحمد بن مسلم: «لئن ظننتم إنا لا نراكم ولا نسمعكم، فبئس ما ظننتم».

الفصل الخامس

في قدرة النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام

إعلم أن اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، وقد وردت في روايات عديدة عن الإمام الباقر والصادق عليه السلام التنبيه على ذلك. فقد أعطي آدم منه خمسة وعشرون حرفاً، وأعطي نوح خمسة وعشرون حرفاً^(١) وفي بعض الروايات خمسة عشر حرفاً، وأعطي إبراهيم ثمانية، وأعطى موسى أربعة أحرف،^(٢) وأعطى آصف وصي سليمان حرفاً واحداً^(٣) (وكان سليمان يعلم ذلك الحرف) فتكلم به فانخرقت له الأرض فيما بينه وبين سبأ فتناول عرش بلقيس حتى صيره إلى سليمان ثم انبسطت الأرض في أقل من طرفه عين كما ورد ذلك في القرآن الكريم^(٤) أيضاً،

(١) بصائر الدرجات، الجزء الرابع، ج ٢، ص ٤٠٩ ح ٢ [٧٧٦] (باب ١٣: في الأئمة عليهم السلام أنهم أعطوا...؟) وفي بحار الأنوار، ج ١١، ص ٦٩، ح ٢٦ (باب نقش خواتيمهم وكان مع نوح ثمانية).

(٢) بحار الأنوار، ج ٤، ص ٢١١، ح ٥.

(٣) نفس المصدر.

(٤) سورة النمل، الآية ٤٠: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ، قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾.

وأعطي عيسى بن مريم حرفين كان بهما يُحيي الموتى بإذن الله ويُبرئ الأكمه والأبرص ويصنع من الطين كهية الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، وكانت جميع معجزاته بهذين الحرفين. وإن الاسم الأعظم ثلاثة وسبعين حرفاً أعطي محمد ﷺ اثنين وسبعين حرفاً وحرف عند الله مستأثر به في علم الغيب وجميع ما علّمه رسول الله ﷺ فهو عند أوصيائه الأئمة الاثني عشر ﷺ فهم ورثة علمه^(١).

وبهذه القدرة يفعلون ما يريدون، ويظهرون قدرتهم لمن شاءوا من الناس.

ففي الكافي باب «مولد أبي الحسن الرضا ﷺ» عن الحسن بن منصور عن أخيه قال: دخلت على الرضا في بيت داخل في جوف بيت ليلاً فرفع يده فكانت كأن في البيت عشرة مصابيح وأستاذن عليه رجلاً فخلّى يده ثم أذن له^(٢).

هذه الرواية مذكورة في كتاب إثبات الهداة^(٣) بطريق آخر.

(١) الكافي، ج ١، ص ٢٣٠ (باب ما أعطي الأئمة من اسم الله الأعظم، كتاب الحجة) وفي البصائر، جزء ٤، باب ١٣، ج ١، ص ٤٠٨، ح [٧٧٥] وفي بحار الأنوار في مواضع متعدّدة، ج ٤، ص ٢١٠، وج ١١، ص ٦٨، وج ١٤، ص ١١٣ و ١١٤ في مواضع متعددة. وقد ذكر المصنف مواضع هذه الروايات في كتبه أبواب الرحمة، ص ٤٤؛ أركان الدين، ص ٦٣؛ مقام القرآن والعتره، ص ١٥٠، وفي مستدرک سفينة البحار، في لغة «أصف»، ج ١، ص ١٤٢ و «حرف»، ج ٢، ص ٢٥٧.

(٢) الكافي، ج ١، ص ٤٨٧، ح ٣ (باب مولد أبي الحسن الرضا ﷺ).

(٣) إثبات الهداة، ج ٦، ص ٣٧، ح ١٣.

الفصل السادس

في نفوذ إرادة النبي ﷺ والإمام ﷺ

في صور الناس وأبدانهم

عن صعصعة بن صوحان أن أمير المؤمنين ﷺ اختصم إليه خصمان فحكم لأحدهما على الآخر، فقال المحكوم عليه: ما حكمت بالسوية، ولا عدلت في الرعية، ولا قضيتك عند الله بالمرضية. فقال أمير المؤمنين ﷺ: اخساً يا كلب. فجعل في الحال يعوي^{(١)(٢)}.

وفي مورد آخر، روي أن خارجياً اختصم في رجل آخر إلى عليّ ﷺ فحكم بينهما، فقال الخارجي: لا عدلت في القضية. فقال ﷺ: اخساً يا عدو الله. فاستحال [الخارجي] كلباً وطار ثيابه في الهواء، فجعل

(١) في مدينة المعاجز ذكر مواضع انقلاب صور بعض الناس بيد الإمام في صفحة ٥٠، ٩٨، ٩٩، ١٠٥، ١٤١، ١٩٥، ٢٠٠ وفي كتب أخرى خصائص الأئمة، للسيد الرضي، ص ٤٦، ومناقب ابن شهر آشوب، ج ٢، ص ٢٨١ فصل في إجابة دعواته، وأمالى الصدوق، وكتب شيعية معتبرة أخرى روايات تؤكد ذلك.

(٢) بحار الأنوار، ج ٤١، ص ٢٠٨، ح ١٧ (باب ١١٠: استجابة دعواته صلوات الله عليه).

يبصيص وتدمع عيناه، فرّق له ودعا له، فأعاده إلى حال الإنسانيّة وتراجعت من الهواء ثيابه، فقال عليّ عليه السلام: **إِنَّ أَصْفَ وَصِيّ سُلَيْمَانَ قَدْ صَنَعَ نَحْوَهُ فَقَصَّ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾** أيما أكرم على الله نبيكم أم سليمان؟ قالوا: نبينا^(١).

وحيث فضل الإمام في نهاية حديثه نبينا عليه السلام على سائر الانبياء، يعرف من هذا التفضيل ايضاً فضل وصيه على سائر الأوصياء. لقد أعطي أصف حرفاً واحداً من الإسم الأعظم فقال لسليمان: انا آتيك بعرش بلقيس حتى أضعه أمامك، فكيف بمن أعطي اثنان وسبعون حرفاً من الإسم الأعظم ألا يفوق أصف في العلم والقدرة آلاف الدرجات حتى تسهل عنده مثل هذه الكرامة؟!

روي أنه اختصم رجل وامرأة إليه، فعَلَا صوت الرجل على المرأة فقال له عليّ عليه السلام: اخساً وكان (خارجياً)^(٢)، فإذا رأسه رأس الكلب، فقال رجل يا أمير المؤمنين: صحت بهذا الخارجي فصار راسه رأس كلب فما يمنعك عن معاوية؟ قال: ويحك لو أشاء أن آتي معاوية إلى هاهنا على سريره لدعوت الله حتى فعل ولكننا لله خُرَّانٌ لا على ذهب ولا على فضة ولا إنكاراً بل على أسرار تدبير الله، أما تقرأ ﴿بَلْ عَسَا يُكْرِهُونَ ﴿٦٦﴾ لَا يَسْقِوْنَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٦٧﴾﴾^(٣).

(١) بحار الأنوار، ج ٣٤، ص ٢٦٩، نوادر ما وقع أيام خلافة عليه السلام، نقلاً عن الخرائج والجرائع.

(٢) أي من أهل الخوارج.

(٣) بحار الأنوار، ج ٤١، ص ١٩١، ح ١ (باب ١١٠) نقلاً عن الخرائج والجرائع. ونقل

المجلسي نظير هذا في بحار الأنوار، ص ٢٠٧، ولكن باختلاف أن رأسه، فإذا هو

رأس خنزير.

في نفوذ إرادة النبي ﷺ والإمام ﷺ في صور الناس وأبدانهم ١٠٣

ولما قال ﷺ ضمن خطبة شريفة: ألا وإنني أخو رسول الله وابن عمه ووارث علمه ومعدن سره وعيبة ذخره، ما يفوتني ما عمله رسول الله ﷺ ولا ما طلب ولا يعزب عليّ ما دبّ ودرج وما هبط وما عرج وما غسق وانفرج، كلّ ذلك مشروح لمن سأل، مكشوف لمن وعى، قال هلال بن نوفل الكندي في ذلك وتعمّق إلى أن قال: فكن يا ابن أبي طالب بحيث الحقائق واحذر حلول البوائق. فقال أمير المؤمنين ﷺ: هب إلى سفر فوالله ما تمّ كلامه حتى صار في صورة الغراب الأبقع - يعني الأبرص^(١).

عن الأصبغ بن نباتة قال: كنّا نمشي خلف علي بن أبي طالب ﷺ ومعنا رجل من قريش، فقال لأmir المؤمنين ﷺ: قد قتلت الرجال وأيتمت الأولاد وفعلت ما فعلت. فالتفت إليه ﷺ وقال: اخسأ، فإذا هو كلب أسود، فجعل يلوذ به ويتصبص، فوافاه برحمة حتى حرك شفتيه فإذا هو رجل كما كان. فقال له رجل من القوم: يا أمير المؤمنين أنت تقدر على مثل هذا ويناويك معاوية؟ فقال: نحن عباد الله المكرمون لا نسبقه بالقول ونحن بأمره عاملون^(٢).

ومن الواضح أن الله أعطاهم هذه القدرة والسلطة الكاملة لكي يصنعوا ما يشاءون بهذه الإرادة ولكنهم لا يريدون إلّا ما يريد الله، وإذا أراد الله شيئاً ألهم إرادته في قلوبهم فيصنعون ما أقدرهم الله عليه.

في كتاب مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني أنه أتني إلى علي بن

(١) المناقب، ج ٢، ص ٢٨١ (فصل في إجابة دعواته...)؛ بحار الأنوار، ج ٤١، ص ٢٠٨، ح ٢٣.

(٢) بحار الأنوار، ج ٤١، ص ١٩٩، ح ١٢؛ وفي إثبات الهداة، ج ٥، ص ٩٣ (فصل ٦٧).

الحسين عليه السلام بطفل مكفوف، فمسح عينيه فاستوى بصره، وجاءوا إليه بأبكم فكلّمه فأجابه وتكلم، وجاءوا إليه بمُقعد فمسح عليه، فسعى ومشى^(١). كما أنه عليه السلام مسح يده على عيني أبي خالد الكابلي فرأى الجنة ونظر إلى قصورها وأنهارها، وفي كتاب مستدرك السفينة في لغة «جن» ذكرنا فيه موارد إراءة الأئمة عليهم السلام الجنة لأشخاص^(٢).

عن الإمام الصادق عليه السلام قال بعضهم للحسن بن علي عليه السلام في احتماله الشدائد عن معاوية فقال عليه السلام كلاماً معناه: لو دعوت الله تعالى لجعل العراق شاماً والشام عراقاً، وجعل المرأة رجلاً والرجل امرأة. فقال الشامي: ومن يقدر على ذلك؟ فقال عليه السلام انهضي ألا تستحين أن تقعدي بين الرجال. فوجد الرجل نفسه امرأة، ثم قال: وصارت عيالك رجلاً وتقاربك وتحمل عنها وتلد ولدأ خشي، فكان كما قال عليه السلام. ثم إنهما تابا وجاءا إليه فدعا الله تعالى فعادا إلى الحالة الأولى^(٣).

عن حبابة الوالبية قالت: رأيت أمير المؤمنين عليه السلام في رَحَبَةِ المسجد فقلت له: يا أمير المؤمنين ما دلالة الإمامة يرحمك الله؟ قالت فقال: اثنييني بتلك الحصاة. وأشار بيده إلى حصاة فأثبته بها فطبع لي فيها بخاتمته ثم قال لي: يا حبابة إذا ادّعى مُدَّعِ الإمامة فَقَدَرُ أن يطبع كما رأيت فاعلمي أنه إمام مفترض الطاعة، والإمام لا يعزُّبُ عنه شيء يريده.

(١) مدينة المعاجز، ج ٢، ص ٢٤٣، ح ٣٩ [١٢٩١].

(٢) مستدرك السفينة، ج ٢، ص ١١٦.

(٣) بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٣٢٧، ح ٦ [باب ١٥ من كتاب تاريخ فاطمة والحسن

في نفوذ إرادة النبي ﷺ والإمام ﷺ في صور الناس وأبدانهم ١٠٥

قالت: ثم انصرفت حتى قبض أمير المؤمنين ﷺ فجئت إلى الحسن ﷺ وهو في مجلس أمير المؤمنين ﷺ والناس يسألونه فقال: يا حبابة الوالية. فقلت: نعم يا مولاي. فقال: هاتي ما معك. قالت: فأعطيته فطبع فيها كما طبع أمير المؤمنين ﷺ، قالت: ثم أتيت الحسين ﷺ وهو في مسجد رسول الله ﷺ فقرّب ورحب ثم قال لي: إن في الدلالة دليلاً على ما تريدان أفتريدان دلالة الإمامة؟ فقلت: نعم يا سيدي. فقال: هاتي ما معك. فناولته الحصة فطبع لي فيها. قالت: ثم أتيت عليّ بن الحسين ﷺ وقد بلغ بي الكبر إلى أن أرعشت وأنا أعُدُّ يومئذ مائة وثلاث عشرة سنة فرأيته راکعاً وساجداً ومشغولاً بالعبادة فينست من الدلالة، فأومأ إليّ بالسبابة فعاد إليّ شبابي. قالت: ثم قال لي: هاتي ما معك. فأعطيته الحصة فطبع لي فيها. ثم أتيت أبا جعفر ﷺ فطبع لي فيها، ثم أتيت أبا عبد الله ﷺ^(١) فطبع لي فيها، ثم أتيت أبا الحسن موسى ﷺ فطبع لي فيها، ثم أتيت الرضا ﷺ فطبع لي فيها. وعاشت حبابة بعد ذلك تسعة أشهر على ما ذكر محمد بن هشام^(٢).

نقل السيّد هاشم البحراني بسنده عن رشيد الهجري قال: كنت أنا وأبو عبد الله سليمان وأبو عبد الرحمان قيس بن وزقا وأبو القاسم ملك بن

(١) لما أتت حبابة إلى الإمام الصادق ﷺ كانت قد أصيبت في جسمها بالبرص أو مرض جلدي آخر، فبكت عنده، فدعا لها الإمام ﷺ فشفيت.

(٢) الكافي، ج ١، ص ٣٤٦ (باب ما يفصل به بين دعوى المحق والمبطل؛ أعلام الوري، ج ١، ص ٤٠٨ (فصل ٢ من ركن ٣)، ح ٦؛ بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ١٧٥، ح ١ (باب ٤ في دلالة الإمامة...)) نقلًا عن إكمال الدين وغيره؛ إثبات الهداة، ج ٥، ص ٢٥، ح ٣٤٨ نقلًا عن الكافي؛ الخرائج للراوندي، ج ١، ص ٤٢٨ (باب ١٢).

التيهان وسهل بن حنيف بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام بالمدينة إذ دخلت عليه أم النداء حباة الوالية وهي متقلدة بمصحف وبين أناملها سبحة من حصى ونوى فسلمت وبكت، وقالت له: يا أمير المؤمنين آه من فقدك، وا أسفاه على غيبتك، واحسرتاه على ما يفوت من الغنيمة منك، لا يرغب عنك ولا يلهو يا أمير المؤمنين من لله فيه مشية وإرادة، وإنني من أمري إنني لعلني يقين وبيان وحقيقة، وإنني لقيتك وأنت تعلم ما أريد.. فمد يده اليمنى عليه السلام إليها وأخذ من يدها حصاة بيضاء تلمع وترى من صفائها، وأخذ خاتمه من يده وطبع به الحصاة، وقال لها: يا حباة، هذا كان مرادك مني؟ فقالت: إي والله يا أمير المؤمنين هذا الذي أريد لما سمعناه من تفرق شيعتك واختلافهم من بعدك، فأردت هذا البرهان ليكون معي إن عمرت بعدك، لاعمرت ويا ليتني وقومي وأهلي لك الفداء. فإذا وقعت الإشارة أو شكت الشيعة في من يقوم مقامك أتيته بهذه الحصاة، فإذا فعل فعلك بها علمت أنه الخلف من بعدك، وأرجو أن لا أؤجل لذلك. فقال لها: بلى والله يا حباة، لتلقين بهذه الحصاة ابني الحسن، والحسين، وعلي ابن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى وكل إذا أتيته استدعى بهذه الحصاة وطبعها بهذا الخاتم لك، فبعد علي ابن موسى ترين في نفسك برهاناً عظيماً منه وتختارين الموت، قتموتين ويتولى أمرك، ويقوم على حفرتك ويصلي عليك وأنا مبشرك بأنك من المكرورات من المؤمنات مع المهدي من ذريتي إذا أظهر الله أمره. فبكت حباة، ثم قالت: يا أمير المؤمنين فادع لي يا أمير المؤمنين بالثبات على ما هداني الله اليك لا أسلبه مني ولا افتتن فيه ولا أضل عنه، فدعا لها أمير المؤمنين عليه السلام بذلك وأصبحها خيراً.

قالت حبابة: فلما قبض أمير المؤمنين ﷺ بضربة عبدالرحمان بن ملجم لعنه الله في مسجد الكوفة، أتيت مولاي الحسن ﷺ، فلما رأيته قال لي: أهلاً وسهلاً يا حبابة، هاتي الحصاة، فمد يده كما مد أمير المؤمنين ﷺ يده، وأخذ الحصاة وطبعها كما طبعها أمير المؤمنين ﷺ، وأخرج الخاتم بعينه. فلما مضى الحسن ﷺ بالسم، أتيت الحسين ﷺ، فلما رأيته قال: مرحباً يا حبابة، هاتي الحصاة، فأخذها وختمها بذلك الخاتم. فلما استشهد ﷺ صرت إلى علي بن الحسين ﷺ وقد شك الناس فيه، ومالت شيعة الحجاز إلى محمد بن الحنفية، وصار إليّ (من كبارهم) اجمع فقالوا: يا حبابة، الله الله فينا، اقصدي علي بن الحسين ﷺ بالحصاة حتى يبين الحق.

فصرت إليه، فلما رأيته رحب وقرب ومد يده وقال: هاتي الحصاة، فأخذها وطبعها بذلك الخاتم، ثم صرت بتلك الحصاة إلى محمد بن علي، وإلى جعفر بن محمد، وإلى موسى بن جعفر، وإلى علي بن موسى ﷺ، فكل يفعل كفعل أمير المؤمنين ﷺ والحسن والحسين وعلي ابن الحسين صلوات الله عليهم. وعلت سني، ودق عظمي؛ ورق جلدي، وحال سواد شعري وكنت بكثرة نظري إليهم صحيحة البصر والعقل والفهم والسمع. فلما صرت إلى الرضا علي بن موسى ﷺ، ورأيت شخصه الكريم ضحكاً ضحكاً بأن شدة تبسمي فأنكر بعض من بحضرته ﷺ ضحكي وقالوا: قد خرفت يا حبابة ونقص عقلك. فقال لهم مولاي ﷺ: ألم أقل لكم ما خرفت حبابة ولا نقص عقلها، ولكن جدي أمير المؤمنين ﷺ خيرها بأنها عند لقائي إياها تكون ميتتها، وانها تكون مع المكرورات من المؤمنات مع المهدي ﷺ من ولدي. فضحكت شوقاً

إلى ذلك، وسروراً به وفرحاً بقربها منه . فقال القوم : نستغفر الله يا سيدنا ما علمنا هذا، فقال لها : يا حباية، ما الذي قال لك جدي أمير المؤمنين عليه السلام إنك ترين مني؟ قالت : قال لي : والله إنك تريني برهاناً عظيماً . فقال لها : يا حباية، أما ترين بياض شعرك؟

قالت : قلت له : بلى يا مولاي، قال : فتحبين أن ترينه أسود حالكاً مثل ما كان في عنفوان شبابك؟ فقلت : بلى يا مولاي فقال لي : يا حباية ويجزيك ذلك أو أزيدك؟ فقلت يا مولاي، زدني من فضل الله عليك . فقال : أتحبين أن تكوني مع سواد الشعر شابة؟ فقلت : بلى يا مولاي، إن هذا برهان عظيم قال : وأعظم من ذلك ما حدثته في نفسك ما أعلم به الناس؟ فقلت : يا مولاي، اجعلني لفضلك أهلاً، فدعا بدعوات خفية حرك بها شفتيه، فعدت والله شابة غضة، سوداء الشعر حالكة . ثم دخلت خلوة في جانب الدار وفتشت نفسي فوجدتني والله بكرا، فرجعت وخررت بين يديه ساجدة، ثم قلت : يا مولاي، النقلة إلى الله عز وجل فلا حاجة لي في الحياة الدنيا . قال : يا حباية، ادخلي إلى أمهات الأولاد فجهازك هناك مفرد . قال الحسين بن حمدان : حدثني جعفر بن مالك، قال : حدثني محمد بن زيد المدني، قال : كنت عند مولانا الرضا عليه السلام حاضراً لأمر حباية إلى أن دخلت إلى بعض أمهات الأولاد فلم تلبث إلا بمقدار ما عاينت جهازها إلى الله تعالى حتى شهدت وفاتها إلى الله رحمها الله ! فقال مولانا الرضا عليه السلام : رحمك الله يا حباية، قلنا : يا سيدنا وقد قبضت .

قال : ما لبثت أن عاينت جهازها إلى الله تعالى حتى قبضت ؛ وأمر بتجهيزها فجهزت وأخرجت، فصلى عليها وصلينا معه، وخرجت الشيعة

في نفوذ إرادة النبي ﷺ والإمام ﷺ في صور الناس وأبدانهم ١٠٩

فصلوا عليها، وحملت إلى حفرتها وأمرنا سيدنا بزيارتها وتلاوة القرآن عندها، والتبرك بالدعاء هناك^(١).

هذه الرواية وردت في كتاب إثبات الهداة باختصار^(٢).

عن صفوان بن مهران قال: سمعت الصادق ﷺ يقول: رجلان اختصما في زمن الحسين ﷺ في امرأة وولدها، فقال هذا: لي، وقال هذا: لي، فمرَّ بهما الحسين، فقال لهما: فيمَ تمرجان قال أحدهما: إن المرأة لي، وقال الآخر: إن الولد لي. فقال للمدعي الأول: اقعد، فقع، وكان الغلام رضيعاً فقال الحسين ﷺ للمرأة: يا هذه أصدقي من قبل أن يهتك الله سترك. فقالت: هذا زوجي والولد له ولا أعرف هذا. فقال ﷺ: يا غلام ما تقول هذه؟ انطق بإذن الله تعالى. فقال له: ما أنا لهذا ولا لهذا وما أبي إلا راع لآل فلان، فأمر ﷺ يرحمها. قال جعفر ﷺ: فلم يسمع أحد نطق ذلك الغلام بعدها^(٣).

(١) مدينة المعاجز، ج ١، ص ٥٢٠، ح ٨٢٤ (باب ٥٤٢: علمه بما في نفس حبة الوالية). ورويت هذه القصة في كتاب إثبات الهداة، ج ٥، ص ٢٥، ح ٣٤٨ باختصار.

(٢) لا تنافي في نقل ما جرى لحبابة، إذ يجوز الإجمال والتفصيل في النقل أو ذكر قسم من الأحداث في مورد وقسم آخر منه في مورد آخر أو نسيان الراوي في بعض الموارد. كما يحصل الإجمال والتفصيل في القرآن الكريم، حيث تذكر قصص الأنبياء بالإجمال مرة وبالتفصيل مرة أخرى، قسم منها في موضع دون آخر. في المجلد ٤٦، ص ٢٥٩، ح ٦٠، باب ١٥ (من تاريخ الإمام الباقر ﷺ) هنالك رواية روتها حبة في مدح الإمام محمد الباقر ﷺ.

(٣) بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ١٨٤ (باب ٢٥ من تاريخ سيد الشهداء ﷺ معجزاته صلوات الله عليه) ح ١١؛ مناقب ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ٥١. وقد ذكره الحر العاملي في إثبات الهداة، ج ٥، ص ٢٠٩، ح ٧٨.

عن الأصمغ بن نباتة^(١) قال: سألت الحسين عليه السلام فقلت: سيدي أسالك عن شيء أنا به موقن، وأنه من سرّ الله وأنت المسرور إليه ذلك السرّ. فقال: يا أصمغ أتريد أن ترى مخاطبة رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي دون يوم مسجد قبا؟ قال: هذا الذي أردت. قال: قم، فإذا أنا وهو بالكوفة فنظرت فإذا المسجد من قبل أن يترد إليّ بصري، فتبسّم في وجهي، ثم قال: يا أصمغ إن سليمان بن داود أعطي الرّيح غدوها شهر ورواحها شهر وأنا قد أعطيت أكثر ممّا أعطي سليمان. فقلت: صدقت والله يابن رسول الله. فقال: نحن الذين عندنا علم الكتاب، وبيان ما فيه، وليس لأحد من خلقه ما عندنا، لأنّا أهل سرّ الله. فتبسّم في وجهي ثم قال: نحن آل الله وورثة رسوله. فقلت: الحمد لله على ذلك. ثم قال لي: أدخل. فدخلت فإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وآله محتبّ في المحراب بردائه، فنظرت فإذا أنا بأمير المؤمنين عليه السلام قابض على تلايبب الأعسر فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يعصّ على الأنامل وهو يقول: بش الخلف خلفتني أنت وأصحابك عليكم لعنة الله ولعنتي؛ الخبر^(٢).

عن الزهري، قال: شهدت علي بن الحسين عليه السلام يوم حمله عبد الملك بن مروان من المدينة إلى الشام، فأثقله حديداً، ووكل به حفاظاً في عدّة وجمع فاستأذنتهم في الدخول عليه والتوديع له، فأذنوا لي فدخلت عليه وهو في قبة والأقياد في رجله والغلّ في يديه، فبكيت وقلت: وددت أنّي مكانك وأنت سالم.

(١) صحابي كبير ثقة جليل القدر صاحب أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ٥٢؛ بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ١٨٤، ح ١١ (باب

٢٥ معجزاته صلوات الله عليه)؛ مدينة المعاجز، ج ٢، ص ٢٧٩.

فقال: يا زهري، أو تظنُّ أن هذا ممَّا ترى عليَّ وفي عنقي يكرهني، أما لو شئتُ ما كان، ثم أخرج يديه من الغلِّ ورجليه من القيد، ثم قال: يا زهري لاجزت معهم على ذا منزلين من المدينة. فما لبثنا إلا أربع ليال حتَّى قدم الموكِّلون به يطلبونه بالمدينة فما وجدوه، وكنت فيمن سألهم عنه، فقال لي بعضهم: إنا لنراه متبوعاً إنه لنازل ونحن حوله لانام نرصده إذ أصبحنا فما وجدنا بين محمله إلَّا حديدة. فقال الزهري: فقدمت بعد ذلك على عبد الملك فسألني عن عليّ بن الحسين، فأخبرته، فقال لي: إنه قد جاء في يوم فقده الأعوان فدخل عليّ فقال: ما أنا وأنت؟ فقلت: أقم عندي. فقال: لا أحب، ثم خرج، فوالله لقد امتلأ ثوبي خيفة^(١).

عن الباقر ﷺ قال إنَّ الكابلي خدم عليّ بن الحسين ﷺ، برهةً من الزمان، ثم شكَا شوقه إلى والديه، وسأله الإذن في الخروج إليهما، فقال له ﷺ يا كنكر إنَّه يقدم علينا غداً رجلٌ من أهل الشام، له قدر وجاه ومال، وابنة له قد أصابها عارضٌ من الجنِّ، وهو يطلب من يعالجها، ويبذل في ذلك ماله، فإذا قدم فصر إليه في أوَّل النَّاس، وقل له: أنا أعالج ابتك بعشرة آلاف درهم، فإنه يطمئن إلى قولك، ويبذل لك ذلك. فلمَّا كان من الغد قدم الشامي ومعه ابنته وطلب معالجاً.

(١) مدينة المعاجز، ج ٢، ص ٢٧٩، وفي إثبات الهداة نقلاً عن كتاب كشف الغمّة، وروي في كتاب حلية الأولياء، ج ٣، ص ١٤٥، ح ٣٥٤٢ تأليف أبونعيم من رجال العامة. أقول: وهذه القضية نظير خروج الإمام زين العابدين من الكوفة إلى كربلاء لدفن جسد والده المقدس وسائر الشهداء حين كان أسيراً وذلك بعد ثلاثة أيام من حادثة عاشوراء. وهذه القضية مشهورة وإضافة إلى ذلك ففي الروايات المقطوع صدورهما أن الإمام يلي غسل وتكفين ودفن الإمام من بعده.

فقال أبو خالد: أنا أعالجها على أن تعطيني عشرة آلاف درهم وعلى أن لا يعود إليها أبداً.

فضمن أبوها له ذلك.

فقال زين العابدين عليه السلام لأبي خالد: إنه سيغدر بك ثم قال: قد ألزمته المال. قال: فانطلق، فخذ بأذن الجارية اليسرى وقل: «يا خبيث يقول لك علي بن الحسين عليه السلام أخرج من بدن هذه الجارية، ولا تعد إليها».

ففعل كما أمره فخرج عنها وأفاقت الجارية من جنونها وطالبه بالمال فدافعه، فرجع إلى زين العابدين عليه السلام فعرفه فقال: يا أبا خالد ألم أقل لك إنه يغدر بك؟! ولكن سيعود إليها غداً، فإذا أتاك فقل: إنما عاد عليها لأنك لم تف بما ضمنت لي، فإن وضعت عشرة آلاف درهم على يد علي بن الحسين عليه السلام فإني أبرئها ولا يعود إليها أبداً. فلما كان بعد ذلك أصابها من الجن عارض، فأتى أبوها إلى أبي خالد، فقال له أبو خالد: ضع المال على يد علي بن الحسين عليه السلام فإني أعالجها على أن لا يعود إليها أبداً. فوضع المال على يدي علي بن الحسين عليه السلام وذهب أبو خالد إلى الجارية، وقال في أذنها كما قال أولاً، ثم قال: إن عدت إليها أحرقتك بنار الله. فخرج وأفاقت الجارية ولم يعد إليها، فأخذ أبو خالد المال وأذن له في الخروج إلى والديه، ومضى بالمال حتى قدم على والديه^(١).

عن الزهري، قال: كنت عند علي بن الحسين عليه السلام، فجاءه رجل من

(١) مدينة المعاجز، ج ٢، ص ٢٩٥ - ٢٩٦؛ المناقب، ج ٤، ص ١٤٥ عن الإمام الباقر عليه السلام؛ وفي بحار الأنوار، ج ٤٦، ص ٣١ (باب معجزاته ومعالي أموره) نقلاً عن المناقب وكتاب الخرائج، ج ١، ص ٢٦٢ (الباب الخامس).

في نفوذ إرادة النبي ﷺ والإمام ﷺ في صور الناس وأبدانهم ١١٣

أصحابه، فقال علي بن الحسين ﷺ: ما خبرك أيها الرجل؟

قال: يا بن رسول الله إني أصبحت وعليّ أربعمائة دينار دين لا قضاء عندي لها، ولي عيال ثقال، ليس لي ما أعود عليهم به.

قال: فبكى علي بن الحسين ﷺ بكاءً شديداً، فقلت له: ما يبكيك يا بن رسول الله؟ فقال هل يُعدّ البكاء إلا للمصائب والمحن الكبار؟! قالوا: كذلك يا بن رسول الله.

قال: فأية محنة ومصيبة أعظم على حرّ مؤمن من أن يرى بأخيه المؤمن خلة فلا يمكنه سدها، ويشاهده على فاقة فلا يطيق رفعها؟

قال: فتفرقوا عن مجلسهم ذلك فقال بعض المنافقين وهو يطعن على علي بن الحسين ﷺ: عجباً لهؤلاء يدعون مرة أنّ السماء والأرض وكلّ شيء يطيعهم وأنّ الله لا يردهم عن شيء من طلباتهم، ثمّ يعترفون أخرى بالعجز عن إصلاح حال خواصّ إخوانهم.

فأتصل ذلك بالرجل صاحب القصة فجاء إلى علي بن الحسين ﷺ، فقال: يا بن رسول الله بلغني عن فلان كذا وكذا، وكان ذلك أغلظ عليّ من محنتي. فقال علي بن الحسين ﷺ: فقد أذن الله في فرجك. يا فلانة احملني سحوري وفطوري، فحملت قرصين. فقال علي بن الحسين ﷺ للرجل خذهما، فليس عندنا غيرهما، فإن الله يكشف عنك بهما وينيلك خيراً واسعاً منهما، فأخذهما الرجل، ودخل السوق لا يدري ما يصنع بهما، يتفكر في ثقل دينه وسوء حال عياله، ويوسوس إليه الشيطان، أين موقع هاتين من حاجتك، فمرّ بسمّاك قد بارت عليه سمكة قد أراحت، فقال: سمكتك هذه باثرة عليك، وإحدى قرصتي هاتين باثرة عليّ فهل

لك أن تعطيني سمكتك البائرة وتأخذ قرصتي هذه البائرة؟ فقال: نعم فأعطاه السمكة وأعطاه القرصة.

ثم مرّ برجلٍ معه ملح قليل مزهود فيه، فقال له، هل لك أن تعطيني ملحك هذا المزهود فيه، بقرصتي هذه المزهود فيها؟ قال: نعم. ففعل، فجاء الرجل بالسمكة والملح، فقال أصلح هذه بهذا. فلمّا شق بطن السمكة وجد فيها لؤلؤتين فاخرتين، فحمد الله عليهما، فبينما هو في سروره ذلك إذ قرع بابه، فخرج ينظر من الباب؟ فإذا صاحب السمكة وصاحب الملح قد جاء، يقول كل واحد منهما له: يا عبدالله! جهدنا أن نأكل نحن أو واحد من عيالنا هذا القرص، فلم تعمل فيه أسناننا، وما نظنّك إلّا وقد تناهيت عن سوء الحال، ومرنت على الشقاء وقد رددنا إليك هذا الخبز وحلّلنا لك ما أخذته منا، فأخذ القرصين منهما فلمّا استقرّ بعد انصرافهما عنه، قرع بابه، فإذا رسول علي بن الحسين عليه السلام، فدخل فقال: إنّه عليه السلام يقول لك إنّ الله قد أتاك بالفرج فاردّد إلينا طعامنا، فإنه لا يأكله غيرنا، وباع الرجل اللؤلؤتين بمال عظيم قضى منه دينه وحسنت بعد ذلك حاله^(١).

وقصة رُفيد مولى يزيد معروفة، قال: سخط عليّ بن هبيرة وحلف علي ليقتلني، فهربت منه وعُذت بأبي عبدالله عليه السلام فأعلمته خبري فقال لي: انصرف وأقرئه مني السلام وقل له: إني قد آجرت عليك مولاك رُفيداً فلا

(١) المناقب، ج ٤، ص ١٤٦ فصل في معجزات الإمام السجاد صلوات الله عليه؛ بحار الأنوار، ج ٤٦، ص ٢٠ (باب ٣ من تاريخ الإمام السجاد عليه السلام معجزاته ومعالي أموره) ح ١؛ إثبات الهداة للعالملي، ج ٥، ص ٢٢٥، ح ١٣ نقلاً عن الأمالي للصدوق (المجلس التاسع والستون)، ص ٥٣٧، قصة الرغيفين....

تهجه بسوء. فقلت له: جعلت فداك شاميّ خبيث الرأي! فقال: اذهب إليه كما أقول لك. فأقبلت، فلما كنت في بعض البوادي استقبلني أعرابي فقال: أين تذهب إنني أرى وجه مقتول، ثم قال لي: أخرج يدك ففعلت فقال: يد مقتول ثم قال لي: أبرز رجلك فأبرزت رجلي، فقال: رجل مقتول. ثم قال لي: أبرز جسدك ففعلت، فقال جسد مقتول، ثم قال لي: أخرج لسانك ففعلت فقال لي: امض فلا بأس عليك، فإن في لسانك رسالة لو أتيت بها الجبال الرواسي لانقادت لك. قال: فجنثت حتى وقفت على باب ابن هبيرة فاستأذنت فلما دخلت عليه قال: أتتك بخائن رجلاه، يا غلام النطع والسيف. ثم أمر بي فكُتِفَتْ وشُدَّ رأسي وقام عليّ السيّاف ليضرب عُقْتي. فقلت: أيها الأمير لم تظفر بي عَنَوَةً وإنما جئتكَ من ذات نفسي وها هنا أمر أذكرك لك ثم أنت وشأنك. فقال: قل. فقلت: أخلني. فأمر من حضر فخرجوا فقلت له: جعفر بن محمد يُقرئك السلام ويقول لك قد آجرت عليك مولاك رُفيداً فلا تهجه بسوء، فقال: والله لقد قال السلام ويقول لك جعفر بن محمد هذه المقالة وأقرأني السلام؟ فحلفت له. فردّها علي ثلاثاً ثم حَلَّ أكتافي ثم قال: لا يُقْنَعْنِي منك حتى تفعل بي ما فعلت بك. قلت: ما تنطلق يدي بذاك ولا تطيب به نفسي. فقال: والله ما يُقْنَعْنِي إلا ذاك. ففعلت به كما فعل بي وأطلقته، فناولني خاتمه وقال: أموري في يدك فدبر فيها ما شئت^(١).

(١) الكافي، ج ١، ص ٤٧٣، ح ٣ (باب مولد أبي عبدالله جعفر بن محمد)؛ بحار الأنوار، ج ٤٧، ص ١٧٩، ح ٢٧ (باب ٦ ما جرى بينه وبين المنصور)؛ وفي المناقب لابن شهر آشوب (باب خوارق عادات الإمام الصادق ﷺ) ج ٤، ص ٢٣٥؛ وإثبات الهداة، ج ٥، ص ٣٣٧، ح ٨.

روي في المناقب: عندما حُبِس الإمام أبو محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام يأمر من الخليفة العباسي قال: دخل العباسيون على صالح ابن رصيف، فقالوا له ضيق عليه، قال: وكلت به رجلين من شرّ من قدرت عليه عليّ بن بارمش وأقنامش، فقد صارا من العبادة والصلاة إلى أمر عظيم يضعان خديهما له ثم أمر بإحضارهما فقال: ويحكما ما شأنكما في شأن هذا الرجل؟ فقالا: ما نقول في رجل يقوم الليل كلّه ويصوم النهار لا يتكلّم ولا يتشاغل بغير العبادة فإذا نظرنا إليه ارتعدت فرائصنا وداخلنا ما لانملكه من أنفسنا^(١).

وروي: أن امرأة أتت إلى أبي الحسن موسى عليه السلام قد صار وجهها قفاه فوضع يده اليمنى في جبينها ويده اليسرى من خلف ذلك ثم عصر وجهها عن اليمين، ثم قال: «إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم»^(٢).

عن أحمد بن إسحاق القمي (من وكلاء الإمام العسكري عليه السلام) قال: دخلت على أبي محمد عليه السلام فقلت: جعلت فداك إني مغتّم لشيء يصيني في نفسي وقد أردت أن أسأل أباك فلم يُقَض لي ذلك. فقال: وما هو يا أحمد؟ فقلت: يا سيدي، روي لنا عن آبائك أن نوم الأنبياء على أقيمتهم، ونوم المؤمنين على أيمانهم، ونوم المنافقين على شمائلهم، ونوم الشياطين على وجوههم. فقال عليه السلام: كذلك هو. فقلت: يا سيدي

(١) المناقب، ج ٤، ص ٤٢٩.

(٢) بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ٣٩، ح ١٥ (باب ٣٨ من تاريخ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام) نقلاً عن تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٠٥، ح ١٨ عن سليمان بن عبد الله.

في نفوذ إرادة النبي ﷺ والإمام ﷺ في صور الناس وأبدانهم ١١٧

فإني أجهد أن أنام على يميني فما يُمكنني ولا يأخذني النوم عليها . فسكت ساعة ثم قال : يا أحمد ادفُ مني . فدنوت منه فقال : أدخل يدك تحت ثيابك فأدخلتها فأخرج يده من تحت ثيابه وأدخلها تحت ثيابي فمسح بيده اليمنى على جانبي الأيسر وبيده اليسرى على جانبي الأيمن ثلاث مرات ، فقال أحمد : فما أقدر أن أنام على يساري منذ فعل ذلك بي ﷺ وما يأخذني نومٌ عليها أصلاً^(١) .

وقد روي عن المفضل بن عمر أنه قال : كنت مع أبي عبدالله ﷺ وهو راكب وأنا أمشي معه ، فمررنا بعبد الله بن الحسن وهو راكب فلما بصر بنا شال المقرعة ليضرب بها فخذ أبي عبدالله ﷺ فأومأ إليها الصادق ﷺ فجثت يمينه والمقرعة فيها ، فقال له : يا أبا عبدالله بالرحم لآ عفوت عني ، فأومأ إليه بيده فرجعت يده^(٢) .

عن أبي سلمة قال : دخلت على أبي جعفر ﷺ وكان بي صمم^(٣) شديد فدعاني إليه فمسح يده على أذني ورأسي ثم قال : اسمع وعه ! قال أبو سلمة : فوالله إني لأسمع الشيء الخفي عن أسمع الناس من بعد دعوته^(٤) .

وقد روى القطب الراوندي في كتابه الخرافع عن جعفر بن محمد بن

(١) الكافي، ج ١، ص : ٥١٤، ح ٢٧ مع اختلاف يسير؛ بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢٨٦ (باب ٣٧ من تاريخ الإمام العسكري ﷺ معجزاته ومعالياموره) ح ٦١، وج ٧٦، ص ١٩٠، ح ٢١ (باب ٤٣ من كتاب الآداب والسنن).

(٢) بحار الأنوار، ج ٦٢، ص ٢٢٩، ح ١٥ (باب ٥ من باب أبواب الوحوش).

(٣) إنسداد الأذن وقل السمع (لسان العرب).

(٤) مدينة المعاجز، ج ٣، ص ٢٤٥، ح ٦٧ (٢٣٧٥)؛ المناقب، ج ٤، ص ٤٠٨.

مالك الفزاري عن أبي هاشم وهو من أجلاء أصحاب الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: دخلت على أبي الحسن عليه السلام فكلمني عليه السلام بالهندية فلم أحسن أن أرد عليه، وكان بين يديه ركوة ملأى حصى فتناول حصاة واحدة ووضعها في فيه ومصها ملياً ثم رمى بها إلي فوضعتها في فمي فوالله ما برحت مكاني حتى تكلمت بثلاثة وسبعين لساناً أولها الهندية^(١).

(١) الخرائج والجرائح، ج ٢، ص ٦٧٣، ح ٢ (فصل في أعلام الإمام علي بن محمد النقي عليه السلام) ..

الفصل السابع

في إطاعة الحيوانات بأنواعها وكذلك صورها للنبي ﷺ والإمام ﷺ وهي كثيرة

عن ابن عباس قال: جاء إلى النبي ﷺ أعرابي من بني سليم ومعه ضبّ اصطاده في البرية في كمّه فقال: لا أؤمن بك حتى ينطق هذا الضبّ. فقال النبي ﷺ: يا ضبّ من أنا؟ فقال: أنت محمد بن عبد الله اصطفاك الله حبيباً. فأسلم السلمي^(١).

وكان للمتوكل مجلس بشبابيك كيما تدور الشمس في حيطانه، قد جعل فيها الطيور التي تصوّت، فإذا كان يوم السلام جلس في ذلك المجلس فلا يسمع ما يقال له ولا يسمع ما يقول من اختلاف أصوات تلك الطيور، فإذا وافاه علي بن محمد بن الرضا ﷺ سكنت الطيور فلا يسمع منها صوت واحد إلى أن يخرج من عنده فإذا خرج من باب المجلس عادت الطيور في أصواتها^(٢).

(١) بحار الأنوار، ج ١٧، ص ٤٠١، ح ١٧، وص ٤٠٦، ح ٣٠، وص ٤١٥، ح ٤٥، وص ٤٢٠ ح ٤٧.

(٢) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٤٨، ح ٣٤ (باب ٣ معجزاته وبعض مكارم أخلاقه) نقلاً =

قال: وكان عنده عدة من القوابج في الحيطان وكان يجلس في مجلس له عال ويرسل تلك القوابج تقتل، وهو ينظر إليها ويضحك منها، فإذا وافى علي بن محمد عليه السلام إليه في ذلك المجلس لصقت تلك القوابج بالحيطان فلا تتحرك من موضعها حتى ينصرف، فإذا انصرف عادت في القتال^(١).

وما ظهر من إطاعة الحيوانات بأنواعها لهم صلوات الله عليهم كثيرة؛ فمنها ما كانت تنقاد لهم، ومنها ما كانت تنطق وتشهد بوحدانية الله ونبوة النبي محمد عليه السلام والولاية للأئمة عليهم السلام^(٢).

بصائر الدرجات عن إبراهيم بن وهب قال: قلت لمولانا الكاظم عليه السلام ألكم عليهم (يعني الحيات) طاعة؟ فقال: نعم، والذي أكرم محمداً

= عن المناقب، ج ١، ص ٤٠٣، ح ١٠؛ منتهى الآمال، ج ٢ (في معجزات الإمام الهادي عليه السلام) ص ٦١٢.

(١) منتهى الآمال، ج ٢، ص ٦١٢، الفصل الثالث، ح ١٣، وبحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٤٨، ح ٣٤.

(٢) من هذه الروايات ما ذكره المجلسي في بحار الأنوار، في أبواب مختلفة، منها باب ما ظهر من إعجاز النبي في الحيوانات ما يقارب ٤٧ رواية ج ١٧ ص ٣٩٠ وفي المجلد ٤١ ص ٢٣٠ باب ما ظهر من معجزات أمير المؤمنين عليه السلام في استنطاق الحيوانات وانقيادها له صلوات الله عليه ١٥ رواية كما ذكر المصنف في مستدرک سفينة البحار في لغة «ابل»، ج ١، ص ٣٧ و«بعر»، ج ١، ص ٣٧٥ و«نوق»، ج ٩، ص ١٨٧ و«جمل»، ج ٢، ص ١٠٢ قضايا الإبل وفي «البقر»، ج ١، ص ٣٨٤ و«الثور»، ج ١، ص ٥٣٧، قضايا الثيران وفي «الأسد»، ج ١، ص ١٢٦ قضايا الأسود وفي «الذئب»، ج ٣، ص ٤١٩، قضايا الذئب وفي «حیى»، ج ٢، ص ٥٠٢ و«نمل»، ج ١٠، ص ١٤٩ قضايهما ولكل حيوان ذكر المصنف الروايات الواردة فيما يرتبط بذلك الحيوان.

في إطاعة الحيوانات بأنواعها وكذلك صورها للنبي ﷺ والإمام ﷺ ١٢١

بالنبوة وأعز علياً بالوصية والولاية إنهم لأطوع لنا منكم يا معشر الإنس وقليل ما هم^(١).

ونقل السيد ابن طاووس عن القاسم بن العلاء المدائني قال: حدثني خادم لعلي بن محمد ﷺ قال: استأذنته في الزيارة إلى طوس فقال لي: يكون معك خاتم فضة عقيق أصفر، عليه: ما شاء الله لا قوة إلا بالله أستغفر الله، وعلى الجانب الآخر: محمد وعلي، فإنه أمان من القطع وأتم للسلامة وأصون لديك. قال: فخرجت وأخذت خاتماً على الصفة التي أمرني بها ثم رجعت إليه لوداعه فودعته وانصرفت. فلما بعدت عنه أمر بردي فرجعت إليه، فقال: يا صافي. قلت: لبيك يا سيدي، قال: ليكن معك خاتم آخر فيروزج فإنه يلقيك في طريقك أسد بين طوس ونيسابور فيمنع القافلة من المسير فتقدم إليه وأره الخاتم وقل له: مولاي يقول لك تنح عن الطريق. ثم قال: ليكن نقشه «الله الملك» وعلى الجانب الآخر «الملك لله الواحد القهار» فإنه خاتم أمير المؤمنين علي ﷺ كان عليه «الله الملك». فلما ولي الخلافة نقش على خاتمه «الملك لله الواحد القهار» وكان فضة فيروزج وهو أمان من السباع خاصة، وظفر في الحروب.

قال الخادم: فخرجت في سفري ذلك فلقيني والله السبع ففعلت ما أمرت ورجعت حدثته، فقال ﷺ لي: بقيت عليك خصلة لم تحدثني بها إن شئت حدثتك بها. فقلت: يا سيدي علي نسيته. فقال: نعم، بت ليلة

(١) بصائر الدرجات، ج ١، ص ٢٠٢ (باب ١٩ في الأئمة ﷺ وأن الجن يأتيهم)؛ مستدرک سفينة البحار، ج ٦، ص ٥٨٨، في لغة «طوع».

بطوس عند القبر فصار إلى القبر قوم من الجن لزيارته فنظروا إلى الفصّ في يدك وقرأوا نقشه فأخذوه من يدك وصاروا به إلى عليل لهم وغسلوا الخاتم بالماء وسقوه ذلك الماء فبرئ، وردّوا الخاتم إليك وكان في يدك اليمنى فصيّروه في يدك اليسرى فكثير تعجّبك من ذلك ولم تعرف السبب فيه، ووجدت عند رأسك حجراً ياقوتاً فأخذته وهو معك فاحمله إلى السوق فإنك ستبيعه بثمانين ديناراً وهي هدية القوم إليك. فحملته إلى السوق فبعته بثمانين ديناراً كما قال سيدي^(١).

وعن علي بن يقطين وزير هارون العباسي قال: استدعى الرشيد رجلاً يبطل به أمر أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام ويقطعه ويخجله في المجلس. فانتدب له رجل معزم فلما أحضرت المائدة عمل ناموساً على الخبز فكان كلما رام خادم أبي الحسن عليه السلام تناول رغيف من الخبز طار من بين يديه واستفز هارون الفرح والضحك لذلك. فلم يلبث أبو الحسن عليه السلام أن رفع رأسه إلى أسد مصوّر على بعض الستائر فقال له: يا أسد الله خذ عدوّ الله. قال: فوثبت تلك الصورة كأعظم ما يكون من السباع فافترت ذلك المعزم، فخرّ هارون وندماؤه على وجوههم مغشياً عليهم، وطارت عقولهم خوفاً من هول ما رأوه. فلما أفاقوا من ذلك بعد حين قال هارون لأبي الحسن عليه السلام: أسألك بحقّي عليك لما سألت الصورة أن تردّ الرجل. فقال عليه السلام: إن كانت عصا موسى ردّت ما ابتلعت من حبال القوم وعصيتهم فإنّ هذه الصورة تردّ ما ابتلعت من هذا الرجل،

(١) وسائل الشيعة، ج ١١، ص ٤٢٨، ح ١، الرقم ١٥١٧٥؛ الأمان من أخطار الأسفار والزمان، ص ٤٨.

في إطاعة الحيوانات بأنواعها وكذلك صورها للنبي ﷺ والإمام ﷺ ١٢٣

فكان ذلك أعمل الأشياء في إفاقة نفسه^(١).

وفي حديث مفصل^(٢) أن الرضا عليّ بن موسى ﷺ لما جعله المأمون وليّ عهده، احتبس المطر فجعل بعض حاشية المأمون والمتعصبين على الرضا ﷺ يقولون: انظروا لما جاءنا علي بن موسى وصار ولي عهدنا فحبس الله تعالى عنا المطر. واتصل ذلك بالمأمون فاشتدّ عليه فقال للرضا ﷺ: قد احتبس المطر فلو دعوت الله عزّ وجلّ أن يمطر الناس. قال الرضا ﷺ: نعم. قال: فمتى تفعل ذلك؟ وكان ذلك يوم الجمعة. قال: يوم الاثنين، فإن رسول الله ﷺ أتاني البارحة في منامي ومعه أمير المؤمنين ﷺ وقال يا بني انتظر يوم الاثنين فابرز إلى الصحراء واستسق، فإن الله عزّ وجلّ سيسقيهم وأخبرهم بما يريك الله مما لا يعلمون حاله. ليزداد علمهم بفضلك ومكانك من ربك عزّ وجلّ.

فلما كان يوم الاثنين غدا إلى الصحراء وخرج الخلائق ينظرون، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: اللهم يا رب آت عظمّتنا حقنا أهل البيت فتوسّلوا بنا كما أهرت وأملوا فضلك ورحمتك وتوقعوا إحسانك ونعمتك، فاسقهم سقياً نافعاً عاماً غير راث ولا ضائر وليكن ابتداء مطرهم بعد انصرافهم من مشهدهم هذا إلى منازلهم ومقارهم.

(١) بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ٤٢، باب ٤، ح ١٧، من كتاب عيون أخبار الرضا ﷺ، ج ١، ص ٩٦، ح ١، باب ٨؛ والأمالى للصدوق، ص ١٤٨ (المجلس التاسع والعشرون)؛ وعن المتأقب لابن شهر آشوب، ج ٤، ص ٢٩٩.

(٢) عيون أخبار الرضا ﷺ، ج ٢، ص ١٦٨، ح ١ (باب ٤١: استسقاء المأمون بالرضا ﷺ) المفسر بإسناده إلى أبي محمد العسكري عن أبيه عن جده ﷺ عن علي بن يقطين.

قال: فوالله الذي بعث محمداً بالحق نبياً لقد نسجت الرياح في الهواء الغيوم وأرعدت وأبرقت وتحرك الناس كأنهم يرون التنحي عن المطر. فقال الإمام الرضا عليه السلام: على رسلكم أيها الناس فليس هذا الغيم لكم إنما هو لأهل بلد كذا، فمضت السحابة وعبرت ثم جاءت سحابة أخرى تشتمل على رعد وبرق فتحركوا فقال: على رسلكم فما هذه لكم إنما هي لأهل بلد كذا، فما زال حتى جاءت عشر سحابات وعبرت، ويقول علي ابن موسى الرضا عليه السلام في كل واحدة: على رسلكم ليست هذه لكم إنما هي لأهل بلد كذا. ثم أقبلت سحابة حادية عشرة فقال: أيها الناس هذه بعثها الله عز وجل لكم فاشكروا الله تعالى على تفضله عليكم وقوموا إلى منازلكم ومقاركم فإنها مسامطة لكم ولرؤوسكم ممسكة عنكم إلى أن تدخلوا مقاركم ثم يأتيكم من الخير ما يليق بكرم الله تعالى وجلاله، ونزل من المنبر. فانصرف الناس، فما زالت السحابة ممسكة إلى أن قربوا من منازلهم ثم جاءت بوابل المطر فملأت الأودية والحياض والغدران والقنوات، فجعل الناس يقولون: هنيئا لولد رسول الله صلى الله عليه وآله كرامات الله عز وجل^(١).

ثم برز إليهم الرضا عليه السلام وحضرت الجماعة الكثيرة منهم فقال: أيها الناس اتقوا الله في نعم الله عليكم فلا تنفروها عنكم بمعاصيه بل استديموها بطاعته وشكره على نعمه وأياديه، واعلموا أنكم لا تشكرون الله عز وجل بشيء بعد الإيمان بالله وبعد الاعتراف بحقوق أولياء الله من

(١) بحار الأنوار، ج ٤٩، ص ١٨٠، ح ١٦ (باب ١٤ سائر ما جرى بينه عليه السلام وبين المأمون).

في إطاعة الحيوانات بأنواعها وكذلك صورها للنبي ﷺ والإمام ﷺ ١٢٥

آل محمد رسول الله أحب إليكم من معاونتكم لإخوانكم المؤمنين على دنياهم التي هي معبرتهم إلى جنان ربهم، فإن من فعل ذلك كان من خاصة الله تبارك وتعالى، وقد قال رسول الله ﷺ في ذلك قولاً ما ينبغي لقائل أن يزهد في فضل الله تعالى عليه أن تأمله وعمل عليه، قيل: يا رسول الله هلك فلان يعمل من الذنوب كيت وكيت، فقال رسول الله ﷺ: بل قد نجا ولا يختم الله تعالى عمله إلا بالحسنى وسيمحو الله عنه السيئات ويبدلها له حسنات إنه كان مرة يمر في طريق عرض له مؤمن قد انكشفت عورته وهو لا يشعر فسترها عليه ولم يخبره بها مخافة أن يخجل، ثم إن ذلك المؤمن عرفه في مهواة فقال له: أجزل لك الثواب وأكرم لك المآب ولا ناقتك الحساب فاستجاب الله له فيه. فهذا العبد لا يختم له إلا بخير بدعاء ذلك المؤمن، فاتصل قول رسول الله ﷺ بهذا الرجل فتاب وأتاب وأقبل على طاعة الله عز وجل، فلم يأت عليه سبعة أيام حتى أغير على سرح المدينة فوجه رسول الله ﷺ في أثرهم جماعة ذلك الرجل أحدهم، فاستشهد فيهم.

قال الإمام محمد بن علي بن موسى ﷺ وأعظم الله تبارك وتعالى البركة في البلاد بدعاء الرضا ﷺ وقد كان للمأمون من يريد أن يكون هو ولي عهده من دون الرضا ﷺ وحساد كانوا بحضرة المأمون للرضا ﷺ فقال للمأمون بعض أولئك: يا أمير المؤمنين، أعيدك بالله أن تكون تاريخ الخلفاء في إخراجك هذا الشرف العميم والفخر العظيم من بيت ولد العباس إلى بيت ولد علي. ولقد أعنت على نفسك وأهلك جئت بهذا الساحر ولد السحرة وقد كان خاملاً فأظهرته، ومتضعاً فرفعته، منسياً فذكرت به، ومستخفاً فنوّهت به، قد ملأ الدنيا مخارقة وتشوقاً بهذا المطر

الوارد عند دعائه ما أخوفني أن يخرج هذا الرجل هذا الأمر عن ولد العباس إلى ولد علي، بل ما أخوفني أن يتوصل بسحره إلى إزالة نعمتك والتوثب على مملكتك، هل جنى أحد على نفسه وملكه مثل جنايتك؟ فقال المأمون: قد كان هذا الرجل مستتراً عنا يدعو إلى نفسه فأردنا أن نجعله ولياً عهدنا ليكون دعاؤه لنا وليعرف بالملك والخلافة لنا وليعتقد فيه المفتونون به أنه ليس مما ادعى في قليل ولا كثير، وإن هذا الأمر لنا من دونه.

وقد خشينا إن تركناه على تلك الحال أن يفتق علينا منه ما لا نسده، ويأتي علينا منه ما لا نطيقه والآن فإذا قد فعلنا به ما فعلنا وأخطأنا في أمره بما أخطأنا وأشرفنا من الهلاك بالتنويه به على ما أشرفنا، فلا يجوز التهاون في أمره ولكننا نحتاج أن نضع منه قليلاً قليلاً حتى نصوره عند الرعية بصورة من لا يستحق لهذا الأمر، ثم ندبر فيه بما يحسم عنا مواد بلائه.

قال الرجل: يا أمير المؤمنين فولّني مجادلته فإنني أفحمه وأصحابه وأضع من قدره فلولا هيبتك في صدري لأنزلته منزلته وبيّنت للناس قصوره عما رشّحته له.

قال المأمون: ما شيء أحب إليّ من هذا.

قال: فاجمع وجوه أهل مملكتك والقواد والقضاة وخيار الفقهاء لأبين نقصه بحضرتهم فيكون أخذاً له عن محلّه الذي أحلته فيه على علم منهم بصواب فعلك.

قال: فجمع الخلق الفاضلين من رعيته في مجلس واسع قعد فيه لهم

في إطاعة الحيوانات بأنواعها وكذلك صورها للنبي ﷺ والإمام ﷺ ١٢٧

وأقعد الرضا ﷺ بين يديه في مرتبته التي جعلها له، فابتدأ هذا الحاجب المتضمن للوضع من الرضا ﷺ وقال له: إن الناس قد أكثروا عنك الحكايات وأسرفوا في وصفك بما أرى أنك إن وقفت عليه برئت إليهم منه. فأول ذلك أنك دعوت الله في المطر المعتاد مجيؤه فجاء، فجعلوه آية لك معجزة أوجبوا لك بها أن لا نظير لك في الدنيا، وهذا أمير المؤمنين أدام الله ملكه وبقائه لا يوازن بأحد إلا رجح به، وقد أحلك المحلّ الذي عرفت فليس من حقه عليك أن تسوغ الكاذبين لك وعليه ما يتكذبونه.

فقال الرضا ﷺ: ما أدفع عباد الله عن التحدث بنعم الله عليّ وإن كنت لا أبغي أشراً ولا بطراً. وأما ذكرك صاحبك الذي أحلّني، فما أحلّني إلا المحلّ الذي أحله ملك مصر يوسف الصديق ﷺ وكانت حالهما ما قد علمت. فغضب الحاجب عند ذلك فقال: يا ابن موسى، لقد عدوت طورك وتجاوزت قدرك أن بعث الله تعالى بمطر مقدّر وقته لا يتقدّم ولا يتأخر جعلته آية تستطيل بها وصوله بها كأنك جئت بمثل آية الخليل إبراهيم ﷺ لما أخذ رؤوس الطير بيده ودعا أعضائها التي كان فرقها على الجبال فأتينه سعيّاً وتركبني على الرؤوس وخفقتن وطرن بإذن الله. فإن كنت صادقاً في ما توهم فأحي هذين وسلطهما عليّ فإن ذلك يكون حينئذ آية معجزة، فأما المطر المعتاد مجيؤه، فلست أحقّ بأن يكون جاء بدعائك من غيرك الذي دعا كما دعوت وكان الحاجب قد أشار إلى أسدين مصورين على مسند المأمون الذي كان مستنداً إليه وكانا متقابلين على المسند، فغضب علي بن موسى الرضا ﷺ وصاح بالصورتين: دونكما الفاجر فافترساه ولا تبقياً له عيناً ولا أثراً. فوثبت الصورتان وقد

عادتا أسدين فتناولا الحاجب وعضّاه ورضّاه وهشماه وأكلاه ولحسا دمه والقوم ينظرون متحيرين مما يبصرون. فلما فرغا منه أقبلّا على الرضا عليه السلام وقالوا يا ولي الله في أرضه ماذا تأمرنا نفعل بهذا؟ أنفعل به فعلنا بهذا؟ يشيران إلى المأمون، فغشي على المأمون مما سمع منهما، فقال الرضا عليه السلام: فقا، فوقفا.

ثم قال الرضا عليه السلام صبّوا عليه ماء ورد وطيبوه. ففعل ذلك به، وعاد الأسدان. يقولان: أتأذن لنا أن نلحقه بصاحبه الذي أفيناه؟ قال: لا فإن الله عزّ وجلّ فيه تدبيراً هو ممضيه. فقالا: ما ذا تأمرنا؟ فقال: عودا إلى مقرّكما كما كنتما. فعادا إلى المسند وصارا صورتين كما كانتا.

فقال المأمون: الحمد لله الذي كفاني شرّ حميد بن مهران يعني الرجل المفترّس، ثم قال للرضا عليه السلام يا ابن رسول الله ﷺ هذا الأمر لجّدكم رسول الله ﷺ ثم لكم، فلو شئت لنزلت عنه لك. فقال الرضا عليه السلام: لو شئت لما ناظرتك ولم أسألك فإن الله عزّ وجلّ قد أعطاني من طاعة سائر خلقه مثل ما رأيت من طاعة هاتين الصورتين إلا جهال بني آدم فإنهم - وإن خسروا حظوظهم - فللّهم عزّ وجلّ فيهم تدبّر. وقد أمرني بترك الاعتراض عليك وإظهار ما أظهرته من العمل من تحت يدك كما أمر يوسف عليه السلام بالعمل من تحت يد فرعون مصر.

قال: فما زال المأمون ضئيلاً إلى أن قضى في علي بن موسى الرضا عليه السلام ما قضى^(١).

(١) بحار الأنوار، ج ٤٩، ص ١٨١ - ١٨٥، وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ١٦٨ (باب ٤١: استسقاء المأمون بالرضا عليه السلام) بسند معتبر عن الإمام الحسن العسكري =

في إطاعة الحيوانات بأنواعها وكذلك صورها للنبي ﷺ والإمام ﷺ ١٢٩

وعن زرافة حاجب المتوكل قال: وقع رجل مشعبذ من ناحية الهند إلى المتوكل يلعب يلعب الحَقَّ لم يُر مثله وكان المتوكل لَعَاباً فأراد أن يُخجل الإمام علي بن محمد الهادي ﷺ فقال المتوكل: إن أخجلته فلك ألف دينار. قال: فتقدم أن يخبز رقاق خفاف تجعل على المائدة وأنا إلى جنبه ففعل وحضر علي ﷺ للطعام وجعل له مسورة عليها صورة أسد وجلس اللاعب إلى جنب المسورة، فمدَّ علي ﷺ يده إلى رقاقة فطيرها اللاعب كذا ثلاث مرات، فتصاحكوا، فضرب علي ﷺ يده على تلك الصورة وقال: خذه. فوثبت الصورة من المسورة وابتلعت الرجل وعادت إلى المسورة، فتحيروا ونهض علي بن محمد، فقال له المتوكل: سألتك بالله إلا جلست ورددته. فقال: والله لا يرى بعدها أتسلط أعداء الله على أوليائه؟ وخرج من عنده ولم ير الرجل بعدها^(١).

وقد نقل صاحب تفسير البرهان المحدث الشهير السيّد هاشم البحراني^(٢) أنه وجّه المنصور إلى سبعين رجلاً من أهل كابل فدعاهم، فقال لهم: ويحكم إنكم تزعمون أنكم ورثتم السحر عن آبائكم أيام

= عن آباءهم عليهم الصلاة والسلام، وفي كتاب دلائل الإمامة للطبري، ص ٣٧٦ - ٣٨٢، ح ٣٨، الرقم ٣٤٠.

(١) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٤٦ باختلاف يسير، الخرائج للقطب الراوندي، ج ١، ص ٤٠٠ الباب الحادي عشر في معجزات الإمام الهادي ﷺ وفي بعض الروايات أن صورة الأسد قد نُقِشت على ستار.

(٢) مدينة المعاجز، ج ٢، ص ٤١٦ نقلاً عن كتاب دلائل الإمامة، وذكرها المفيد في الاختصاص، ص ٢٤٧، إثبات الهداة، ج ٥، ص ٤٥٧، باب ٢١ في معجزات الإمام الصادق ﷺ، فصل ٣٤، ح ٢٤٦.

موسى ﷺ وإنكم تفرقون بين المرء وزوجه، وإن أبا عبد الله جعفر بن محمد ساحرٌ مثلكم، فاعملوا شيئاً من السحر فإنكم إن ابهتموه أعطيتكم الجائزة العظيمة والمال الجزيل. فقاموا إلى المجلس الذي فيه المنصور وصوّروا له سبعين صورة من صور السباع لا يأكلون ولا يشربون، وإنّما كانت صور، وجلس كل واحد منهم تحت صورته، وجلس المنصور على سريره، ووضع إكليله على رأسه، ثم قال لحاجبه: ابعث إليّ أبي عبد الله.

قال: فدخل عليه فلما أن نظر إليه وإليهم وبما قد استعدّوا له رفع يده إلى السماء ثم تكلم بكلام بعضه جهراً وبعضه خفياً، ثم قال: ويحكم أنا الذي أبطل سحركم. ثم نادى برفيع صوته قسورة خذهم، وفي رواية أخرى أنه قال: أيتها الصور الممثلة ليأخذ كل واحد منكم صاحبه، فوثب كل سبع منها على صاحبه فافترسه في مكانه، ووقع المنصور عن سريره وهو يقول: يا أبا عبد الله، أقلني فوالله لا عدت إلى مثلها أبداً، فقال له: قد أقلتك. قال: يا سيدي فردّ السباع إلى ما أكلوا، قال ﷺ: هيهات إن عادت عصا موسى فستعود السباع.

لا يخفى أن تبدل الصورة الممثلة إلى حيوان مفترس وافتراسه السحرة وعودته إلى الصورة المنقوشة نفسها كما حدث ذلك بأمر أربعة من الأئمة ﷺ لبرهان قويّ على ولاية أهل البيت ﷺ وسلطتهم وهو أنهم بمراتب من إحياء الموتى.

الفصل الثامن

في قدرة النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام على إحياء الموتى

لقد صرح القرآن الكريم في آياته على حدوث معاجز على يد النبي عيسى ابن مريم عليه السلام كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله تعالى، كما أنه كان ينبئ عن الغيب فيخبر الناس بما يدخرون في بيوتهم، ويذكر القرآن الكريم في سورة المائدة (الآية ١١٠) حكاية الله تعالى لعيسى ابن مريم في يوم القيامة: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتَبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾ وفي الآية ٤٩ من سورة آل عمران يذكر القرآن كلام النبي عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل: ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ وفي روايات أهل البيت عليه السلام أن عيسى ابن مريم أعطي حرفين من الاسم الأعظم كان يعمل بهما فتظهر على يديه المعاجز والآيات وأن

الله تعالى جمع الحرفين من الاسم الأعظم إضافة إلى سبعين حرفاً آخر لمحمد ﷺ وأوصيائه ﷺ فلهم إحياء الموتى بإذن الله تعالى كما كان ذلك لعيسى ابن مريم ﷺ^(١).

نجد في هذه الآيات أن الله تعالى أضاف الإحياء إلى عيسى ولم يضيفها إليه فلم يقل أحيي الموتى بيدك بل قال تحيي الموتى بإذني، وهكذا يكون النبي والإمام، فهم الذين يحيون الموتى بما أقدرهم الله على ذلك، ولو لم يعطهم الله تعالى تلك القدرة لعجزوا عن فعل ذلك، فإن الله يحيي الموتى بالقدرة التي هي عين ذاته القدوسة والمخلوق يحيي الميت أو يقبض روح الحي أو يفعل ما يشاء بقدرة الله تعالى ولطفه وكرمه، ولا ينافي هذا الكلام قول الله تعالى: ﴿قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ﴾^(٢) وقوله: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾^(٣) ﴿وَأَنَّا لَهُ الْخُذَيْدُ﴾^(٤) فهذه الأمور هي من جهة فعل الله عز وجل، ومن جهة أخرى حدثت لأنبياء سابقين وخارج عن موضوع بحثنا الآن، وإنما مصب بحثنا هنا في رسول الله ﷺ وأوصيائه الأئمة ﷺ ومدى نفوذ قدرتهم، فإن الله تعالى أقدر أهل البيت ﷺ واعطاهم العلم فهم يعملون بعلمهم ويتصرفون في الكائنات بهذا العلم الإلهي ولا يتجاوزون أمر الله، بل هم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، من هنا صح أن ننسب فعلهم إلى الله تعالى.

(١) تاويل الآيات، ص ٤٧٩.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ٦٩.

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٧٩.

(٤) سورة السبا، الآية ١٠.

وعن أبي حمزة الثمالي قال: قلت لعلي بن الحسين عليه السلام: أسألك عن شيء أنفي عني به ما قد خامر نفسي؟ قال: ذلك لك. قلت: فالأئمة منكم يحيون الموتى ويبرؤون الأكمه والأبرص ويمشون على الماء؟ فقال عليه السلام: ما أعطى الله نبياً شيئاً إلا وقد أعطى محمداً ﷺ وأعطاه لم يعطهم ولم يكن عندهم، فكل ما كان عند رسول الله ﷺ فقد أعطاه أمير المؤمنين ثم الحسن عليه السلام ثم الحسين عليه السلام ثم إماماً بعد إمام إلى يوم القيامة مع الزيادة التي في كل سنة وفي كل شهر وفي كل يوم.

إن رسول الله ﷺ كان قاعداً فذكر اللحم فقام رجل من الأنصار إلى امرأته وكان لها عناق فقال لها: هل لك في غنيمة؟ قالت: وما ذلك؟ قال: إن الرسول ﷺ يشتهي اللحم فنذبح له عنزنا هذا. قالت: خذها شأنك وإياها، ولم يملكا غيرها، وكان رسول الله ﷺ يعرفهما فذبحها وسمطها وشواها وحملها إلى رسول الله ﷺ فوضعها بين يديه فجمع أهل بيته ومن أحب من أصحابه فقال: كلوا ولا تكسروا لها عظماً وأكل معهم الأنصاري، فلما شبعوا وتفرقوا، رجع الأنصاري وإذا العناق تلعب على باب^(١).

وعن علي بن الحكم عن مثني الحنائط عن أبي بصير قال دخلت على أبي جعفر عليه السلام فقلت له: أنتم ورثة رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. قلت:

(١) بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٧ (باب ٦ من تاريخ نبينا ﷺ معجزاته في استجابة دعائه في إحياء الموتى)؛ الخرائج، للراوندي، ج ٢، ص ٥٨٣، ح ١. وقد روي هذا الحديث بطرق متعددة رواه ابن شهر آشوب في المناقب، ج ١، ص ١٣١ والمجلسي في بحار الأنوار، ج ١٨، ص ١٩، ح ٤٦ وذكره المصنف في مستدرک السفينة في لغة «أوب» أنه كانت لأبي أيوب الأنصاري شاة فأحياها رسول الله ﷺ مرتين.

رسول الله ﷺ وارث الأنبياء عَلِمَ كُلُّ ما علموا؟ قال لي: نعم. قلت: فأنتم تقدرون على أن تحيوا الموتى وتبرؤوا الأكمه والأبرص؟ قال: نعم بإذن الله. ثم قال لي: أَدُنْ مني يا أبا محمد. فدنوت منه، فمسح على وجهي وعلى عيني فأبصرْتُ الشمس والسماء والأرض والبيوت وكلَّ شيء في الدار، ثم قال لي: أتحب أن تكون هكذا ولك ما للناس عليك ما عليهم يوم القيامة أو تعود كما كنت ولك الجنة خالصاً؟ قلت: أعود كما كنت، فمسح على عيني فعدت كما كنت. قال: فحدثت ابن أبي عمير بهذا فقال: أشهد أن هذا حقُّ كما أن النهار حقُّ^(١).

وفي هذا الحديث دلالات على قدرة الإمام عليه السلام على إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، وأن بإمكانهم تناول ما يشاؤون في شرق الأرض وغربها، وأن لهم أن يصنعوا جميع ما صنعه الأنبياء السابقون والمرسلون. فإن رسول الله ﷺ قد ورث جميع ما كان للأنبياء من علوم ومعاجز والأئمة عليهم السلام من بعده ورثة علم رسول الله ﷺ وهم أكرم على الله من سائر الأنبياء بل هم أفضل وأعلم منهم بإستثناء رسول الله ﷺ.

وقد تواترت الروايات من الفريقين أن ما وقع للأمم السابقة سوف يقع لهذه الأمة ومن ذلك ما ذكره القرآن الكريم من إحياء الموتى في

(١) بصائر الدرجات (جزء ٦، باب ٣) ج ٢، ص ١٥، ح ١، الرقم ٩٦٦ (باب ٣ في الأئمة عليهم السلام أنهم يحيون الموتى)، والحديث مذكور عن الشيخ الطبرسي في أعلام الوري، ج ٢، ص ٥٠٤ (فصل ٣ من باب ٤) في المناقب لابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١٨٤؛ والخرائج للراوندي، ج ١، ص ٢٧٤، ح ٥ عن أبي بصير ورواه الكشي في رجاله بسند آخر عن علي بن الحكم، ص ٢٤٩، ح ٢٩٨ (في ذيل أبي بصير ليث بن البختري المرادي) وهو في بحار الأنوار، ج ٤٦، ص ٢٣٧، ح ١٣.

الأمم السالفة وأن ذلك سيكون في هذه الأمة؛^(١) ففي رواية الشاة المشوية وكيد المنافقين وعلى رأسهم عبد الله بن أبي لرسول الله ﷺ وأصحابه وإرادتهم قتله بالسّم وكانوا جمعاً غفيراً من المهاجرين والأنصار، نادى بهم رسول الله ﷺ: يا معاشر المهاجرين والأنصار هلمّوا إلى مائدة عبد الله بن أبي، فجاءوا مع رسول الله وهم سبعة آلاف وثمانمائة فذهب عبد الله بن أبي وأكثر السّم في البرّ والحمل الشويّ، فوضع رسول الله ﷺ وعليّ عليه السلام يدهما في الحريّة الملبقة بالسمن والعسل فأكلا حتى شبعا، ثم وضع من اشتهى خاصرة الحمل ومن اشتهى صدره فأكلا حتى شبعا، هذا وعبد الله ينظر ويظنّ أن لا يلبثهم السّم فإذا هم لا يزدادون إلّا نشاطاً، قال رسول الله ﷺ: أن علياً كان وأنا معه نوراً واحداً عرضنا الله عزّ وجلّ على أهل سماواته وأرضيه وسائر حجبته وجنانه وهوائه وأخذ لنا عليهم العهود، ولأعدائنا معاندين، ولمن نحبه محبّين، ولمن نبغضه مبغضين.

وفي آخر هذا الحديث فإذا هم بعد أكلهم للحمل لم يبق منه إلّا عظامه ثم قالوا: يا رسول الله، نحتاج إلى لبن أو شراب نشربه عليه.

فقال رسول الله ﷺ: إن صاحبكم أكرم على الله من عيسى عليه السلام أحيى الله تعالى له الموتى وسيفعل ذلك لمحمد، ثم بسط منديلته ومسح يده عليه وقال «اللهم كما باركت فيها فأطعمتنا من لحمها فبارك فيها وأسقنا من لبنها» قال فتحرّكت وبركت وقامت وامتلاً ضرعها فقال رسول الله ﷺ:

(١) ذكر المصنف ذلك في مستدرك سفينة البحار، ج ٢، ص ٤٩٢، في لغة «حيا»، وفي كتاب مقام القرآن والعتره، للمصنف، ص ١٥٣.

إيتوني بأزقاق وظروف وأوعية ومزارات، فجاءوا بها فملأها فسقاها
حتى شربوا ورووا ثم عادت عظماً^(١).

وفي حادثة أخرى أحيا رسول الله ﷺ ستة من المنافقين وكذلك أمير
المؤمنين أحيا أربعة منهم^(٢).

وكان المعصوم تارة يدعو الله فيحيي الله الميت أو يصلي ثم يدعو
فيحيي الله الميت، وتارة يضرب برجله الميت ويقول: «إن بقرة بني
إسرائيل ضرب بعضها الميت فعاش وأنا أضربه ببعضي فإن بعضي عند الله
خير من البقرة كلّها»^(٣).

وفي كتاب إثبات الهداة^(٤) أن الرضا عليه السلام سأل إبراهيم بن سهل: ما
دلالة الإمام عندك؟ قال: أن يخبر بما وارى البيت، وأن يحيي ويميت.
فقال: أنا أفعل ذلك، أما الذي معك فخمسة دنانير، وأما أهلك فإنها

(١) بحار الأنوار، ج ١٧، ص ٣٣٠ - ٣٣٣، ح ١٥ (باب ٢ جوامع معجزاته ﷺ).

(٢) إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، ج ٦، ص ١٤٩. ذكره الحر العاملي في أبواب
المعجزات ومن جملة ما ذكر نفس المصدر في الجزء ٥، ص ٤٦٢ من كتاب بصائر
الدرجات عن سعد القمي حديث إحياء الإمام الصادق للميت، نادى باسم الميت
فقال: يا أحمد! ثم بإذن الله وإذن جعفر بن محمد، فقام. وفي كتاب مدينة المعاجز،
للسيد هاشم البحراني ذكر ٥٠ مورداً أحيا فيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة
الهداة عليهم السلام الأموات، ج ١، ص ٩٤ - ١٠٥؛ ج ٢، ص ١٥، و ص ١١٨، و ص ٣٠٨،
و ص ٣٧٠، و ص ٣٧١، و ص ٤٦٧ إلى ص ٤٧٦؛ ج ٣، ص ٤٥، و ص ٨٤، و ص ٢٦٠،
و ص ٢٨٩، و ص ٣٠٣.

(٣) بحار الأنوار، ج ٤٠، ص ٢٧٦، نقلاً عن كتاب الفضائل لابن شاذان، ص ٤.

(٤) إثبات الهداة، ج ٦، ص ١٤٩.

في قدرة النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام على إحياء الموتى ١٣٧

مات منذ سنة وقد أحيتها الساعة وأتركها معك سنة أخرى، وذكر أن ذلك وقع كما قال.

وفي احتجاج الإمام الرضا عليه السلام مع علماء اليهود والنصارى وغيرهم قال عليه السلام:

لقد اجتمعت قريش إلى رسول الله ﷺ فسألوه أن يحيي لهم موتاهم، فوجه معهم علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له: اذهب إلى الجبانة فناد بأسماء هؤلاء الرهط الذين يسألون عنهم بأعلى صوتك: يا فلان ويا فلان ويا فلان، يقول لكم محمد رسول الله: قوموا بإذن الله عز وجل. فقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم، فأقبلت قريش تسألهم عن أمورهم ثم أخبروهم أن محمداً ﷺ قد بعث نبياً وقالوا وددنا أنا أدركناه فنؤمن به، ولقد أبرأ الأكمة والأبرص والمجانين وكلمه البهائم والطير والجن والشياطين^(١).

وقال عليه السلام: ولقد أبرأ الأكمة والأبرص والمجانين، ولقد كلمته البهائم والطير والجن والشياطين^(٢).

وفي حادثة أخرى روي أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال إني قدمت من سفر لي فينا بُنيّة خماسية تدرج حولي في صبغها وحليها أخذت بيدها

(١) ذكرها الصدوق في كتاب التوحيد، ص ٤٢٣ باب ذكر مجلس الرضا مع أهل الأديان؛ وعيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ١٦٠ (باب ١٢)، وكذلك رواه الطبرسي في الاحتجاج، ج ٢، ص ٤٠٨، احتجاج الرضا؛ وفي بحار الأنوار، ج ١٠، ص ٣٠٤، ج ١ (باب ١٩ من كتاب الاحتجاج).

(٢) نفس المصدر.

فانطلقت بها إلى وادي كذا فطرحتها فيه فقال ﷺ : انطلق معي وأرني الوادي فانطلق مع رسول الله ﷺ إلى الوادي فقال لأبيها ما اسمها؟ قال: فلانة. فقال: يا فلانة احبي بإذن الله، فخرجت الصبية تقول: لبيك يا رسول الله وسعديك. فقال: إن أبويك قد أسلما فإن أحببت أرددك عليهما؟ قالت: لا حاجة لي فيهما وجدت الله خيراً لي منهما^(١).

(١) بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٨، ح ١١ نقلاً عن الخرائج للراوندي، ج ١، ص ٣٥. وذكر المصنف في كتابه مقام القرآن والعتره، ص ١٥٣ - ١٥٦ موارد إحيائهم ﷺ الأموات بالتفصيل؛ فراجع.

الفصل التاسع

في إطاعة الأشجار والنباتات وتكلمها مع النبي ﷺ والإمام علي عليه السلام

نورد الكلام هنا في مبحثين :

المبحث الأول: في إطاعة الأشجار لرسول الله ﷺ وهي موارد كثيرة نذكر هنا بعضاً منها

روي أن أبا طالب قال يوماً للنبي ﷺ بمحضر من قريش ليبريهم فضله : يا ابن أخي ، الله أرسلك ؟ قال : نعم . قال : إن للأنبياء معجزاً وخرق عادة فأرنا آية . قال : ادعُ تلك الشجرة وقل لها : يقول لك محمد ابن عبد الله أقبلني بإذن الله . فدعاها فأقبلت حتى سجدت بين يديه ثم أمرها بالانصراف فانصرفت فقال أبو طالب : أشهد أنك صادق ثم قال لابنه علي : يا بني إلزم ابن عمك ^(١) .

(١) : بحار الأنوار ، ج ٣٥ ، ص ١١٥ ، ح ٥٣ (باب ٣ نسبه واحوال والديه من تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام ...) وج ٣٥ ، ص ٧١ ، ح ٥ نقلاً عن الأمالي للصدوق ، ص ٦١٤ (المجلس التاسع والثمانون) ؛ المناقب ، ج ١ ، ص ١٢٩ (فصل في إعجازه) .

وروى المجلسي عن الخرائج في قصة غزوة خندق وفتح قلعة بني قُرَيْظَة: ... فلَمَّا سار المسلمون وقربوا من القلعة وجدوا النخل مُحَدِّقًا بقصرهم ولم يكن للمسلمين معسكر ينزلون فيه ووافى رسول الله ﷺ فقال: ما لكم لا تنزلون؟ فقالوا: ما لنا مكان. فنزل من إشتباك النخل فدخل في طريق بين النخل فأشار بيده يمنةً فانضمَّ النخل بعضه إلى بعض، وأشار بيده يسرةً فانضمَّ النخل كذلك واتَّسع لهم الموضع، فنزلوا^(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن النبي ﷺ كان في مكان ومعه رجل من أصحابه وأراد قضاء حاجة فقام إلى الأشاءين يعني النخلتين فقال لهما اجتماعا، فاستتر بهما النبي ﷺ فقضى حاجته ثم قام، فجاء الرَّجُل فلم يرَ شيئاً^(٢).

عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديثه مع اليهودي ذكر فيها فضل رسول الله ﷺ على سائر الأنبياء مع ذكر معاجزه.

قال: لقد بَعَثَ إلى شجرة يوم البطحاء فأجابته ولكل غصن منها

(١) بحار الأنوار، ج ٢٠، ص ٢٤٩، ح ١٧ (باب ١٧ من تاريخ نبينا ﷺ).

(٢) بحار الأنوار، ج ١٦، ص ٢٢٣، ح ٢٣؛ ج ١٧، ص ٣٦٧، ح ١٥. رواه الثقة الجليل صفار في كتاب البصائر، ج ١، ص ٤٩٤، ح ٩ (باب ١٣) عن الإمام الصادق عليه السلام.

قال العلامة: نقل هذه الرواية الإمام العسكري عن الإمام الهادي عليه السلام وفصل في الموضوع أكثر. وفي رواية أن رسول الله ﷺ قال لعمار بن ياسر: «صِرْ إلى الشجرتين فقل لهما يأمركما رسول الله أن تلتقيا» يقول: فأقبلت كل واحدة إلى الأخرى حتى التفتا فصارتا كالشجرة الواحدة، وعن زيد بن ثابت مثله. بحار الأنوار، ج ١٧، ص ٣٦٤، ح ٣، باب ٤.

في إطاعة الأشجار والنباتات وتكلمها مع النبي ﷺ والإمام ﷺ ١٤١

تسبيح وتهليل وتقديس ثم قال لها : انشقي ، فانشقت نصفين ثم قال لها :
التزقي ، فالتزقت ثم قال لها : اشهدي لي بالنبوة ، فشهدت ثم قال لها :
ارجعي إلى مكانك بالتسبيح والتهليل والتقديس ، ففعلت^(١) .

موارد اطاعة الأشجار له ﷺ كثيرة لا يسعنا في هذا المختصر
التفصيل في ذلك ﷺ^(٢) .

**المبحث الثاني: في إطاعة الشجر للإمام أمير المؤمنين ﷺ وأولاده
الأئمة الأطهار ﷺ وذكر ما ظهر من معجزاته عليه الصلاة
والسلام في النباتات**

روي أنه لما رجع أمير المؤمنين من صفين وسقى القوم من الماء الذي
تحت الصخرة التي قلبها ليقعد لحاجته فقال بعض منافقي عسكره : سوف
أنظر إلى سواته وإلى ما يخرج منه فإنه يدعي مرتبة النبي ﷺ لأخبر
أصحابي بكذبه . فقال علي ﷺ لقنبر : يا قنبر اذهب إلى تلك الشجرة
وإلى التي تقابلها - وقد كان بينهما أكثر من فرسخ - فنادهما : إن وصي
محمد يأمركما أن تتلاصقا . فقال قنبر : يا أمير المؤمنين أو يبلغهما
صوتي؟ قال علي ﷺ إن الذي يبلغ بصر عينك السماء وبينك وبينها مسيرة

(١) بحار الأنوار، ج ١٠، ص ٤٨، ح ١ (باب ٢ من كتاب الإحتجاج) وج ١٧، ص ٢٩٦،
ج ٧، وهو في ضمن رواية مفصلة ذكرها الشيخ الطبرسي في الإحتجاج، ج ١،
ص ٥٣٤ عن موسى بن جعفر عن آبائه عن الحسين بن علي عن أمير المؤمنين ﷺ في
حديثه مع اليهودي

(٢) يمكن للقارئ مراجعة مستدرك سفينة البحار لغة «شجر» للمصنف، ج ٥، ص ٣٦٦
وفي بحار الأنوار، ج ١٧، ص ٣٦٣؛ (باب ٤ من تاريخ نبينا ﷺ) ج ٤١، ص ٢٤٨.

خمسائة عام سيبلغهما صوتك . فذهب قنبر فنادى فسعت إحداهما إلى الأخرى سعي المتحابين طالت غيبة أحدهما عن الآخر واشتد شوقه وانضمّا ، فقال قوم من منافقي العسكر: إن علياً يضاهي في سحره رسول الله ﷺ ابن عمّه ، ما ذاك رسول الله ولا هذا إمام ، وإنما هما ساحران ، لكنّا سندور من خلفه فننظر إلى عورته وما يخرج منه ، فأوصل الله عزّ وجلّ ذلك إلى أذن علي من قبلهم ، فقال جهراً: يا قنبر ، إن المنافقين أرادوا مكابدة وصي رسول الله ﷺ وظنوا أنه لا يمتنع منهم إلّا بالشجرتين فارجع إليهما ، يعني الشجرتين ، فقل لهما إن وصي رسول الله ﷺ يأمركما أن تعودا إلى مكانكما ، ففعل ما أمره به فانقلعتا وعادت كل واحدة تفارق الأخرى كهزيمة الجبان من الشجاع البطل ثم ذهب علي عليه السلام ورفع ثوبه ليقعد وقد مضى من المنافقين جماعة لينظروا إليه فلما رفع ثوبه أعمى الله تعالى أبصارهم فلم يبصروا شيئاً فولّوا عنه وجوههم فأبصروا كما كانوا يبصرون فنظروا إلى جهته فعموا فما زالوا ينظرون إلى جهته ويعمون ويصرفون عنه وجوههم ويبصرون إلى أن فرغ علي عليه السلام وقام ورجع وذلك ثمانون مرة من كل واحدة ثم ذهبوا ينظرون ما خرج عنه فاعتقلوا في مواضعهم فلم يقدر أن يروها فإذا انصرفوا أمكنهم الانصراف أصابهم ذلك مرة حتى نودي فيهم بالرحيل فرحلوا وما وصلوا إلى ما أرادوا من ذلك^(١) .

وقال علي بن الحسين عليه السلام : كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه قاعداً

(١) بحار الأنوار، ج ٤٢ ، ص ٢٩ ، ح ٨ (باب ١١٦ من تاريخ أمير المؤمنين) نقلاً عن تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام .

في إطاعة الأشجار والنباتات وتكلمها مع النبي ﷺ والإمام علي عليه السلام ١٤٣

ذات يوم فأقبل إليه رجل من اليونانيين المدّعين للفلسفة والطب فقال : يا أبا الحسن بلغني خبر صاحبك وأن به جنوناً وجئت لأعالجه فلحقته قد مضى لسبيله وفاتني ما أردت من ذلك وقد قيل لي إنك ابن عمه وصهره وأرى بك صفاراً قد علاك وساقين دقيقتين ما أراهما تقلانك ، فأما الصفار فعندي دواؤه وأما الساقان الدقيقتان فلا حيلة لتغليظهما والوجه أن ترفق بنفسك في المشي تقلله ولا تكثره وفيما تحمله على ظهرك وتحضنه بصدرك أن تقللها ولا تكثرهما فإن ساقيك دقيقتان لا يؤمن عند حمل ثقل انقصاصهما ، وأما الصفار فدواؤك عندي وهو هذا وأخرج دواء وقال : هذا لا يؤذي ولا يخيسك ولكنه يلزموك حمية من اللحم أربعين صباحاً ثم يزيل صفارك .

فقال علي عليه السلام : قد ذكرت نفع هذا الدواء الصفاري فهل تعرف شيئاً يزيد فيه ويضره ؟

فقال الرجل : بلى ، حبة من هذا ، وأشار إلى دواء معه وقال : إن تناول الإنسان وبه صفار أماته من ساعته وإن كان لا صفار به صار به صفار حتى يموت في يومه .

فقال علي عليه السلام : فأرني هذا الضار . فأعطاه فقال كم قدر هذا ؟ فقال : قدر مثقالين سم نافع وقدر كل حبة منه يقتل رجلاً فتناوله علي عليه السلام فقمحه وعرق عرقاً خفيفاً وجعل الرجل يرتعد ويقول في نفسه : الآن أؤخذ بآبن أبي طالب ويقال قتلته ولا يقبل مني قولي إنه لهو الجاني على نفسه .

فتبسّم علي عليه السلام وقال : يا عبد الله أصح ما كنت بدأ الآن لم يضرني ما زعمت أنه سم ، فغمض عينيك . فغمض ، ثم قال : افتح عينيك ففتح ،

فنظر إلى وجه علي عليه السلام فإذا هو أبيض أحمر مشرب حمرة فارتعد الرجل مما رآه، وتبسم علي عليه السلام وقال: أين الصفار الذي زعمت أنه بي؟ فقال: والله لكأنك لست من رأيت قبل كنت مصفراً فأنت الآن مورد.

قال علي بن أبي طالب عليه السلام فزال عني الصفار بسمك الذي زعمت أنه قاتلي، وأما ساقاي هاتان ومدّ رجله وكشف عن ساقيه فلأنك زعمت أنني أحتاج أن أرفق ببديني في حمل ما أحمل عليه لئلا ينقصف الساقان وأنا أدلك أنّ طبّ الله عز وجل خلاف طبك، وضرب بيده إلى أسطوانة خشب غليظة على رأسها سطح مجلسه الذي هو فيه وفي فوقه حجرتان إحداهما فوق الآخر وحركها أو احتملها فارتفع السطح والحيطان وفوقهما الغرفتان فغشي على اليوناني، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: صَبّوا عليه ماء. فأفاق وهو يقول: والله ما رأيت كالיום عجباً. فقال له علي عليه السلام: هذه قوة الساقين الدقيقين واحتمالهما في طبك هذا يا يوناني.

فقال اليوناني: أمثلك كان محمداً صلى الله عليه وآله؟ فقال علي عليه السلام: فهل علمي إلا من علمه، وعقلي إلا من عقله، وقوتي إلا من قوته؟ لقد أتاه ثقيفي كان أظبّ العرب فقال له إن كان بك جنون داويتك؟ فقال له محمد صلى الله عليه وآله: أتحبّ أن أريك آية تعلم بها غناي عن طبك وحاجتك إلى طبيّتي؟ قال: نعم. قال: أي آية تريد؟ قال: تدعو ذلك العذق وأشار إلى نخلة سحق. فدعاها فانقلع أصلها من الأرض وهي تخذّ في الأرض خدّاً حتى وقفت بين يديه، فقال له: أكفاك؟ قال: لا. قال: فتريد ماذا قال: تأمرها أن ترجع إلى حيث جاءت وتستقر، في مقرّها الذي انقلعت منه، فأمرها فرجعت واستقرّت في مقرّها.

فقال اليوناني لأمير المؤمنين ﷺ: هذا الذي تذكره عن محمد ﷺ غائب عني وأنا أقصر منك على أقل من ذلك، أنا أتباعك فادعني وأنا لا أختار الإجابة، فإن جئت بي إليك فهي آية. فقال أمير المؤمنين ﷺ: هذا إنما يكون آية لك وحدك لأنك تعلم من نفسك أنك لم ترد وأناي أزلت اختيارك من غير أن باشرت مني شيئاً أو ممن أمرته بأن يباشر أو ممن قصد إلى ذلك وإن لم أمره إلا ما يكون من قدرة الله القاهر وأنت يوناني يمكنك أن تدعي ويمكن غيرك أن يقول إنني قد طاوعتك على ذلك، فاقترح إن كنت مقترحاً ما هو آية لجميع العالمين. قال له اليوناني: إذا جعلت الاقتراح إليّ فأنا أقترح أن تفصل أجزاء تلك النخلة وتفرقها وتباعدها ما بينها ثم تجمعها وتعيدها كما كانت فقال علي ﷺ: هذه آية وأنت رسولي إليها (يعني إلى النخلة) فقل لها: إن وصي محمد رسول الله ﷺ يأمر أجزاءك أن تفرق وتتباعده.

فذهب فقال لها فتفاصلت وتهافت وتبترت وتضاغرت أجزاءها حتى لم تر عين ولا أثر حتى كأن لم تكن هناك نخلة قط.

فارتعدت فرائص اليوناني وقال: يا وصي محمد ﷺ قد أعطيتني اقتراحي الأول فأعطني الآخر فأمر أن تجتمع وتعود كما كانت. فقال: أنت رسولي إليها بعد فقل لها: يا أجزاء النخلة إن وصي محمد رسول الله ﷺ يأمرك أن تجتمعي وكما كنت تعودين. فنادى اليوناني فقال ذلك فارتفعت في الهواء كهيئة الهباء المشور ثم جعلت تجتمع جزءاً جزءاً منها حتى تصوّر لها القضببان والأوراق والأصول والسعف والشماريخ والأعناق ثم تألفت وتجمعت واستطالت وعرضت واستقلّ أصلها في مقرّها وتمكن عليها ساقها وتركّب على الساق قضبانها وعلى القضبان

أوراقها وفي أمكنتها أعذاقها وقد كانت في الابتداء شماريخها متجردة لبعدها من أوان الرطب والبسر والخلال . فقال اليوناني وأخرى أحبها أن تخرج شماريخها خلالها وتقلبها من خضرة إلى صفرة وحمرة وترطيب وبلوغ أناه ليؤكل وتطعمني ومن حضر منها .

فقال ﷺ : أنت رسولي إليها بذلك فمرها به . فقال لها اليوناني ما أمره أمير المؤمنين ﷺ فأخلت وأبسرت واصفرت واحمرت وترطبت وثقلت أعذاقها برطبها .

فقال اليوناني : وأخرى أحبها يقرب من يدي أعذاقها أو تطول يدي لتناولها وأحب شيء إلي أن تنزل إلي إحداها وتطول يدي إلى الأخرى التي هي أختها . فقال أمير المؤمنين ﷺ مدّ اليد التي تريد أن تنالها وقل يا مقرب البعيد قرب يدي منها واقبض الأخرى التي تريد أن يترك إليك العذق منها وقل يا مسهل العسير سهل لي تناول ما يبعد عني منها . ففعل ذلك وقاله فطالت يمناه فوصلت إلى العذق وانحطت الأعذاق الآخر فسقطت على الأرض وقد طالت عراجينها .

ثم قال أمير المؤمنين ﷺ إنك إن أكلت منها ثم لم تؤمن بمن أظهر لك عجائبها عجل الله عزّ وجلّ من العقوبة التي يبتليك بها مايعتبر به عقلاء خلقه وجهّالهم . فقال اليوناني إني إن كفرت بعد ما رأيت فقد بالغت في العناد وتناهيت في التعرض للهلاك ، أشهد أنك من خاصّة الله صادق في جميع أقاويلك عن الله فأمرني بما تشاء أطعك^(١) .

(١) بحار الأنوار، ج ٤٢، ص ٤٥ ح ١٨؛ وفي الإحتجاج للطبرسي، ج ١، ص ٥٤٧ احتجاجه على من قال بزوال الأدواء؛ وتفسير الإمام العسكري ﷺ ج ١، ص ٢٣٥؛ وأورده الشيخ الحر العاملي في كتاب إثبات الهداة.

لا يخفى أنه لا ينبغي التشكيك في هذه الرواية فهي معتبرة ولا تنافي محكمات القرآن الكريم ولا أخبار أهل البيت ﷺ، وأما قول أمير المؤمنين ﷺ «فهل علمي إلا من علمه وعقلي إلا من عقله وقوتي إلا من قوته» فإن الله تعالى أفاض نعمه أولاً على محمد بن عبدالله ﷺ وهو واسطة الفيض بين الخالق والمخلوق ثم أعطى النبي ﷺ العلم والكمال إلى أمير المؤمنين وأئمة أهل البيت ﷺ وهذه إرادة الله عز وجل كما أراد أن تصل النعم الظاهرية عبر الأسباب الظاهرية فإن الله أبى أن تجري الأمور إلا بأسبابها^(١)، فلا يمنع أن يكون النبي ﷺ واسطة الفيض والنعم الإلهية، وقد مضى في البحوث السابقة أن المخلوقات والنعم الإلهية ملك حقيقي لله عز وجل، ولا تعارض قوله «لا حول ولا قوة إلا بالله».

ثم ان هذه الرواية تبين وبوضوح نفوذ أمر الإمام ﷺ في الخلق وسلب اختيار من يشاء الإمام ﷺ من الخلق، ولكن بما أن الله خلق الدنيا وجعلها دار اختبار وامتحان وأراد للناس أن يختاروا طريق الجنة والنار بأنفسهم، ومن جهة أخرى فإن الله فوض للنبي والإمام أمر خلقه وأعطى الإذن لهم بالتصرف في الخلق فلا يعملون في الخلق إلا حين يأذن لهم الله فهم ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ كما وصفهم القرآن، ﴿لَا يَسْقُونَهُ إِلَّا أَمْثَلُ مِنْ بَاقَرٍ يَمْلَأُ صَدْرَهُمْ كَالْإِبْرَةِ﴾ (٢٧) ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٨) ^(٢)، «فإذا شاء الله وأذن لهم يعملون ما يريدون» ^(٣).

(١) بحار الأنوار، ج ٢، ص ٩٠، ح ١٤ (باب ١٤).

(٢) سورة الأنبياء، الآية ٢٦.

(٣) سورة التكوين، الآية ٢٩.

وعن محمد بن الحسن الأشتر قال: كنت مع أبي على باب المتوكل ونحن جمع وقوف إذ جاء أبو الحسن عليه السلام (الإمام الهادي)؛ ترجل الناس كلهم حتى دخل فقال بعضهم لبعض: والله لا ترجلنا له. فما هو إلا أن أقبل وبصروا به حتى ترجل له الناس كلهم. فقال أبوهاشم الجعفري: أليس زعمتم أنكم لا ترجلون له؟ فقالوا له: والله ما ملكنا أنفسنا حتى ترجلنا^(١).

نظير هذه الرواية وردت في الإمام الرضا عليه السلام^(٢).

وعن الحارث الهمداني قال: خرجنا مع أمير المؤمنين عليه السلام حتى انتهينا إلى العاقول فإذا هو بأصل شجرة قد وقع لحاؤها وبقي عمودها فضربها بيده ثم قال: أرجعي بإذن الله خضراء مثمرة، فإذا هي تهتز بأغصانها الكثرى فقطعنا وأكلنا وحملنا معنا، فلما كان من الغد غدونا، فإذا نحن بها خضراء فيها الكثرى^(٣).

وروي عن أبي جعفر عن آبائه عليهم السلام أن الحسين بن علي عليه السلام قال: كنا قعوداً ذات يوم عند أمير المؤمنين عليه السلام وهناك شجرة رمان يابسة إذ دخل عليه نفر من مبغضيه وعنده قوم من محبيه فسلموا فأمرهم بالجلوس فقال

(١) أعلام الوري، ص ٣٦٠؛ إثبات الهداة، ج ٦، ص ٢٣٣، بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٣٧، ح ٢٠.

(٢) بحار الأنوار، ج ٤٩، ص ٦١، ح ٧٩ (باب ٣ من تاريخ الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام).

(٣) بحار الأنوار، ج ٤١، ص ٢٤٨ نقلاً عن الخرائج والجرائح، للراوندي، ج ١، ص ٢١٦، ح ٦٢، والبصائر، ج ١، ص ٤٩٦، ح ٣ (باب ١٣ من القدرة التي أعطي النبي صلى الله عليه وآله والأئمة من بعده أن الشجرة تطيعهم).

علي ﷺ: إني أريكم اليوم آية تكون فيكم كمثّل المائدة في بني إسرائيل إذ يقول الله: ﴿إِنِّي مُزِيلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِيثَاقِي أُعَذِّبْهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْفَالِغِينَ﴾^(١) ثم قال: انظروا إلى الشجرة وكانت يابسة فإذا هي قد جرى الماء في عودها ثم اخضرت وأورقت وعقدت وتدلّى حملها على رؤوسنا ثم التفت إلينا فقال للذين هم محبّوه: مدّوا أيديكم وتناولوا وكلوا فقلنا: بسم الله الرحمن الرحيم، وتناولنا وأكلنا رماناً لم نأكل قط شيئاً أعذب منه وأطيب. ثم قال للنفر الذين هم يبغضونه: مدّوا أيديكم وتناولوا. فمدّوا أيديهم فارتفعت فكلّمها مدّ رجل منهم يده إلى رمانة ارتفعت، فلم يتناولوا شيئاً. فقالوا: يا أمير المؤمنين ما بال إخواننا مدّوا أيديهم وتناولوا وأكلوا ومددنا أيدينا فلم ننل؟ فقال ﷺ: وكذلك الجنة لا ينالها إلا أولياؤها ومحّبّونها ولا يبعد منها إلا أعداؤها ومبغضونها. فلما خرجوا قالوا: هذا من سحر علي بن أبي طالب. قال سلمان: ماذا تقولون أفسحّر هذا أم أنتم لا تبصرون؟!^(٢)

وعن أبي عبد الله ﷺ قال: نزل أبو جعفر ﷺ بوادٍ فضرب خباه ثم خرج أبو جعفر بشيء حتى انتهى إلى النخلة فحمد الله عندها بمحامد لم أسمع بمثلها ثم قال: أيتها النخلة أطعمينا مما جعل الله فيك. قال: فتساقط رطب أحمر وأصفر فأكل ﷺ ومعه أبو أمية الأنصاري فأكل منه فقال: هذه الآية فينا كآلآية في مريم إذ هزّت إليها بجذع النخلة فتساقط

(١) سورة المائدة، الآية ١١٥.

(٢) بحار الأنوار، ج ٤١، ص ٢٤٩ نقلاً عن الخرائج والجرائح للراوندي، ج ١، ص ٢١٩.

عليها رطباً جنيّاً^(١).

لا يخفى أن التشبيه بقصة مريم ابنة عمران هنا لرفع الشك عن بعض ضعاف الشيعة ليعرفوا فضل أئمتهم وكرامتهم عند الله عز وجلّ.

وعن سليمان بن خالد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أبو عبد الله البلخي معه فأنهى إلى نخلة خاوية فقال: أيتها النخلة السامعة المطيعة لربها أطعمينا مما جعل الله فيك. قال: فتساقط علينا رطب مختلف ألوانه فأكلنا حتى تضرعنا فقال البلخي: جعلت فداك سنة فيكم كسنة مريم^{(٢)(٣)}.

وقال ابن شهر آشوب عن داود النيلي: خرجت مع أبي عبد الله عليه السلام إلى الحج فلما كان أوان الظهر قال لي: يا داود، إعدل عن الطريق حتى نأخذ أهبة الصلاة. فقلت: جعلت فداك أو ليس نحن في أرض قفر لا ماء فيها؟

(١) بحار الأنوار، ج ٤٦، ص ٢٣٦، ح ١٠، (باب ٥: معجزاته ومعاني أموره)؛ بصائر الدرجات، ج ١، ص ٤٩٤، ح ٢ [٩٠٩] (باب ١٣) (باب ١٣ من القدرة التي أعطي النبي ﷺ)؛ المناقب، ج ٤، ص ١٨٨.

(٢) وفيها دلالة على قصة ولادة النبي عيسى ابن مريم؛ فحين ولد كلمة الله كان في ذلك الموضع شجرة يابسه فأوحى الله إلى مريم العذراء ان ﴿وَهَـزَى إِلَيْكَ يَدَهُ فَتَنَظَّرْ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ۖ﴾ ﴿١٥﴾ فكلّى وأشربى وقرى عيسى... سورة مريم؛ الآية ٢٥، ونظير هذه القصة مروية عن جابر.

(٣) بحار الأنوار، ج ٤٧، ص ٧٦، ح ٤٥ (باب ٥: معجزاته واستجابة دعواته)؛ المناقب، ج ٤، ص ٢٤٠ فصل في خرق العادات؛ وفي الخرائج، ج ٢، ص ٧١٨، طبع مؤسسة الإمام المهدي، قم، نظير هذه الكرامة نقلت عن علي بن أبي حمزة وداود بن كثير الرقي عن الصادق عليه السلام في المجلد الثاني من الخرائج.

فقال لي: ما أنت وذاك؟ قال: فسكتُ وعدلنا عن الطريق فنزلنا في أرضٍ قفر لا ماء فيها فَرَكَضْها برجله فنبع لنا عَيْنُ ماءٍ يَسِيبُ كأنه قِطْعُ الشَّلج فتوضَّأ وتوضَّيت وأدينا ما علينا من الفرض، فلمَّا هممنا بالمسير التفت فإذا بجذعٍ نخري فقال لي: يا داود، أتحبُّ أن أطعمك منه رُطْباً؟ فقلت: نعم. قال: فضرب بيده إلى الجذع فهزَّه فاخضرَّ من أسفله إلى أعلاه. قال: ثم اجتذبه الثانية فأطعمنا إثنين وثلاثين نوعاً من أنواع الرُّطب ثم مسح بيده عليه فقال: عُدْ نَحْلاً بإذن الله تعالى، فعاد كسيرته الأول؟^(١).

وروي أن رجلاً سأل الإمام أبا الحسن موسى بن جعفر ﷺ عن معرفة الإمام، فأخبره بأمر المؤمنين ﷺ وما كان بعد رسول الله ﷺ وأخبره بأمر الرجلين فقبل منه ثم قال له: فمن كان بعد أمير المؤمنين ﷺ؟ قال الحسن ﷺ ثم الحسين ﷺ حتى انتهى إلى نفسه ثم سكت.

قال: فقال له: جعلت فداك فمن هو اليوم؟ قال: إن أخبرتك تقبل؟ قال: بلى جُعلت فداك؟ قال: أنا هو. قال: فشيء أستدلُّ به؟ قال: اذهب إلى تلك الشجرة - وأشار بيده إلى أم غيلان - فقل لها: يقول لك موسى بن جعفر: أقبلي. قال: فأتيته فأريتها والله تحبُّ الأرض خدّاً حتى وقفت بين يديه، ثم أشار إليها فرجعت. قال فأقرَّ به^(٢).

(١) بحار الأنوار، ج ٤٧، ص ١٣٩، ح ١٨٨، نقلاً عن المناقب، ج ٤، ص ٢٤١ فصل في خرق العادات.

(٢) الكافي، ج ١، ص ٣٥٢، (باب ما يفصل به بين دعوى المحق والمبطل) تفصيل هذه الرواية ذكرها الصفا في البصائر، ج ١، ص ٤٩٨، الراوندي في الخرائج، ج ٢، ص ٦٤٩، المفيد في الإرشاد، ج ٢، ص ٢٢٣، والطبرسي في إعلام الوري، ص ٣٠١ عن الكليني.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال كان رسول الله ﷺ يَمُصُّ التَّوَى بفيه وَيَغْرُسُهُ فَيَظْلَعُ من ساعته ^(١).

وفي رواية كيفية إسلام سلمان أن مولاته أبت أن تبيعه إلا بأربعمائة نخلة مائتي نخلة منها صفراء ومائتي نخلة منها حمراء، فقال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: إجمع هذا التوى كله فأخذه وَغَرَسَهُ قال ﷺ إسيقه فسقاه أمير المؤمنين عليه السلام فما بلغ آخره حتى خرج النخل ولحق بعضه بعضاً فخرجت (المرأة التي كان سلمان عندها) ونظرت إلى النخل فقالت والله لا أبيعكهُ إلا بأربعمائة نخلة كُلُّها صفراء فصار كله أصفر فقبلت بذلك وباعت سلمان للنبي ﷺ فأعتقه النبي ﷺ وسماه سلمان ^(٢).

(١) بحار الأنوار، ج ١٧، ص ٣٨٨، ح ٥٦ عن الكافي، ج ٥، ص ٧٤ (باب ٢: ما يجب من الاقتداء بالأئمة عليهم السلام).

(٢) بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ٣٥٩، ح ٢؛ وج ٤٧، ص ١٠٢، ح ١٢٥؛ وذكر المصنف في مستدرك سفينة البحار، ج ٥، ص ١٥ في لغة «سلم»؛ أن الله أنطق صم الصخور والشجر بالسلام والتحية للنبي ﷺ. وذكر العلامة المجلسي في الجزء ١٧، ص ٣٦٣ - ٣٩٠ باب معجزات النبي ﷺ في إطاعة الأرضيات من الجمادات والنباتات له وتكلمها معه ٥٩ رواية، وذكر العلامة المجلسي، ج ٢٧، ص ٢٨٠ (باب ١٧ في باب إقرار الجمادات والنباتات، بولاية الأئمة عليهم السلام) ثمان روايات بهذا الخصوص. وفي البصائر (جزء ٥، باب ٣)، ج ١، ص ٤٩٤، ح ١ [٩٠٨] وردت روايات بهذا الخصوص.

الفصل العاشر

في إطاعة الأرض والجمادات والجبال والأحجار

للنبي ﷺ والأئمة ﷺ

وهي كثيرة، وسنشير في ما يلي إلى بعض الروايات الواردة في الباب :

عن الحسين بن علي ﷺ أن يهودياً من يهود الشام وأحبارهم كان قد قرأ التوراة والإنجيل والزبور وصحف الأنبياء ﷺ وعرف دلائلهم جاء إلى مجلس فيه أصحاب رسول الله ﷺ وفيهم علي بن أبي طالب ﷺ وابن عباس وأبو معبد الجهني فقال : يا أمة محمد ما تركتم لنبيّ درجة ولا لمرسل فضيلة إلاّ نحلتموها نبيّكم، فهل تجيبوني عما أسألكم عنه؟ فكاع القوم عنه، فقال علي بن أبي طالب ﷺ : نعم، ما أعطى الله عزّ وجلّ نبياً درجة ولا مرسلأ فضيلة إلا وقد جمعها لمحمد ﷺ وزاد محمداً ﷺ على الأنبياء أضعافاً مضاعفة. فقال له اليهودي : فهل أنت مجيبي؟ قال له : نعم سأذكر لك اليوم من فضائل رسول الله ما يقرّ الله به أعين المؤمنين ويكون فيه إزالة لشكّ الشاكّين . ومن جملة ما قال : أوحى الله تبارك

وتعالى إلى جابيل ملك الجبال أن شقّ الجبال وانته إلى أمر محمد ﷺ ،
فأثاه فقال له : إني قد أمرت لك بالطاعة فإن أمرت أن أطبق عليهم الجبال
فأهلكتهم بها؟ قال عليه الصلاة والسلام : إنما بُعثت رحمةً ، ربّ اهد
أمّتي فإنهم لا يعلمون ، إلى أن قال : ولئن سارت الجبال مع داوود عليه السلام
وسبّحت معه لقد عمل محمد ﷺ ما هو أفضل من هذا ، إذ كنا معه على
جبل حراء إذ تحرك الجبل فقال له : قرّ فليس عليك إلا نبيّ وصديق
شهيد . فقرّ الجبلُ مجيباً لأمره ومنتهياً إلى طاعته^(١) .

وروي أن جماعة من اليهود حضروا عند رسول الله ﷺ فقالوا : يا
محمد هذه الجبال بحضرتنا فهلّم بنا إلى بعضها فاستشهده على تصديقك
وتكذيبنا ، فإن نطق بتصديقك فأنت المحقّ يلزمنا اتباعك ، وإن نطق
بتكذيبك أو صمت فلم يرذّ جوابك فاعلم أنك المبطل في دعواك ،
المعاند لهواك . فقال رسول الله ﷺ : نعم هلّموا بنا إلى أيها شنتم
فاستشهده ليشهد لي عليكم ، فخرجوا إلى أوعر جبل رأوه فقالوا : يا
محمد ، هذا الجبل فاستشهده . فأمر الرسول ﷺ الجبل أن يشهد له
فتحرّك الجبل وتزلزل وفاض عنه الماء ونادى : يا محمد أشهد أنك رسول
رب العالمين وسيد الخلائق أجمعين وأشهد أنك لو اقترحت على ربك
أن يجعل رجال الدنيا قردهً وخنازير ، لفعل ، أو يجعلهم ملائكة ، لفعل ،
وأن يقلب النيران جليداً والجليد نيراناً ، لفعل ، أو يهبط السماء إلى

(١) بحار الأنوار، ج ١٠، ص ٣٠ - ٤٠؛ وج ١٧، ص ٢٧٥؛ الاحتجاج للطبرسي، ج ١،

ص ٤٩٧، ح ١٢٧ عن موسى بن جعفر عن آبائه عليه السلام عن الحسين بن علي عليه السلام . وقد

روي عن أمير المؤمنين مثلهما في رسول الله بتفصيل أكثر .

في إطاعة الأرض والجماادات والجبال والأحجار للنبي ﷺ والأئمة  ١٥٥

الأرض أو يرفع الأرض إلى السماء، لفعل، أو يصير أطراف المشارق والمغارب والوهاد كلها صرة كصرة الكيس، لفعل، وإنه قد جعل الأرض والسماء طوعك والجبال والبحار تنصرف بأمرك وسائر ما خلق الله من الرياح والصواعق وجوارح الإنسان وأعضاء الحيوان لك مطيعة وما أمرتها به من شيء ائتمرت^{(١)(٢)}.

وروي أن عبد الرحمن بن الحجاج قال: كنت مع أبي عبد الله  بين مكة والمدينة وهو على بغلة وأنا على حمار وليس معنا أحد فقلت: يا سيدي ما علامة الإمام؟ قال: يا عبد الرحمن لو قال لهذا الجبل سر لسار، فنظرت والله إلى الجبل يسير^(٣).

وقد ذكر المصنف في لغة «حجر» من مستدرك سفينة البحار^(٤) موارد إطاعة الأحجار لهم صلوات الله عليهم كخبر الحجر الذي أخذه رسول الله ﷺ يوم حنين فسبح وقدس فقال له النبي ﷺ: انفلق، فانفلق ثلاث فلق، يسمع لكل فلق تسبيح غير الأخرى.

وخبر الأحجار التي كانت تسلم على النبي ﷺ وتكلمه وذكر الحجر

(١) ذكرت هذه الرواية في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ سورة البقرة الآية ٧٤ وهي مفصلة اقتطعنا منها موضع الحاجة.

(٢) بحار الأنوار، ج ١٧، ص ٣٣٥ (باب ٢ جوامع معجزاته ).

(٣) بحار الأنوار، ج ٤٧، ص ١٠١، ح ١٢٣ نقلاً عن الخرائج، ج ٢، ص ٦٢١، وذكر المصنف في مستدرك سفينة البحار، ج ٢، ص ٢٨ في لغة «جبل» إطاعة الجبال لهم وفي لغة «حجر»، ج ٢، ص ٢٢٣ و ٣١٦ موارد إطاعة وتكلم الأحجار للمعصومين .

(٤) مستدرك سفينة البحار، ج ٢، ص ٢٢٣ و ٣١٦.

الذي ضرب أمير المؤمنين عليه السلام قضيب رسول الله ﷺ عليه، فخرج منه مائة ناقة سود الألوان واحدة بعد واحدة، مع كل واحدة فصيل^(١). وهذه المعجزة كمعجزة النبي صالح عليه السلام الذي أخرج الله له الناقة وفصيلها من بطن الجبل. وفي لغة «حصى»^(٢) و«صخر»^(٣) ذكر المصنف موارد تسبيح الحصيات وتكلمهن في أيديهم صلوات الله عليهم، منها تكلم الحصاة في يد أمير المؤمنين عليه السلام وقولها: لا إله إلا الله؛ محمد رسول الله؛ رضيت بالله رباً وبمحمد نبياً وبعلي بن أبي طالب ولياً^(٤). كذلك انقلاب الحصى جواهر في يده عليه السلام^(٥) وخبر الحصاة التي أعطاها ولي العصر عليه السلام للأودي، فانقلبت في يده إلى سبيكة من ذهب.

وفي لغة «فهر» في مستدرك سفينة البحار^(٦) ذكر المصنف خبر الحجر الذي أداره الإمام في كفه فإذا صار سفرجلة رطبة ثم أدار الإمام القطعة من السفرجل في كفه فإذا بها تفاحة ثم أدار الإمام القطعة من التفاحة فإذا هي عادت حجراً.

روى السيد هاشم البحراني (صاحب تفسير البرهان) في مدينة المعاجز عن الطبرسي ان سليمان بن عيسى قال: لقيت علي بن

(١) بحار الأنوار، ج ١٧، ص ٢٥٢، ح ٤ (باب ٢ من تاريخ نبينا ﷺ).

(٢) مستدرك سفينة البحار، ج ٢، ص ٣١٥.

(٣) مستدرك سفينة البحار، ج ٦، ص ٢٠٩.

(٤) بحار الأنوار، ج ١٧، ص ٣٧٣، ح ٢٧.

(٥) بحار الأنوار، ج ٤١، ص ٢٥٥، ح ١٥.

(٦) مستدرك سفينة البحار، ج ٨، ص ٣٣٩.

(٧) مدينة المعاجز، الجزء ٢، ص ٢٤٤، ح ٤٠ [١٢٩٢]، إثبات الهداة، ج ٥، ص ٢٥٥، =

في إطاعة الأرض والجمادات والجبال والأحجار للنبي ﷺ والأئمة ١٥٧

الحسين ﷺ فقلت له: يا بن رسول الله إني معدم، فأعطاني درهماً ورغيفاً فأكلت أنا وعبالي من الرغيف والدرهم أربعين سنة^(١).

روي عن أبي الصامت الحلواني قال: قلت للصادق ﷺ: أعطني الشيء ينفي الشك عن قلبي. قال ﷺ: هات المفتاح الذي في كمك. فناولته فإذا المفتاح أسد. فخفت، قال: خذ لا تخف. فأخذته فعاد مفتاحاً كما كان^(٢).

عن محمد بن أبي العلاء قال: سألت يحيى بن أكثم عن علوم آل محمد ﷺ فقال: بينا أنا ذات يوم دخلت أطوف بقبر رسول الله ﷺ فرأيت محمد بن علي الرضا ﷺ يطوف به فناظرته في مسائل عندي فأخرجها إلي، فقلت له: والله إني أريد أن أسألك مسألة وإني والله لأستحيي من ذلك. فقال لي: أنا أخبرك قبل أن تسألني، تسألني عن الإمام؟ فقلت: هو والله هذا. فقال: أنا هو. فقلت علامة. فكان في يده عصاً فنطقت وقالت إنه مولاي إمامٌ هذا الزمان وهو الحجة^(٣).

روي عن داوود الرقي أنه قال: كنا مع أبي عبد الله ﷺ حتى انتهينا إلى جبٍّ بعيد القعر، وليس فيه ماء، فدنا إليه ﷺ وقال: أيها الجُب السامع المطيع لربه إسقنا مما جعل الله فيك. قال: فو الله لقد رأينا الماء يغلي غلياناً حتى ارتفع على وجه الأرض وشرب وشربنا فقال المفضل

= ح ٥٩: (فصل ٢٣: في معجزات زين العابدين علي بن الحسين ﷺ).

(١) بحار الأنوار، ج ٤٧، ص ١١٧، ح ١٥٤ نقلاً عن الخرائج، ج ١، ص ٣٠٦.

(٢) بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٦٨، ح ٥٠ (باب ٣ معجزاته صلوات الله عليه) نقلاً عن

الكافي، ج ١، ص ٣٥٣، ومناقب ابن شهر آشوب.

وداود الرقي: جعلنا الله فداك وما هذا، وإنما هذا أشبه فيكم كشبه موسى بن عمران، ثم مضينا حتى انتهينا إلى نخلة يابسة لا سعف لها، فدنا ﷺ إلى النخلة وقال: أيتها النخلة الباسقة لربها المطيعة أطعمينا مما جعل الله فيك، قال المفضل فنثرت علينا رطباً كثيراً، فأكل وأكلنا معه.

قال المفضل وداود الرقي: جعلنا الله فداك ما هذا إنما يشبه فيكم كشبه مريم^(١).

وفي رواية ان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ كان جالساً في الرحبة فتزلزلت الأرض فضربها علي ﷺ بيده ثم قال لها: قرّي إنه ما هو قيام ولو كان ذلك لأخبرتني وإني أنا الذي تحدّثه الأرض أخبارها. ثم قرأ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۖ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۖ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ۚ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۚ﴾ ﴿١﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٢﴾ أما ترون أنها تحدث عن ربّها؟ وقال ﷺ: أنا الإنسان الذي يكلم الأرض إذا زلزلت وإياي تحدث أخبارها^(٣).

وعن أصبغ قال: كنا مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ فوصلنا إلى موضع ضرب برجله الأرض فتزلزلت.

(١) مدينة المعاجز، ج ٢، ص ٤٦٣، ح ١٣٣ [١٧٠٣]، وح ٢٧٣ [١٨٤٣].

(٢) سورة الزلزلة، الآيات ٥-١.

(٣) هذه الروايات في بحار الأنوار، ج ٧، ص ١١١، ح ٤٤، و ج ٤١، ص ٢٥٣، ح ١٣، و ص ٢٧١، ح ٢٥، و ص ٢٧٢، ح ٢٧، و ج ٤٢، ص ١٧، ح ٢؛ وفي تفسير البرهان، ج ١٠، ص ٣٧٢؛ و تفسير نورالثقلين، ج ٨، ص ٢٨٦ (في تفسير سورة الزلزلة)؛ ومستدرك سفينة البحار، ج ١، ص ٢٣٢ في لغة «انس»؛ وفي إثبات الهداة، ج ٥، ص ١٢، و ج ٣١٣ (فصل ٣٥).

وعن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: دخلت عليه فشكوت إليه الحاجة. قال: فقال: يا جابر ما عندنا درهم. فلم ألث أن دخل عليه الكميث فقال له: جعلت فداك إن رأيت أن تأذن لي حتى أنشدك قصيدة. قال: فقال: أنشد. فأنشده قصيدة. فقال: يا غلام أخرج من ذلك البيت بدرة فادفعها إلى الكميث. قال فقال له: جعلت فداك إن رأيت أن تأذن لي أنشدك قصيدة أخرى؟ قال: أنشد. فأنشده أخرى، فقال: يا غلام أخرج من ذلك البيت بدرة فادفعها إلى الكميث، قال: فأخرج بدرة فادفعها إليه. قال: فقال له: جعلت فداك إن رأيت أن تأذن لي أنشدك قصيدة أخرى؟ قال له: أنشد. فأنشده، فقال: يا غلام أخرج من ذلك البيت بدرة فادفعها إليه. قال: فأخرج بدرة فادفعها إليه. فقال الكميث: جعلت فداك والله ما أحبكم لغرض الدنيا، وما أردت بذلك إلا صلة رسول الله ﷺ وما أوجب الله عليّ من الحق. قال: فدعا له أبو جعفر عليه السلام ثم قال: يا غلام ردها مكانها. قال: فوجدت في نفسي وقلت: قال: ليس عندي درهم وأمر للكميث بثلاثين ألف درهم. قال: فقام الكميث وخرج. قلت له: جعلت فداك قلت ليس عندي درهم وأمرت للكميث بثلاثين ألف درهم؟ فقال لي: يا جابر قم وادخل البيت. قال: فقمت ودخلت البيت فلم أجد منه شيئاً. قال: فخرجت إليه فقال لي: يا جابر ما سترنا عنكم أكثر مما أظهرنا لكم. فقام وأخذ بيدي وأدخلني البيت ثم قال وضرب برجله الأرض فإذا شبيه بعنق البعير قد خرجت من فم ثم قال لي يا جابر انظر

(١) بحار الأنوار، ج ٤٦، ص ٢٣٩ (باب ٥: معجزاته ومعاني أموره)؛ الاختصاص للمفيد، ص ٢٧١؛ بصائر الدرجات، ج ٢، ص ٢٢٤، ح ٥ (باب ٢ في الأئمة أنهم أعطوا خزائن...)؛ انتهى الآمال للمحدث القمي، ج ٢، ص ١٥٣.

إلى هذا ولا تخبر به أحداً إلا من تثق به من إخوانك إن الله أقدرنا على ما نريد ولو شئنا أن نسوق الأرض بأزمّتها لسقناها^(١).

وفي مواقف عديدة كان رسول الله ﷺ يأخذ الخشبة اليابسة على الأرض فإذا هي سيف فيعطئها بعض المؤمنين يقاتل به.

فقد روي أن عكاشة انقطع سيفه يوم بدر فناول رسول الله ﷺ خشبة وقال: قاتل بها الكفار فصارت سيفاً قاطعاً يقاتل به حتى قتل به طليحة في الردة^(٢).

وفي قصة أخرى أعطى خشبة إلى أحدهم فتحولت إلى مصباح مضيء^(٣).

وفي رواية أم سليم أنها أتت إلى رسول الله فقالت له: يا رسول الله ما من نبي إلا وكان له خليفتان خليفة يموت قبله وخليفة يبقى بعده.

فما وجدت لك إلا وصياً واحداً في حياتك وبعد وفاتك، فبين لي بنفسك أنت يا رسول الله من وصيُّك؟

فقال: اثنيي بحصاة فرفعت إليه حصاة من الأرض فوضعها بين كفيه ثم فركها بيده كسحق الدقيق ثم عجنها فجعلها ياقوتة حمراء ختمها بخاتمه فبدأ النقش فيها للناظرين ثم أعطانيها وقال: يا أم سليم من استطاع مثل هذا فهو وصي.

(١) بحار الأنوار، ج ١٧، ص ٣٨٢، ح ٥٠.

(٢) أبواب الرحمة، ص ٣٤.

(٣) بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ١٨٦، ح ٦ (باب ٥ آخر في دلالة الإمامة وما يفرق به بين دعوى المحق والمبطل).

في إطاعة الأرض والجمادات والجبال والأحجار للنبي ﷺ والأنمة ﷺ ١٦١

فأتيت علياً ﷺ ثم الحسن ﷺ ثم الحسين ﷺ ثم علي بن الحسين ﷺ فصنعوا صنيع رسول الله ﷺ^(١).

وعن عذّة اجتمعوا عند الصادق ﷺ فسأله أحدهم آية من السماء وسأله آخر آية من الأرض، فأجابهما الإمام إلى ذلك. فصدر أمر الإمام إلى السماء والأرض حتى رأوا ذلك وبعين من أهل المدينة ثم قال ﷺ: لو شئت لقلبتها على من عليها^(٢).

(١) رواه أبو جعفر محمد بن جرير الطبري وذكره البحراني في مدينة المعاجز، ج ٢، ص ٤٠٣.

الفصل الحادي عشر

في إطاعة السحاب والريح للنبي ﷺ والإمام ﷺ

جاء يهودي إلى أمير المؤمنين ﷺ وكان في مجلس فيه أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: يا أمة محمد، ما تركتم لنبي درجة ولا لمرسل فضيلة إلا نحلتموها نبيكم. فقال علي بن أبي طالب ﷺ: نعم، ما أعطى الله عز وجل نبياً درجة ولا مرسلأً فضيلة إلا وقد جمعها لمحمد وزاد محمداً ﷺ على الأنبياء أضعافاً مضاعفة.

ومن جملة ما سأله اليهودي أنه قال: فإن موسى ﷺ قد ظُلِّلَ عليه الغمام. قال له علي ﷺ: لقد كان كذلك وقد فعل ذلك لموسى ﷺ في التيه وأعطى محمد ﷺ أفضل من هذا، إنَّ الغمامة كانت تظلله من يوم ولد إلى يوم قبض في حضره وأسفاره^(١).

(١) بحار الأنوار، ج ١٠، ص ٣٩ (باب ٢ آخر في احتجاجه صلوات الله عليه على بعض اليهود بذكر معجزات النبي ﷺ)؛ موارد هذه الروايات كثيرة، ففي بحار الأنوار، ج ١٥، ص ١٩٤، ح ١٤، ص ٢٠١، ح ١٧، ص ٢١٥، ح ٢٨، ص ٣٤٩، ح ١٢، ج ١٦، ص ٣، ح ٨، ص ٣٠، ح ١٩، ص ١٧٦، ح ١٩، ح ١٧، ص ٢٣١، ح ١، و ٣٥٥، ح ٩ وغيره؛ وذكر المصنف مواضع هذه الروايات في مستدرک سفينة البحار=

وفي روايات عديدة أن الله تعالى أعطى للإمام قدرة يمكنه السير من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق في مدة قصيرة، وقد سخر الله له السحاب فينطلق بها حين يشاء من الأرض.

وقصة جلوس أمير المؤمنين علي عليه السلام وأبي بكر وعمر وجماعة آخرين من الصحابة منهم سلمان على البساط، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله قد أمر بإحضاره من بيت أم سلمة؛ يقول سلمان: فجلسنا عليه فحرك علي عليه السلام شفتيه فاختلج البساط فمرّ حتى انقضّ بنا في ذروة جبل شاهق وصرنا إلى باب كهف فسلم كلّ واحد منا عليهم فلم يجيبونا إلاّ علي بن أبي طالب عليه السلام. ثم قام علي بن أبي طالب عليه السلام فصاح بهم بصوت خفي فانفتح باب الكهف ونظرنا إلى داخله يتوقّد نوراً ويتألّق إشراقاً، وسمعنا ضجّة ووجبة^(١) شديدة فملّنا رُعباً وولّى القوم هاربين، فناداهم: مهلاً يا قوم وارجعوا. فرجعوا وقالوا: ما هذا يا سلمان؟ قلت: هذا الكهف الذي وصفه الله عزّ وجلّ في كتابه، والذين نراهم هم الفتية الذين ذكرهم عزّ وجلّ هم الفتية المؤمنون وعلي عليه السلام واقف يكلمهم فعادوا إلى موضعهم.

قال سلمان: وأعاد علي عليه السلام فقالوا كلّهم: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وعلى محمد رسول الله صلى الله عليه وآله خاتم النبوة منّا السلام، أبلغه منّا السلام...

وفي حديث آخر أن أمير المؤمنين سألهم: لِمَ رددتم عليّ السلام ولم تردّوا عليهما (أبو بكر وعمر)؟ قالوا: إنّنا لا نكلّم إلاّ نبياً أو وصيّ نبيّ.

= في لغة «سحب»، ج ٤، ص ٤٩٦، ولغة «غمم»، ج ٨، ص ٢٠.

(١) وجبة، أي: وقعة مثل شيء يقع على الأرض. كتاب العين، ج ٦، ص ١٩٣.

يقول سلمان: ثم جلس كل واحد مكانه من البساط وجلس علي في وسطه، ثم حرّك شفتيه فاختلج البساط فلم ندر كيف مرّ بنا في البرّ أم في البحر حتى انقض بنا على باب مسجد رسول الله ﷺ^(١).

وقصة علي بن صالح الطالقاني مشهورة حيث كسرت مركبه في لجج البحر فبقي ثلاثة أيام على لوح تضربه الأمواج فألقته الأمواج إلى البر في جزيرة كثيرة الأشجار والأنهار فأخذ يسير فيها وإذا به ينظر إلى كهف في جبل. فلما قرب الكهف، سمع تسييحاً وتهليلاً وتكبيراً وتلاوة قرآن، فدنا من الكهف فناده مناد من أهل الكهف: أدخل يا علي بن صالح الطالقاني رحمك الله. يقول: فدخلت وسلّمت فإذا رجل فخم ضخم، غليظ الكراديس، عظيم الجثة، أنزع أعين، فردّ عليّ السلام وقال: يا علي بن صالح الطالقاني، أنت من معدن الكنوز، لقد أقمت ممتحناً بالجوع والعطش والخوف، لولا أنّ الله رحمك في هذا اليوم فأنجاك وسقاك شراباً طيباً، ولقد علمت الساعة التي ركبت فيها، وكم أقمت في البحر، وحين كسر بك المركب، وكم لبثت تضربك الأمواج، وما هممت به من طرح نفسك في البحر لتموت اختياراً للموت لعظيم ما نزل بك، والساعة

(١) بحار الأنوار، ج ٣٩، ص ١٣٦، ح ٣، وج ٢٧، ص ٣٢ وقد رواه العامة والخاصة وذكره المصنف في مستدرك سفينة البحار، ج ١، ص ٣٥٥ لغة «بسط» وفي كتاب بصائر الدرجات، ج ٢، ص ٢٦٢ (جزء ٨ باب ١٢: ما أعطي الأئمة من القدرة أن يسيروا في الأرض) ذكر ١٥ رواية وفي الجزء ٨ باب ١٣ ص ٢٧١ ذكر ١١ رواية في أنهم صلوات الله عليهم سيّرون في الأرض من شاءوا من أصحابهم بالقدرة التي أعطاهم الله. وفي الباب ١٤، ص ٢٨٤ شرح لقدرة الأئمة ﷺ وما أعطوا من ذلك، وفي الباب ١٥ ص ٢٨٦ في ركوب أمير المؤمنين ﷺ السحاب وترقيه في الأسباب والأفلاك.

التي نجوت فيها ، ورؤيتك لما رأيت من الصورتين الحسنتين ، واتباعك للطائر الذي رأيته واقعاً ، فلما رآك صعد طائراً إلى السماء ، فهلم فاقعد رحمك الله .

فلما سمعت كلامه قلت : سألتك بالله من أعلمك بحالي؟ فقال : عالم الغيب والشهادة ، والذي يراك حين تقوم وتقبلُك في الساجدين ، ثم قال : أنت جائع . فتكلّم بكلام تململت به شفتاه ، فإذا بمائدة عليها منديل ، فكشفه ، وقال : هلم إلى ما رزقك الله فكل ، فأكلت طعاماً ما رأيت أطيب منه ، ثم سقاني ماء ما رأيت ألذ منه ولا أعذب ، ثم صلّى ركعتين ، ثم قال : يا علي ، أتحب الرجوع إلى بلدك؟ فقلت : ومن لي بذلك؟ فقال : وكرامة لأوليائنا أن نفعل بهم ذلك . ثم دعا بدعوات ورفع يده إلى السماء وقال : الساعة الساعة ، فإذا سحب قد أظلت باب الكهف قطعاً قطعاً ، وكلّما وافت سحابة قالت : سلام عليك يا وليّ الله وحجّته ، فيقول : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، أيّتها السحابة السامعة المطيعة ، ثم يقول لها : أين تريدان؟ فتقول : أرض كذا . فقال : الرحمة أم سخط؟

فتقول : لرحمة ، أم سخط ، وتمضي ، حتى جاءت سحابة حسنة مضيئة ، فقالت : السلام عليك يا وليّ الله وحجّته . قال : وعليك السلام ، أيّتها السحابة السامعة المطيعة ، أين تريدان؟ فقالت : أرض طالقان . فقال : لرحمة أم سخط . فقالت : لرحمة . فقال لها : احملني ما حملت مودعاً في الله . فقالت : سمعاً وطاعة . قال لها : فاستقرّي بإذن الله على وجه الأرض ، فاستقرت ، فأخذ بعضدي فأجلسني عليها . فعند ذلك قلت له : سألتك بالله العظيم ، وبحقّ محمد خاتم النبيين ﷺ ، وعليّ سيّد

الوصيين ﷺ، والأئمة الطاهرين ﷺ من أنت؟ فقد أعطيت والله أمراً عظيماً. فقال: ويحك يا علي بن صالح، إن الله لا يخلي أرضه من حجة طرفة عين، إما باطن وإما ظاهر، أنا حجة الله الظاهرة، وحجته الباطنة، أنا حجة الله يوم الوقت المعلوم، وأنا المؤذي الناطق عن الرسول، أنا في وقتي هذا موسى بن جعفر، فذكر إمامته وإمامة آبائه، وأمر السحاب بالطيران فطارت، فوالله ما وجدت ألماً ولا فزعت، فما كان بأسرع من طرفة العين حتى ألقنتني بالطالقان في شارعي الذي فيه أهلي وعقاري سالماً في عافية، فقتله الرشيد، ولا يسمع بهذا أحد^(١).

وفي قصة مشابهة ذكر الشيخ الصدوق في كتابه كمال الدين^(٢) عن رجل من بني أسد من أهل همدان في حديث طويل أنه لما صدر من الحج وسار منازل في البادية نام في أواخر القافلة فانتبه ولم ير أحداً ولا أثراً، فمشى غير طويل فرأى قصرأ فأتاه فأدخله الخادم القصر فرأى رجلاً كأنه البدر ليلة تمامه وكمالها قال: فقال لي: أتدري من أنا؟ قلت: لا والله. فقال: أنا القائم من آل محمد، عجل الله فرجه، أنا الذي أخرج في آخر الزمان فأملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، فسقطت على وجهي. فقال: لا تفعل؛ ارفع رأسك أنت فلان من مدينة بالجبل يقال لها همدان قلت: صدقت يا سيدي، قال: فتحب أن تؤوب إلى أهلك؟ قلت: نعم.

(١) مناقب ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ٣٠١ (باب إمامة موسى الكاظم ﷺ)؛ بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ٣٩، ح ١٦ (باب ٤ من تاريخ الإمام موسى بن جعفر ﷺ).

(٢) كمال الدين، ج ٢، ص ٤٥٣، ح ٢٠ (باب ٤٣ ذكر من شاهد القائم عجل الله تعالى فرجه).

فأوما إلى الخادم فأخذ بيدي وناولني صرة ومشى معي خطوات فنظرت على ظلال وأشجار ومنازة مسجد، وقال: أتعرف هذا البلد؟ قلت: إنَّ بقرب بلدنا بلدة تعرف بأسد آباد وهي تشبهها. قال: فقال: هذه أسد آباد امض راشداً. فالتفتُ فلم أراه، ودخلت أسد آباد فإذا في الصرة أربعون أو خمسون ديناراً، فوردت همدان ولم نزل بخير ما بقي معنا من تلك الدنانير^(١).

لقد أعطى الله لسليمان بن داود حرفاً واحداً من الاسم الأعظم وسخر له الريح فكانت الريح تحمله وهو على الكرسي بجميع ما عليه من الشياطين والإنس والدواب والخيل فتمرّ بها في الهواء الى موضع يريده سليمان^(٢).

وقد أعطى الله محمداً ﷺ وأوصيائه ﷺ أفضل وأكثر مما أعطى سليمان وغير سليمان فعلمه تمام الاسم الأعظم (٧٢ حرفاً) وقد جمع الله لمحمد ﷺ كل ما كرم به نبي ورسول بل كل علم وكمال أعطاه الله لأحد من خلقه، وكل ذلك ورثه أوصياؤه منه كما مرّ ذلك بالتفصيل في البحوث السابقة.

من هنا، فتسخير الريح والغمام للنبي وأوصيائه من الواضحات المذكورة في الروايات الشريفة.

(١) إثبات الهداة، ج ٧، ص ٢٩٩ (باب معجزات إمام العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف)، وص ٣٥١ (بطريق آخر)، الخرائج والجرائع، ج ٢، ص ٩٣٧.

(٢) بحار الأنوار، ج ١٤، ص ٩٩، ح ١ (باب ٨ تفسير قوله تعالى: ﴿فَلْيَقِمْ مِثْلًا لِّلشُّرِّ وَالْأَعْيَانِ﴾).

الفصل الثاني عشر

في إطاعة الماء لهم صلوات الله عليهم وانقلابه جواهر وذهب لهم^(١)

النبي والإمام متى ما أرادوا، فإن الماء يتبدل حسب إرادتهم. وهنا نذكر قصة الرجل البلخي ومعجزة الإمام زين العابدين عليه السلام في تبدل الماء جواهر. واليك تفصيل القصة:

رُوي أن رجلاً مؤمناً من أكابر بلاد بلخ كان يحج بيت الله الحرام، ويزور قبر النبي صلى الله عليه وآله في أكثر الأعوام، وكان يأتي إلى علي بن الحسين عليهما السلام فيزوره ويحمل إليه الهدايا والتحف، ويأخذ مصالح دينه منه، ثم يرجع إلى بلاده، فقالت له زوجته: أراك تهدي تحفاً كثيرة، ولا أراه يجازيك عنها بشيء. فقال: إن هذا الرجل الذي نهدي إليه هدايانا هو ملك الدنيا والآخرة، وجميع ما في أيدي الناس تحت ملكه، لأنه خليفة الله في أرضه وحجته على عباده، وهو ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو إمامنا ومولانا ومقتدانا. فلما سمعت ذلك منه، أمسكت عن ملامته.

(١) مدينة المعاجز، ج ٢، ص ٢٦٥.

قال: ثم إنَّ الرجل تهيأ للحجَّ مرَّةً أُخرى في السنة القابلة، وقصد دار عليّ بن الحسين عليه السلام فاستأذن عليه بالدخول، فأذنَ له، ودخل فسلم عليه وقبل يديه، ووجد بين يديه طعاماً فقرَّبه إليه وأمره بالأكل معه فأكل الرجل حسب كفايته، ثم استدعى بطست وإبريق فيه ماءً، فقام الرجل فأخذ الإبريق وصبَّ الماء على يدي الإمام. فقال الإمام عليه السلام: يا شيخ، أنت ضيفنا فكيف تصبَّ على يديَّ الماء؟ فقال: إنِّي أحبُّ ذلك. فقال الإمام عليه السلام: حيث إنك أحببت ذلك فوالله لأُريك ما تحبُّ وترضى وتقرَّبه عيناك. فصبَّ الرجل الماء على يديه حتَّى امتلأ ثلث الطست فقال الإمام عليه السلام للرجل: ما هذا؟ قال: ماء. فقال الإمام: بل ياقوت أحمر، فنظر الرجل إليه فإذا هو قد صار ياقوتاً أحمر بإذن الله تعالى.

ثم قال الإمام عليه السلام: يا رجل صبَّ الماء أيضاً، فصبَّ على يدي الإمام مرَّةً أُخرى حتَّى امتلأ ثلثا الطست. فقال الإمام عليه السلام له: ما هذا؟ قال: هذا ماء. فقال الإمام بل هو زمرد أخضر، فنظر الرجل فإذا هو زمرد أخضر.

ثم قال الإمام عليه السلام أيضاً صبَّ الماء يا رجل! فصبَّ الماء على يدي الإمام عليه السلام حتَّى امتلأ الطست، فقال للرجل: ما هذا؟ فقال: هذا ماء. قال: بل هو درّ أبيض، فنظر الرجل إليه فإذا هو درّ أبيض بإذن الله تعالى وصار الطست ملأناً من ثلاثة ألوان؛ درّ وياقوت وزمرد فتعجب الرجل غاية العجب، وانكبَّ على يدي الإمام يقبلهما. فقال له الإمام عليه السلام: يا شيخ، لم يكن عندنا شيء نُكافوك على هداياك إلينا فخذ هذه الجواهر، فإنها عوض هديتِك إلينا، واعتذر لنا عند زوجتك، لأنها عتبت علينا، فأطرق الرجل رأسه خجلاً، وقال: يا سيدي ومن أنباك بكلام زوجتي؟ فلا شكَّ أنك من بيت النبوة.

في إطاعة الماء لهم صلوات الله عليهم وانقلابه جواهر وذهب لهم ١٧١

ثم إنَّ الرجل ودَّع الإمام عليه السلام وأخذ الجواهر، وسار بها إلى زوجته وحديثها بالقصة، فقالت: ومن أعلمه بما قلت؟ فقال: ألم أقل لك: إنه من بيت العلم والآيات الباهرات؟ فسجّدت لله شكراً، وأقسمت على بعلمها بالله العظيم أن يحملها معه إلى زيارته والنظر إلى طلعتة. فلما تجهّز بعلمها للحجّ في السنّة القابلة أخذها معه، فمرضت المرأة في الطريق وماتت قريباً من مدينة الرسول صلى الله عليه وآله فجاء الرجل إلى الإمام باكيةً حزينةً وأخبره بموت زوجته وأنها كانت قاصدة إلى زيارته وإلى زيارة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، فقام الإمام عليه السلام وصلى الله تعالى ركعتين ودعا الله سبحانه وتعالى بدعوات لم تحجب عن ربّ السموات، ثم التفت إلى الرجل، فقال له: قم وارجع إلى زوجتك، فإنّ الله عزّ وجلّ قد أحياها بقدرته وحكمته، وهو يحيي العظام وهي رميم. فقام الرجل مسرعاً وهو فرح بين مصدّق مكذّب، فدخل إلى خيمته فرأى زوجته جالسة في الخيمة على حال الصّحة، فزاد سروره واعتقد ضميره، وقال لها: كيف أحياك الله تعالى؟

فقالت: والله لقد جاءني ملك الموت، وقبض روحي، وهمّ أن يصعد بها، وإذا أنا برجلٍ صفته كذا وكذا، وجعلت تعدّ أوصافه الشريفة عليه السلام، وبعلمها يقول لها: نعم صدقت هذه صفة سيّدي ومولاي عليّ بن الحسين عليه السلام قالت: فلما رآه ملك الموت مقبلاً انكبّ على قدميه يقبلهما، ويقول: السلام عليك يا حجّة الله في أرضه، السلام عليك يا زين العابدين، فردّه عليه السلام، وقال له: يا ملك الموت، أعد روح هذه المرأة إلى جسدها، فإنّها قاصدة إلينا، وإني قد سألت ربّي تعالى أن يُبقّيها ثلاثين سنّة أخرى، ويحييها حياةً طيِّبةً لقدمها إلينا زائرةً لنا، فإنّ للزائر علينا حقّاً واجباً.

فقال له الملك: سمعاً وطاعة لك يا وليّ الله! ثم أعاد روحي إلى جسدي، وأنا أنظر إلى ملك الموت قد قبل يده الشريفة ﷺ وخرج عني. فأخذ الرجل بيد زوجته، وأتى بها إلى مجلس الإمام ﷺ وهو بين أصحابه وانكبت على ركبتيه تقبلهما، وهي تقول: والله هذا سيدي ومولاي، هذا الذي أحياني الله ببركة دعائه. قال: ولم نزل المرأة مع بعلمها مجاورين عند الإمام علي بن الحسين ﷺ بقية أعمارهما بعيشة طيبة في البلدة الطيبة إلى أن ماتا - رحمة الله عليهما - ^(١).

وفي رواية أخرى أن الماء الذي صبّ على يدي الإمام موسى بن جعفر ﷺ، فإذا به يتحول إلى قرطان من ذهب فيهما دُرٌّ ^(٢).

وقد حمل رجل من الأصحاب إلى أبي الحسن الرضا ﷺ مالاً له خطر، فلم يسرّ بذلك. فاغتم لذلك وقال في نفسه: قد حملت مثل هذا المال ولم يسرّ به، فقال: يا غلام الطست والماء، قال: فقع على كرسيّ وقال بيده للغلام: صب عليّ الماء. قال: فجعل يسيل من بين أصابعه في الطست ذهب، ثم التفت إليّ فقال لي: مَنْ كان هكذا لا يبالي بالذي حملته إليه ^(٣).

وقال محمد بن إسحاق: لقيت علي بن الحسين ﷺ وقد انبثق نهر

(١) بحار الأنوار، ج ٦، ص ٤٧ (باب ٣ من تاريخ الإمام زين العابدين ﷺ، معجزاته ومعالي أموره).

(٢) بحار الأنوار، ج ٨، ص ٤٢، ح ١٩ (باب ٤ من تاريخ موسى بن جعفر ﷺ).

(٣) الكافي، ج ١، ص ٤٩١، ح ١٠؛ بحار الأنوار، ج ٤٩، ص ٦٣، ح ٨٠ (باب ٣ من تاريخ الإمام علي بن موسى الرضا ﷺ)؛ وفي مدينة المعاجز، ج ٣، ص ١١٩؛ وإثبات الهداة، ج ٩، ص ٤٠، ح ٢٠.

في إطاعة الماء لهم صلوات الله عليهم وانقلابه جواهر وذهب لهم ١٧٣

سورا حتى ذهبت غلاتها بخمسمائة ألف درهم وكان ذلك في كل سنة،
فسألته فأعطاني خاتم رصاص فألقيته في ذلك النهر فوقف الماء بصيفه
وشتائه^(١).

(١) إثبات الهداة، ج ٥، ص ٢٥٦.

الفصل الثالث عشر

في طاعة الملائكة للنبي ﷺ والأئمة ﷺ واف்தخارهم بخدمتهم صلوات الله عليهم

وقد مرَّ في الفصل الرابع طاعة جميع الخلائق لهم من كان في السماء ومن كان في الأرض، وما ورد في قصة المؤمن البلخي ودعاء الإمام زين العابدين عليه السلام لزوجه فأحييت، وأمر الإمام لملك الموت أن يرجع روحها فأطاعه. وفي رواية عن العبدى صفوان بن يحيى قال: قال لي العبدى: قالت أهلى قد طال عهدنا بالصادق عليه السلام فلو حججنا وجددنا به العهد؟ فقلت لها: والله ما عندي شيء أحج به. فقالت: عندنا كسو وحلى فبع ذلك وتجهز به، ففعلت. فلما صرنا قرب المدينة، مرضت مرضاً شديداً وأشرفت على الموت، فلما دخلنا المدينة خرجت من عندها وأنا آيس منها، فأتيت الصادق عليه السلام وعليه ثوبان ممصران فسلمت عليه فأجابني وسألني عنها فعرفته خبرها وقلت: إني خرجت وقد أيست منها. فأطرق ملياً ثم قال: يا عبدى أنت حزين بسببها؟ قلت: نعم. قال: لا بأس عليها فقد دعوت الله لها بالعافية فارجع إليها فإنك تجدها قاعدة

والخادمة تلقمها الطبرزد. قال: فرجعت إليها مبادراً فوجدتها قد أفاقت وهي قاعدة والخادمة تلقمها الطبرزد فقلت: ما حالك؟ قالت: قد صبَّ الله عليَّ العافية صبّاً وقد اشتهيت هذا السكر. فقلت: خرجت من عندك آيساً فسألني الصادق عليه السلام عنك فأخبرته بحالك، فقال: لا بأس عليها ارجع إليها فهي تأكل السكر. قالت: خرجت من عندي وأنا أجود بنفسي فدخل عليَّ رجل عليه ثوبان ممصران قال: ما لك؟ قلت: أنا ميتة وهذا ملك الموت قد جاء يقبض روحي. فقال: يا ملك الموت. قال: لبيك أيها الإمام. قال: ألسنت أمرت بالسمع والطاعة لنا؟ قال: بلى. قال: فإني أمرك أن تؤخّر أمرها عشرين سنة. قال: السمع والطاعة. قال: فخرج هو وملك الموت فأقمت من ساعتى^(١).

وفي رواية مفصلة عن الأصمغ أنه قال: قال أمير المؤمنين: يا ملائكة ربّي اتنوني الساعة ببليس الأبالسة وفرعون الفراعنة. فأتوه بفرعون هذه الأمة (الثاني)^(٢).

وقد ورد في روايات عديدة في كتب الفريقين دخول الملائكة على علي أمير المؤمنين عليه السلام وسلامها عليه والدعاء له ولشيعةه والتقرب إلى الله

(١) بحار الأنوار، ج ٤٧، ص ١١٥، ح ١٥٢ نقلًا عن الخرائج للراوندي، ج ١، ص ٢٩٤ (الباب السابع في معجزات الإمام جعفر بن محمد عليه السلام). كما ورد نظير هذه الرواية في إثبات الهداة، ج ٥، ص ٤٠١، باب ٢١ في معجزات الإمام الصادق عليه السلام، فصل ١٩، ح ١٣٣.

(٢) تفصيل الرواية في بحار الأنوار، ج ٤٢، ص ٥٥، ح ١ (باب ١١٧ من تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام)، وذكرها المصنف في مستدرک سفينة البحار، ج ١، ص ٤١٥ (لغة: بلس).

في طاعة الملائكة للنبي ﷺ والأئمة ﷺ وافتخارهم بخدمتهم ١٧٧

بمحبة وخدمته وخلق الله الملائكة من نوره، وأن محمداً وآل محمد سبب تسبيح وتهليل الملائكة فمنهم تعلم الملائكة التسبيح والتهليل والتكبير، فلذلك فرض الله ولايتهم على الملائكة^(١).

وقد كتب الله أسماءهم المقدسة على العرش والكرسي واللوح وأبواب الجنة وأجنحة الملائكة وجباههم^(٢).

وروي أنه لما رأى جبرئيل أسماء الخمسة الطيبة على ساق العرش، قال: ربّ فإني أسألك بحقهم عليك إلا جعلتني خادمهم^(٣).

وعن محمد بن علي عليه السلام قال: مرض رجل من أصحاب الرضا عليه السلام فعاده وكان في سكرات الموت بعد كلام جرى بينه وبين الإمام قال الرجل: يا بن رسول الله، هذه ملائكة ربّي يسلمون عليك وهم قيام بين

(١) ذكرت جملة من هذه الروايات في بحار الأنوار، ج ٣٩، ص ٩٢، باب ٧٦ حب الملائكة لأمر المؤمنين عليه السلام وافتخارهم بخدمته صلوات الله عليهم أجمعين قرابة ٢٢ رواية وفي نفس الكتاب، ج ٢٦، ص ٢٦٧، باب ٦ تفضيل محمد وآل محمد عليه السلام على الأنبياء وعلى جميع الخلق وأخذ ميثاقهم عنهم وعن الملائكة وعن سائر الخلق وأن أولي العزم إنما صاروا أولي العزم بحبهم صلوات الله عليهم وفي بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ٣٣٥، باب ٨، فضل النبي وأهل بيته (صلوات الله عليهم) على الملائكة وشهادتهم بولايتهم قرابة ٢٤ رواية وفي نفس المجلد، ج ٢٦، ص ٣٥١، باب ٩، أن الملائكة تأتيهم وتطأ فرشهم وأنهم يرونهم ذكر ٢٦ رواية بهذا المضمون.

(٢) بحار الأنوار، ج ٢٧، ص ١ (باب ١٠ من كتاب الإمامة أن أسماءهم ﷺ مكتوبة على العرش والكرسي).

(٣) مستدرک سفينة البحار، ج ٢، ص ٢٢؛ بحار الأنوار، ج ٩٦، ص ٣٦٤، ح ٦٨، باب ١١ من تاريخ نبينا ﷺ؛ وفي بحار الأنوار، ج ٢٤، ص ٢٠٨ (باب ٥٥ ما نزل في أن الملائكة يجوبونهم ويستغفرون لشيعتهم).

يديك فأذن لهم في الجلوس، فقال الرضا عليه السلام اجلسوا ملائكة ربّي. ثم قال للمريض: سلهم أمروا بالقيام بحضرتي؟ فقال المريض: سألتهم فذكروا أنّه لو حضرك كلّ من خلقه الله من ملائكته لقاموا لك ولم يجلسوا حتى تأذن لهم، هكذا أمرهم الله عزّ وجلّ^(١).

(١) تفصيل هذه الرواية في بحار الأنوار، ج٦، ص١٩٤، ح٤٥ (باب ٧ من كتاب العدل والمعاد).

الفصل الرابع عشر

في اطاعة الجن والشياطين

للنبي ﷺ والأئمة ﷺ

وقد مر أن سليمان النبي قال: ربِّ هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي، فسخر الله له الريح وسخر له الجنَّ والشياطين.

ورسول الله ﷺ وأهل بيته ﷺ الذين آتاهم الله الملك العظيم وأعطاهم ٧٢ حرفاً من الإسم الأعظم وورثهم علوم الأنبياء والمرسلين كلّها حتى كان علم آصف وسليمان عندهم كقطرة في البحر الأخضر وأن لهم الطاعة المفروضة على الخلق. وموارد طاعة الجن للنبي ﷺ والأئمة ﷺ كثيرة، منها:

ما في الكافي باب أن الجن يأتيهم فيسألونهم عن معالم دينهم وحلالهم وحرامهم ويتوجهون في أمورهم.

من تلك الموارد أن سدير الصيرفي جاءه رجل من الجن وسلّمه كتاب أبي جعفر ﷺ كما أنه أتى بكتاب آخر وسلّمه إلى جابر الجعفي.

فلما قدم سدير أبا جعفر ﷺ قال له: جُعِلت فداك، رَجُلٌ أتاني

بكتابك وطينه رطب. فقال يا سدير، إن لنا خدماً من الجن فإذا أردنا السرعة بعثناهم^(١).

وذكر المجلسي في البحار^(٢) ٢٠ رواية في باب أن الجن خدامهم ﷺ يظهرون لهم ويسألونهم عن معالم دينهم.

وقد ذكرت روايات عديدة عن إتيان جماعة من الجن إلى النبي ﷺ وإيمانهم به والتسليم له وإطاعة أمره، وفيها ذكرهم لمناقب أمير المؤمنين ﷺ وشرح استيلاء الإمام عليهم وخبر محاربة أمير المؤمنين ﷺ لهم وقتله إياهم.

وقد أورد المصنف في مستدرك سفينة البحار موارد إطاعة الجن للنبي ﷺ والأئمة ﷺ بتفصيل أكثر^(٣).

(١) الكافي، ج ١، ص ٣٩٥، ح ٤ (باب أن الجن يأتيهم فيسألونهم عن معالم...).

(٢) بحار الأنوار، ج ٢٧، ص ١٣ (باب ١١ من كتاب الإمامة)، ج ١٨، ص ٧٦ - ١٠٤ (باب ٩ و ١٠ من تاريخ نبينا ﷺ)، ج ٣٩، ص ١٦٢ (باب ٨٣ من تاريخ أمير المؤمنين ﷺ).

(٣) مستدرك سفينة البحار، ج ٢، ص ١١٨ (لغة: جنى).

الباب الثاني
الرد على الشبهات

الفصل الأول

في الرد على المستدلين بالآيات المتشابهة على نفي الولاية التكوينية وطرح آرائهم والإجابة عليها

في الفصل الأول من هذا الباب، نبحت الآيات المتشابهة التي
فسّرها البعض طبقاً لآرائهم، فأنكروا بها ولاية النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ
التكوينية^(١)

من الواضح أنه لا يمكن فهم آيات القرآن الكريم (ونقصد من الآيات
غير النص منها) المرتبطة بالأحكام والآيات المتشابهة والآيات المجملّة
وما شابه بعيداً عن روايات أهل البيت ﷺ وبدون توفير قاعدة علمية
رصينة تؤهل الإنسان للاستنباط، فالآيات التي فيها احتمالات عديدة لا
يمكن حمل اللفظ على أحد احتمالاته من دون دليل وتفسير من العترة
الطاهرة، أو اختيار معنى يخالف ما أقرّه الإمام من أحد المعاني

(١) الشبهات المذكورة في الفصل الأول والثاني من هذا الكتاب وردت في كتاب درس من
الولاية.

المذكورة في الآية. ومن الآيات المستدل بها على نفي الولاية التكوينية قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾^(١).

وكلمة الشيء هنا نكرة في سياق النفي وهي تفيد العموم والمعنى أن كل أمر تكويني لا يمكن لرسول الله ﷺ التصرف فيه.

وإن قال قائل: كيف يمكن الالتزام بذلك وقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير هذه الآية حين سئل عن ذلك أنه قال: بلى، شيء وشيء مرتين وكيف لا يكون له من الأمر شيء وقد فوض الله إليه دينه فما أحل رسول الله ﷺ فهو حلال، وما حرّم فهو حرام^(٢).

قلنا: إن ذلك يصحح ما أردنا قوله، إذ الحلال والحرام في دائرة التشريع وهو من مهام رسول الله ﷺ فيستثنى من العموم إن ولاية رسول الله ﷺ تختص بالأمور التشريعية دون الأمور التكوينية فتشمله كلمة الشيء.

أقول: لقد وقع في تفسير الآية بهذا النحو مغالطات.

أولاً: إن في الآية كلمة «لك» لا «عليك» حيث استفيد منه العهدة؛ فقله على العهدة المذكور في ترجمة الآية باطل؛ لاستلزامه نفي تمام التكليف عن النبي ﷺ.

(١) آل عمران، الآية ١٢٨.

(٢) بحار الأنوار، ج ١٧، ص ١٠، ح ١٨ (باب ١٣ من تاريخ نبينا ﷺ وجوب طاعته ووجه التفويض إليه ﷺ)؛ بصائر الدرجات، ج ٢، ص ٢٣٤، ح ٥ (باب ٤ التفويض إلى رسول الله ﷺ) ح ١٥.

ثانياً: إن لفظ «الشيء» وإن كان نكرة في سياق النفي ولكنه قيدت بكلمة من الأمر، والمعنى ليس لك شيء من الأمر والألف واللام في الآية للعهد الذكري كما نبّه عليه الطبرسي^(١)، بمعنى أن ليس لك من ذلك الأمر المخصوص شيء، وبعبارة أخرى المطابق لظاهر القرآن: ليس لك من ذلك الأمر المعهود أي شيء، إنما هو ما أراده الله وليس للنبي ﷺ أن يغيّره. ثم إن الآية نزلت في إمامة علي عليه السلام حيث أرادها الله تعالى إرادة حتم ولما خاف النبي ﷺ مخالفة الأمة وآخر تبليغ ذلك، وأنزل الله عليه هذه الآية.

ففي الحديث عن جابر الجعفي قال: قرأتُ عند أبي جعفر عليه السلام قول الله عز وجل ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ قال: بلى، والله إن له من الأمر شيئاً وشيئاً وشيئاً وليس حيث ذهبت ولكنني أخبرك أن الله تبارك وتعالى لما أمر نبيه ﷺ أن يظهر ولاية علي عليه السلام فكّر في عداوة قومه له ومعرفته بهم وذلك للذي فضله الله به عليهم في جميع خصاله. فلما فكر النبي ﷺ في عداوة قومه له في هذه الخصال وحسدِهِم له عليها، ضاق عن ذلك فأخبر الله أنه ليس له من هذا الأمر شيء إنما الأمر فيه إلى الله أن يصير علياً عليه السلام وصيه وولي الأمر بعده، فهذا عنى الله. وكيف لا يكون له من الأمر شيء وقد فوّض الله إليه أن جعل ما أحلّ فهو حلال وما حرّم فهو حرام قال ﷺ وَمَا أَمَرْتُكُمْ إِلَّا بِمَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَمَا نَهَيْتُكُمْ إِلَّا بِمَا نَهَى اللَّهُ عَنْكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَأَطِيعُوا أَمْرَ رَسُولِهِ وَأَطِيعُوا أَمْرَ إِمَامِهِ وَاتَّقُوا النَّاسَ كَمَا تَقُونَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (٢).

(١) مجمع البيان، ج ٢، ص ٣٨٦.

(٢) سورة الحشر، الآية ٧؛ بحار الأنوار، ج ١٧، ص ١١، ح ٢١ (باب ١٣ من تاريخ نبينا ﷺ وجوب طاعته)؛ تفسير العياشي، ج ١، ص ٣٣٨، ح ١٣٩ من سورة آل عمران، تفسير البرهان، ج ٢، ص ٤٩٠، ح ١ [١٩٠٩].

فلو كانت الآية (ليس لك ولا عليك شيء من الأمور) لصح تفسير المستدل بالآية لنفي الأمور التكوينية، وإنما الآية تبين أن النبي ﷺ سُلِبَ منه الاختيار في أمر تبليغ الولاية لا أنه سُلِبَ منه الاختيار في كل الأمور، وكيف لا يكون لرسول الله ﷺ من الأمر شيء وقد فَوَّضَ الله إليه أمر الدين فما أحلّه كان حلالاً إلى يوم القيامة وما حرّمه كان حراماً إلى يوم القيامة. قال تعالى: ﴿وَمَا آتَيْنَاكَ إِلَّا الْوَسْوَءَ الْفَسَّادَ وَمَا نَهَيْتُكَ عَنْهُ فَاتَّقِ اللَّهَ﴾.

ولم يعمّم أحد من المفسرين هذه الكلمة (الأمر) وقالوا بأن الألف واللام للعهد الذهني كما ورد في سياق الآيات السابقة؛ منهم الشيخ الطبرسي قال في تفسيره: وجه إيصال الآية بما قبلها أن هذا النصر الذي خصكم الله به ليقطع طائفة من الذين كفروا بالأمر والقتل أو يُخزيهم بالخيبة مما أملوا من الظفر بكم، فيكون التقدير ليقطع طرفاً منهم أو يكتبهم أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم قد استحقّوا العذاب وليس لك من هذه الأربعة شيء، وذلك إلى الله تعالى.

وقد ذكرت كلمة «الأمر» في القرآن وفي الروايات ولها ستة من المعاني، وفي أكثر الآيات والروايات هي بمعنى الولاية والإمامة والخلافة^(١) كما ذكر المصنف في مستدرك سفينة البحار^(٢)، في لغة «أمر» الروايات الواردة في معنى «الأمر» وذكرها صاحب كتاب مفتاح الكتب

(١) بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ١٧٢ و ١٧٣؛ وفي إكمال الدين عن ابن مهزيار عن القائم عليه السلام أنه قال في قوله تعالى: ﴿أَتَيْنَاكَ إِلَّا وَنَهَاً﴾ نحن أمر الله عز وجل وجنوده.

(٢) مستدرك سفينة البحار، ج ١، ص ١٧٨.

في الرد على المستدلين بالآيات المتشابهة على نفي الولاية التكوينية ١٨٧.....

الأربعة في لغة «أمر»^(١). من هنا، لا يمكن القول بالتعميم لمعارضتها لظهور الآية والروايات الواردة في المقام وعبارات المفسرين. ولعمري ما جواب المستدل اذا سُئل يوم القيامة لماذا حَمَلْتَ رَأْيَكَ الْقُرْآنَ وَفَسَّرْتَ هذه الآية المتشابهة برأيك ولم تأخذ بتفسير أئمة أهل البيت عليهم السلام وإن كنت راجعت تفسير الإمام الباقر عليه السلام في هذه الآية فلماذا عَمِمْتَ معنى الأمر هنا أليس التعميم خلاف ظاهر القرآن والروايات وكلمات المفسرين؟

والعجيب في الأمر أن المستدل يستدل بحديث جابر الجعفي^(٢) ويقرّ بصحته ثم يضعف الراوي ويتنقد استدلالنا حيث تمسكنا برواية جابر. فلو راجع هو كتب رجال الحديث كرجال المامقاني وسفينة البحار ومنتهى الآمال للمحدث القمي، لعرف مقام وجلالة جابر.

كما أن اللام في هذه الآية «ليس لك من الأمر شيء» قد تأتي للملكية فيكون المعنى نفي الملكية الذاتية عن رسول الله ﷺ إلا بتملك من الله تعالى، وقد مرّ مثل ذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾^(٣).

(١) مفتاح الكتب الأربعة، ج ١، ص ٢٥١.

(٢) جابر بن يزيد الجعفي جليل القدر عظيم الشأن من تلامذة الإمام الباقر عليه السلام والإمام الصادق عليه السلام وموضع شُره وقد ذكرت ترجمته في كتاب مستدركات علم رجال الحديث، ج ٢، ص ١٠٥، الرقم ٢٤١٠ وقد ذكر العلامة المامقاني في رجاله، ج ١٤، ص ٩٧، الرقم ٣٣ [٣٥٨٥] والمحدث القمي في سفينة البحار، ج ١، ص ٣٥٧؛ منتهى الآمال، ج ٢، ص ١٥٠، ج ٣ (الفصل الثالث في معاجز الإمام الباقر عليه السلام) وكتب جمع من المتأخرين في كتبهم عن وثاقته وجلالته وأثبتوا ذلك، وقد خدم سيد الأنام أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام ثماني عشرة سنة.

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٨٨.

ونظير كلام الإمام الحسن العسكري عليه السلام في الرواية المنقولة في معاني الغلو قال: ولا يملكون إلا ما ملّكهم، ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً ولا قبضاً ولا بسطاً ولا حركة ولا سكوناً إلا ما أقدّره عليه وطوقهم^(١)...

وهو أملك لما ملّكهم ومن ثم فإن هذه الآية تعتبر من الآيات المتشابهة ولا يمكن الاستدلال بها لإثبات مدّعى الخصم، وقد استدلّ بهذه الآية أصحاب الجبر وأثبتوا الجبر بها، وقد فضّل في ردّهم الشريف الرضيّ في كتابه «حقائق التأويل»^(٢) ولمن أراد تفصيل ذلك، فليراجع هناك.

ثم إن الله تبارك وتعالى - كما ورد في القرآن الكريم - قد سخر لسليمان عليه السلام الريح وأعطاه ملك أهل الدنيا كلّهم^(٣) من الجن والإنس والشياطين والدوابّ والطير والسباع وأمرهم بطاعته وامتنثال أوامره، أليست هذه هي الولاية التكوينية؟ ثم بعد ذلك يعطي لوصي سليمان (آصف بن برخيا) علماً يستطيع بذلك العلم أن يحمل عرش بلقيس في أقلّ من طرفة عين ويضعه عند سليمان،^(٤) ثم يمنع هذه الولاية عن خاتم المرسلين محمد عليه السلام وأهل بيته الأئمة الهداة عليهم السلام وهو أفضل الأنبياء وأعظم المرسلين وأهل بيته أفضل الأوصياء. أليس الله قد فضّل النبي صلى الله عليه وآله

(١) إثبات الهداة، ج ٧، ص ٤٧٠.

(٢) حقائق التأويل، ص ٢٢٩، مسألة ٢٥.

(٣) بحار الأنوار، ج ١٤، ص ٨٠ (باب ٥ فضله ومكارم أخلاقه...).

(٤) بحار الأنوار، ج ١٤، ص ١١٠، ح ٣ (باب ٩ قصته عليه السلام مع بلقيس).

في الرد على المستدلين بالآيات المتشابهة على نفي الولاية التكوينية ١٨٩.....

ووصيه علي بن أبي طالب على سليمان وجعلهما ورثة الأنبياء والمرسلين؟^(١)

وقد استدل لنفي الولاية التكوينية بقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾^(٢).

وتقرير ذلك: تدل الآية أن رسول الله ﷺ - شأنه شأن سائر الأنبياء الذين سبقوه - فهو رسول مأمور بالشرع وإقامة الدين كما كان موسى بن عمران عليه السلام مأموراً بذلك، فمهمة الرسول هي إبلاغ الرسالة فحسب، لا التصرف في أمور الكون المعبر عنه بالولاية التكوينية.

ويرد عليه: أن هذه الآية لا ربط لها بالموضوع لأنها نزلت في حرب أحد حين نادى فيهم إبليس أن محمداً ﷺ قد قُتل، وكان ذلك حين اشتد القتال على المسلمين فسمعه جمع منهم وقالوا: لو كان نبياً لما قُتل، وقال آخرون: يا قوم إن كان قد قُتل محمد ﷺ فإن ربَّ محمد ﷺ حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله ﷺ؟ قاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه. وقال بعض المسلمين: هلم إلى عبد الله بن أبي يأخذ لنا أماناً من أبي سفيان. عندها نزلت هذه الآية ومعناها: وما محمد إلا رسول قد مضت من قبله الرسل، فبعضهم مات وبعضهم قُتل وأنه سيمضي كما مضوا أفن أمانته الله أو قتله الكفار ارتددتم كفاراً بعد إيمانكم^(٣). إذن فالآية ليست في مقام نفي سائر خصائص النبي ﷺ

(١) بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ٢٢١ (باب ما عندهم من سلاح رسول الله) ح ٤٧.

(٢) سورة آل عمران، آية ١٤٤.

(٣) مجموعة وزام، ج ٢، ص ٢٦٩.

وتحديد مهمته بأمر الرسالة فقط، فهي لا تنافي سائر الآيات التي تذكر خصائصه ﷺ. وكما قيل: فإن إثبات الشيء لا ينفي ما عداه، فإن هذه الآية لا تنفي سائر العناوين الثابتة للنبي ﷺ في آيات أخرى. كقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾^(١) حيث تفيد معنى الرسالة والخاتمية للنبي ﷺ.

وقوله: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾^(٢) المفيدة معنى العبودية.

وآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾^(٣) ودَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا^(٤).

وآية: ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾^(٥) الدالة على صفات رسول الله فهو الشهيد، والشاهد، والمبشّر، والنذير، والسراج المنير.

وكذلك آية: ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٦) وآية: ﴿لِيَكُونَ لِّلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾^(٧).

وقد دلت الآيات على أن النبي ذكر [الأعراف ٦٣]، وبرهان [يوسف ٢٤]، ونعمة [إبراهيم ٢٨]، ونور [مائدة ٢]، ومشكاة [نور ٣٥]، وكذلك سائر مناقبه المذكورة في الروايات. وقد أحصاها مؤلف كتاب المناقب^(٨) [فصل في الآيات المنزلة فيهم] إلى ٤٠٠ منقبة ومن ألقابه ﷺ

(١) سورة الأحزاب، الآية ٤٠.

(٢) سورة، الإسراء الآية ١.

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٤٦.

(٤) سورة النساء، الآية ٤١.

(٥) سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

(٦) سورة الفرقان، الآية ١.

(٧) المناقب، ج ١، ص ٢٨٢.

في الرد على المستدلين بالآيات المتشابهة على نفي الولاية التكوينية ١٩١

«شفيع المذنبين»^(١)، و«المثل الأعلى». وقد وردت بذلك روايات عديدة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام إنهم قالوا: نحن المثل الأعلى^(٢).

وقد ورد عنوان المثل الأعلى في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾^(٣)، وقوله: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾^(٤). وفي مستدرك سفيحة البحار في لغة «مثل»، ذكر المصنف ١٥ رواية كلها معتبرة وصحيحة عن النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام والإمام السجاد عليه السلام والإمام الصادق عليه السلام... أنهم قالوا: «نحن مثل الله الأعلى»^(٥).

ولا بأس بذكر الروايات الواردة في المقام. ففي تفسير الصافي^(٦) ونور الثقلين^(٧) وردت ثلاث روايات بأن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، هم المثل الأعلى. وفي خطبة مفصلة عن رسول الله صلى الله عليه وآله ذكرها الصدوق في الخصال^(٨)، وفي تفسير فرات الكوفي^(٩) أنه قال: نحن كلمة التقوى، وسبيل الهدى، والمثل الأعلى في السماوات والأرض، والحجة

(١) بحار الأنوار، ج ١٥، ص ٣٥١، ح ١٣ (باب ٤ من تاريخ نبينا صلى الله عليه وآله).

(٢) بحار الأنوار، ج ١٦، ص ٣٧٦، ح ٨٥ (باب ١١ فضائله وخصائصه عليه السلام).

(٣) سورة النحل، الآية ٦٠.

(٤) سورة الروم، الآية ٢٧.

(٥) مستدرك سفيحة البحار، ج ٩، ص ٣١٧؛ بحار الأنوار، ج ١٦، ص ٣٧٤، ح ٨٥ (باب ١١).

(٦) تفسير الصافي، ج ٥، ص ٤٩٦ في تفسير سورة الروم الآية ٢٧.

(٧) نور الثقلين، ج ٥، ص ٣٩٤، ح ٤٦ و ٤٧.

(٨) الخصال، ج ٢، ص ٤٣٢، ح ١٤ «عشر خصال جمعها الله لنبيه صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام؛

وفي بحار الأنوار، رويت بطريق آخر، ج ٢٦، ص ٢٤٤، ح ٦ (باب ٥).

(٩) تفسير فرات الكوفي، ص ٣٠٧، ح ٦ [٤١٢] في ذيل آخر آية من سورة الشعراء.

العظمى... إلى آخر الخطبة. وقد ورد هذا التعبير في المقطع الثاني من زيارة الجامعة.

وفي العيون^(١) باب ٣٠ بسند صحيح عن الرضا عليه السلام عن آبائه أن النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي: وأنت المثل الأعلى.

وعن الصدوق في الأمالي^(٢) مسنداً عن ابن نباتة، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: أنا خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله ووزيره ووارثه... إلى أن قال: أنا الحجة العظمى، والآية الكبرى، والمثل الأعلى.

ومن خطبة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام يذكر فيها مناقبه حيث قال «أنا أسماء الله الحُسنى، وأمثاله العُلُيا، وآياته الكبرى»^(٣).

وفي كتاب النجوم^(٤) للسيد ابن طاووس أن منجماً وعرفاً دخل على علي بن الحسين عليه السلام وعنده أصحابه، فقال له الإمام: هل أدلك على رجل قد مرّ منذ دخلت علينا في أربعة آلاف عالم؟

قال: من هو؟ قال له: إن شئت أنبأتك بما أكلت وما ادخرت في

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٦، ح ١٣ (باب ٣٠ فيما جاء عن الرضا من الأخبار المتنوّرة). وقد وردت هذه الرواية في بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ٢٦٣، ح ٤٨ (باب ٥ من كتاب الإمامة).

(٢) الأمالي، ص ٩٢، ح ٧ [٦٧] (المجلس العاشر).

(٣) بحار الأنوار، ج ٥٣، ص ٤٦، ح ٢٠ (باب ٢٩ من تاريخ الإمام الثاني عشر «عج»).

(٤) بحار الأنوار، ج ٤٦، ص ٤٢، ح ٤٠ (باب ٣ من تاريخ الإمام السجاد عليه السلام)؛ كتاب فرج المهموم، ص ١١١ فصل في مدح مولانا علي بن الحسين عليه السلام؛ ومثل هذه الرواية في مدينة المعاجز، ج ٢، ص ٢٧٧، ح ٩٣ عن الاختصاص وفيه «منذ دخلت علينا في أربعة عشر ألف عالم».

في الرد على المستدلين بالآيات المتشابهة على نفي الولاية التكوينية ١٩٣

بيتك، فقال له: أنبئني. فأخبره فقال له الرجل: اشهد أنك الحجة العظمى والمثل الأعلى وكلمة التقوى. فقال له: وأنت صديق امتحن الله قلبك بالإيمان وأثبت.

في زيارة الجامعة وزيارة أمير المؤمنين عليه السلام وزيارة الإمام الجواد عليه السلام نسلم عليهم بهذا السلام (السلام على أئمة الهدى والمثل الأعلى والدعوة الحسنى والآية الكبرى)^(١) وهي روايات متواترة ذكرها المصنف في مستدرك سفينة البحار^(٢). فالإمام هو المثل الأعلى وأئمة الهدى هم الأمثال العليا. وفي الروايات أن المثل الأعلى، هو العرش، وهو اسم العلم والقدرة، وهو نور الولاية، وحيث أنهم حملة العرش فهم حملة العلم والقدرة وبنور العلم هذا (العرش اسم للعلم والقدرة) يكشف للأئمة عن المستقبل ويعلمون كل ما خلق الله، وما كان وما يكون إلى يوم القيامة، ويقدرّون بلطف ربهم على كل شيء وليسوا شركاء لله في سلطانه ولا وزراءه في مملكته ولا هم مثله بل عباد مخلوقون، مربوبون، محدودون لا يملكون من ذواتهم شيء بل كل ما لديهم هو عطاء من الله. وقد جعلهم الله المثل الأعلى؛ فعلمهم نظير علم الله، وقدرتهم نظير قدرته، ويعبر عن هذا العلم والقدرة بالعرش، والنبي والإمام حملة هذا العرش. ولأن علمهم وقدرتهم من علم الله وقدرته، فهم يقدرّون على كل شيء. وبما أنهم أجسام محدودون بالمكان، باستطاعتهم - وهم يحملون

(١) بحار الأنوار، ج ١٠٢، ص ١٤٨ (باب ٨ الزيارات الجامعة...); مستدرك سفينة

البحار، ج ٧، ص ١٥٧، في لغة «عرش».

(٢) مستدرك سفينة البحار، ج ٩، ص ٣١٧.

هذا النور المقدس نور العلم والقدرة - رؤية كل من أرادوا، ولا حجاب يمنعهم عن الرؤية^(١).

وتمثيل رسالة النبي الأعظم ﷺ برسالة النبي موسى بن عمران عليه السلام من جهة أصل الرسالة لا من جهة الحدود أو درجات الرسالة، إذ من الواضح أن موسى عليه السلام ليس في درجة رسول الله ﷺ فعلم وكمال موسى ابن عمران بالنسبة الى علم وكمال رسول الله ﷺ كقطرة في البحر كما مرّ ذلك سابقاً.

استدل على نفي الولاية التكوينية بقوله تعالى ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَحْمَةً﴾ (٢١) قُلْ إِنِّي لَنْ يُخْرِجَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِذًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَةً﴾ (٢٣).

وهي تدلّ على حصر مهمة النبي ﷺ في التبليغ لا التصرف في الأمور التكوينية.

أقول: لابدّ من تفسير الآية مع ملاحظة سائر الآيات في سورتي الأعراف ويونس وكذلك سائر الروايات. ومعنى الآية: لا أملك ولا أقدر على دفع الضرر عنكم من نفسي ولا أملك إيصال النفع إليكم من نفسي إلاّ أن يشاء الله.

(١) للتفصيل يمكنك مراجعة مستدرك سفينة البحار، في لغة «نور»، ج ١٠، ص ١٦٣؛ «علم»، ج ٧، ص ٣٢٠؛ «عرش»، ج ٧، ص ١٥٦؛ وفي كتاب تاريخ الفلسفة والتصوف، ص ١٨٤ - ١٩٦ للمصنف. وسيأتي في رسالة علم الغيب، ص ٧١ - ١١١، المقام الثاني.

(٢) سورة الجن، الآيتان ٢١ - ٢٣.

في الرد على المستدلين بالآيات المتشابهة على نفي الولاية التكوينية ١٩٥

ومن هنا دلّت الآيات والروايات على حرمة إضرار الغير وحرمة الإضرار بالنفس ورفع الضرر بمعنى رفع جميع الأحكام الضرورية. لذلك - مثلاً - يتبدل حكم الوضوء إلى التيمم إذا كان في استعمال الماء ضرر على النفس. وكذلك يرتفع حكم الصوم إذا سبّب ضرراً على النفس، فلو لم يملك الإنسان إحداث الضرر على نفسه لما صحّ النهي عنه.

كما نلمس من الآيات والروايات فضل إيصال النفع للآخرين، ففي الحديث: «خير الناس أنفعهم للناس»^(١).

فالناس والأنبياء بتمليك الله لهم يملكون النفع أو الضرر لأنفسهم ولغيرهم وذلك لا يكون إلا بمقدار معلوم. من هنا، يجب إيصال النفع تارة ويستحب أخرى باختلاف الموارد، أما الضرر فهو حرام سواء كان على النفس أو على الغير.

وقد أسقط المؤلف المستدل من الآية قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَ مِنِّي اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٢) ومعنى الآية واضح؛ فإن الله سبحانه إن أراد بإمرئ سوءاً من مرض أو موت أو غيرهما لا يستطيع أن يجيره منه أحد أو يجد من دونه ملاذاً يأوي إليه، والآية تؤكد هذا المعنى، فلا ملجأ لرسول الله غير الله. فكل ما لديه من الله تعالى وكل من يجد نعمة بالتوسل إلى رسول الله ﷺ فهو عطاء من الله تعالى.

وفي كتب التفاسير كما في الكافي عن أبي الحسن الماضي قال: ان

(١) خير الناس أنفعهم للناس، مستدرک الوسائل، ج ١٢، ص ٣٩١، ح [١٤٣٨٢]

(باب ٢٢ استحباب نفع الناس).

(٢) سورة الجن، الآية ٢٢.

رسول الله ﷺ دعا الناس إلى ولاية علي عليه السلام فاجتمعت إليه قريش فقالوا: يا محمد إغفنا من هذا. فقال لهم رسول الله ﷺ: هذا إلى الله ليس إليّ، فأنهموه وخرجوا من عنده، فأنزل الله: ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُخَيِّرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾^(١).

وفي تفسير القمي في تفسير قوله: ﴿لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾: إن توليتم عن ولايته (علي بن أبي طالب عليه السلام) ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُخَيِّرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾ إن كنتم ما أمرت به ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ يعني مأوى ﴿إِلَّا بَلْعًا مِنَ اللَّهِ﴾ أبلغكم ما أمرني الله به من ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في ولاية علي عليه السلام ﴿فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾^(٢).

ومثل هذه الآية قوله: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾^(٣).

وقوله: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾^(٤).

وقد أسقط المستدل كلمة ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ من الآية ولعله فعل ذلك لأنها تنافي غرضه، والآيتان تؤكدان المعنى الذي أوردناه في الآية السابقة من أن النبي ﷺ وسائر الأمة لا يملكون نفع أنفسهم والإضرار بها من ذوات أنفسهم إلا بإعطاء الله لهم القدرة والقوة على ذلك وبمقدار ما يملكونهم.

وقد استدلل على نفي الولاية التكوينية بقوله تعالى في سورة

(١) الكافي، ج ١، ص ٤٣٤، ح ٩١ (باب فيه نكت وتنف من التنزيل في الولاية).

(٢) تفسير القمي، ج ٢، ص ٤١١ تفسير سورة الجن.

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٨٨.

(٤) سورة يونس، الآية ٤٩.

في الرد على المستدلين بالآيات المتشابهة على نفي الولاية التكوينية ١٩٧

الأحقاف: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِنَ الرُّسُلِ وَمَا آذَرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا يَكْرَهُ﴾^(١).

وهي تدل على أن رسول الله ﷺ كسائر الرُّسل لا يعلم ما يُفعل به ولا بسائر الأمة، وفيها تصريح بعدم معرفة النبي ﷺ لأموره التكوينية.

ويرد عليه أن المستدل أسقط تنمّة الآية، وهي قوله: ﴿إِنْ أُنِجُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾^(٢) فلو جعلت هذه الآية إلى جنب آية أخرى من سورة القدر ﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾^(٣) (الدالة أن جميع مقدرات السنة تنزل في ليلة القدر على رسول الله ﷺ مع ملاحظة سائر الروايات المتواترة لا تضح أن المقصود من هذه الآية أن رسول الله ﷺ بذاته ومن دون تعليم من الله تعالى لا يعرف شيئاً، أليس القائل: ﴿إِنْ أُنِجُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾^(٤) إي إن كل ما أعرفه هو من تعليم الله لي. ومن الواضح عدم حصر وحي الله بالأحكام الشرعية أو المسائل الدينية، وقد أوحى إلى النبي ﷺ القرآن وفيه تبيان كل شيء. وبصريح القرآن، فقد أوحى إلى النبي روح من الأمر. وقد مرّ الكلام عنه في البحوث السابقة.

ورسول الله ﷺ هو المصطفى من الرُّسل لعلم الغيب كما في سورة الجن ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾^(٥) إِلَّا مَنْ أَرَادَ مِنْ رَّسُولٍ^(٥).

(١) سورة الأحقاف، الآية ٩.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٥٠.

(٣) سورة القدر، الآية ٤.

(٤) سورة الأنعام، الآية ٥٠.

(٥) سورة الجن، الآية ٢٦ - ٢٧.

ويحتمل أن يراد من هذه الآية علي بن أبي طالب عليه السلام. فكما كان رسول الله ﷺ يعلم الغيب، كذلك علي بن أبي طالب عليه السلام لأنه نفس رسول الله ﷺ ومنه كما في آية المباهلة^(١) وحديث جبرئيل^(٢).

وقد اتفق الفريقان - سنة وشيعة - على صدور أخبار تؤكد إخبارهم عليهم السلام عن الغيب في حوادث ستقع بعد حياتهم وقد وقعت بالفعل. وقد تواتر عن طريق الخاصة أن رسول الله ﷺ أخبر عن المصائب التي ستقع على أهل بيته عليهم السلام والأحداث التي ستجري على كثير من أفراد أمته. وقد فصلنا القول عن ذلك في كتابنا «القرآن والعرة»؛ فراجع^(٣).

وذكر المحدث البحراني في كتابه «مدينة المعاجز» معاجز الأئمة عليهم السلام وقد تجاوزت الألفي معجزة وردت أكثر من ستمائة وخمسين رواية منها في علمهم بالغيب^(٤).

فكيف يؤمن ذو بصيرة بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ^(٥)﴾، وَيَدْعُ الْآيَاتِ وَالرَّوَايَاتِ المتواترة التي في أيدينا، ويدعي جهل النبي ﷺ. هذا الاستدلال نظير استدلال بعض من ينتحل الإسلام ويقول أن الله جسماء وأعضاء وجوارح، ويؤمن بصدور المعاصي من الأنبياء عليهم السلام؟!!

(١) سورة آل عمران، الآية ٦١.

(٢) مستدرک الوسائل، ج ١٥، ص ١٤٤ (باب ٣٢ أنه يستحب أن يعتق عن المولود) ح ٧ [١٧٨٠٥].

(٣) مقام القرآن والعرة، الفصل العاشر من المبحث الثاني، ص ٨١.

(٤) مدينة المعاجز، ج ١، ٢ و ٣.

(٥) سورة الأحقاف، الآية ٩.

في الرد على المستدلين بالآيات المتشابهة على نفي الولاية التكوينية ١٩٩

وقد استدلَّ على نفي الولاية التكوينية بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَّغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَّغُ﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَّغُ﴾^(٣).

تؤكد هذه الآيات على إيكال مهمة الهداية والتبليغ الديني الى رسول الله ﷺ وحصر مهمة النبي في الهداية والتبليغ الديني فقط، فهو ليس حفيظاً على الناس، فكيف برعاية العالم أو حافظاً على أمور الأرض والسماء؟^(٤)

أقول: كلمة «البلاغ» في هذه الآية مطلقة، فربما أريد منها البلاغ في الدين أو الأعم من الدين كالذي يفاض على الرسول ﷺ من الله وما هو واسطة الفيض بين الخالق والخلق.

فإن رسول الله ﷺ أرسل مبلغاً لدين الله وأن ليس عليه إلا البلاغ ولم يرسل حفيظاً عليهم مسؤولاً عن إيمانهم وطاعتهم أو إجبارهم في الالتزام

(١) سورة الرعد، الآية ٤٠.

(٢) سورة المائدة، الآية ٩٩.

(٣) سورة الشورى، الآية ٤٨.

(٤) الحق أنه لا تنافي أصلاً بين مهمة النبي كمبلغ لدين الله وبين أن يكون قيماً - من جانب الله - على أمور التكوين، لانه حفظ الأمور التكوينية لا يستلزم الضرورة اجبار الناس على الإيمان، أو أن يكون مسئولاً عن اختيار الناس للإيمان أو الكفر فرعاية العالم شيء. والمسؤولية عن اختيارات الناس شيء آخر. لأن الله الخالق عزوجل هو الذي أراد ان يكون الإنسان حراً وهو بنفسه لا يتحمل مسؤولية أعمال الناس - مع أنه على كل شيء حفيظ - فكيف يرسله من الملائكة أو البشر.

بأحكام الله. وإذا ما أعرض الناس فلا يدلّ على قصور في الرسول أو تقصير في الرسالة فلا يحاسب النبي ﷺ على أفعالهم إن لم يؤمنوا كما بيّنه قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّيَ﴾ (١) وقوله تعالى: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ (٢). وكون الله حفيظاً وحافظاً على مخلوق لا ينافي بأن يكون الملائكة حفظة على الناس بأمر من الله تعالى وصريح قوله تعالى: ﴿وَرِيسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ (٣) ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ (٤) كذلك لا ينافي قوله في موضع آخر في سورة يوسف حين قال: ﴿إِنِّي حَفِظْتُ عَلَىٰ﴾ (٥) وأن الله بذاته القدوس حافظ وحفيظ على كل شيء بل هو خير حافظ وهو أرحم الراحمين وخير الحافظين.

من هنا نعرف أنه يلزم أن يكون في الناس حفظة ليكون الله تعالى خير الحافظين (٦) وتحدد قدرة الحفظة بما أقدرهم الله من الحفظ وقوله تعالى: ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ (٧) وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ﴾ (٨) وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ (٩) فإن المراد من هذه

(١) سورة عبس، الآية ٧.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٥٢.

(٣) سورة الأنعام، الآية ٦١.

(٤) سورة الانفطار، الآية ١٠؛ سورة آل عمران، الآية ٨٠.

(٥) سورة يوسف، الآية ٥٥.

(٦) قال تعالى في سورة يوسف، الآية ٦٤ ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَزْكَمُ الرَّاجِينَ﴾.

(٧) سورة النساء، الآية ٨٠.

(٨) سورة الأنعام، الآية ١٠٤.

(٩) سورة الأنعام، الآية ١٠٧.

في الرد على المستدلين بالآيات المتشابهة على نفي الولاية التكوينية ٢٠١.....

الآيات أنك يا رسول الله ﷺ لست بموكل عليهم ولا أن تحفظهم من الشرك، ولا القيوم عليهم. فلو حفظت أنت يا رسول الله أو غيرك شيئاً فبقوة من الله التي أعطاكها فهو القيوم والحافظ للناس قواهم. وبهذا النحو، فإن مالكية الله تعالى لا تنافي الآيات والأدلة الدالة على تحديد ملكية المخلوق الفقير بالذات.

كما أنه لا تنافي بين قوله تعالى: ﴿وَكُنْ بِاللهِ شَهِيداً﴾^(١) والآيات الدالة أن الله في خلقه شهيداً وشهداء وأشهاداً.

نقرأ في القرآن الكريم: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً﴾^(٢) ففي الروايات الأنبياء شهداء على أممهم، ونبينا شهيد على الأنبياء^(٣).

قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدُ عِلْمٍ الْكِتَابِ﴾^(٤).

وقوله تعالى: ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾^(٥). نزلت في أئمة أهل البيت ﷺ، فهم شهداء الله على خلقه، والرسول ﷺ شاهدٌ عليهم^(٦).

(١) سورة النساء، الآية ٧٩.

(٢) سورة النساء، الآية ٤١.

(٣) بحار الأنوار، ج ٣٥، ص ٣٨٩، ح ٨ (باب ١٩).

(٤) سورة الرعد، الآية ٤٣.

(٥) سورة البقرة، الآية ١٤٣.

(٦) بحار الأنوار، ج ٣٥، ص ٣٨٩، ح ٨ (باب ١٩) عن علي ﷺ فرسول الله شاهدٌ علينا ونحن شهداء الله على خلقه.

وقال تعالى: ﴿لَئِنْ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلُهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَتَلَّوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ (٢) ففي روايات العامة والخاصة أن أمير المؤمنين، صلوات الله عليه، الشاهد لرسول الله، ورسول الله ﷺ على بيّنة من ربه (٣).

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ﴾ (٤) عني بالأشهاد الأئمة (عليهم السلام) كما عن الباقر (عليه السلام)، (٥) شهداء على الخلق لابد وأن يكونوا أعدل الخلائق وأن يكونوا على علم ومعرفة بأفعال الخلق ليتمكنوا من الشهادة عليهم، فمن دون رؤية وعلم تمتنع الشهادة كما لا يخفى.

ومن الآيات المستدل بها على نفي الولاية التكوينية قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٦).

أقول: هذه الآية لنفي الربوبية عن الملائكة والنبيين والأئمة (عليهم السلام) ولا ربط لها بالولاية التكوينية أصلاً.

(١) سورة النساء، الآية ١٦٦.

(٢) سورة هود، الآية ١٧.

(٣) فضائل الخمسة، ج ١، ص ٢٧٠؛ مستدرك سفينة البحار، ج ٦، ص ٧١.

(٤) سورة هود، الآية ١٨.

(٥) بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ٣٥١ (باب ٢٠ عرض الأعمال عليهم السلام) وأنهم الشهداء على الخلق) ح ٦٤، وج ٣٥، ص ٣٨٦ (باب ١٩) وج ٧، ص ٣٠٦ (باب ١٦).

(٦) سورة آل عمران، الآية ٨٠.

في الرد على المستدلين بالآيات المتشابهة على نفي الولاية التكوينية ٢٠٣.....

قال المحدث القمي في معنى هذه الآية والآية السابقة: أي أن عيسى لم يقل للناس إني خلقتكم فكونوا عباداً لي من دون الله، ولكن قال لهم كونوا رباانيين أي علماء، وقوله: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلٰٓئِكَةَ وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا﴾ قال: كان قوم يعبدون الملائكة وقوم من النصارى زعموا أن عيسى رب، واليهود قالوا عزيز ابن الله فقال الله: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلٰٓئِكَةَ وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٨٠)، وقال تعالى في موضع آخر: ﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتٰبِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوٰمٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (٢). فتفيد الآيتان أن من ادعى للملائكة وللأنبياء ربوبية أو ادعى للأئمة ربوبية فهو كافر يجب التبري منه، لأنه يجب عبادة الله الواحد الأحد الذي لا شريك له خالق السماوات والأرضين.

والأرباب جمع للرب، وله معان عديدة:

المعنى الأول: الرب اسم من أسماء الله تعالى. الخالق لهذا الكون وبهذا المعنى لا يشركه فيه أحد.

المعنى الثاني: بمعنى المَلِك؛ وقد استعملت بهذا المعنى في سورة يوسف في ثلاثة مواضع، وهي:

﴿أَنَا أَحَدُكُمْ فَتَسْقِ رَبِّي خَمْرًا﴾ و﴿أَذْكُرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ و﴿ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ (٣).

(١) تفسير القمي، ج ١، ص ١٣٣، في تفسير سورة آل عمران، الآيتين ٧٩ - ٨٠.

(٢) سورة آل عمران، آية ٦٤.

(٣) سورة يوسف، آية ٤١ - ٤٢ - ٥٠.

المعنى الثالث: بمعنى المالك؛ وقد استعملت بهذا المعنى كثيراً.

ومنه قول عبد المطلب في قصة أصحاب الفيل: أنا ربُّه وللبيت ربّ^(١). وقول الإمام الكاظم عليه السلام في رواية آداب المائدة وغسل اليد: يبدأ برب البيت لكي ينشط الأضياف.

وقد يجيء بمعنى المطاع كما في قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَعْبَادَهُمْ وَرَبَّهُمْ أَزْكَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٢) كما يستفاد من كلمات الإمام الباقر عليه السلام والإمام الصادق عليه السلام في هذه الآية^(٣). وهذه المذمة حصلت لهم لأنهم أطاعوا مَنْ خالف نهج الحق والحقيقة، وغيروا حلال الله وحرامه. ويجيء بمعنى السائس والمدبر والمصلح والسيد كما في كتب اللغة وغيرها^(٤).

وعلى ما تقدّم (غير المعنى الأول) يظهر معنى كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام حين سُئل عن دابة الأرض^(٥) فقال: هو ربّ الأرض الذي

(١) مستدرک الوسائل، ج ٩، ص ٣٣٨، ح ٦ [١١٠٣٦].

(٢) سورة التوبة، الآية ٣١.

(٣) الكافي، ج ١، ص ٥٣، ح ١ و ٣.

(٤) لسان العرب، ج ١، ص ٣٣٩؛ معجم مقاييس اللغة، ج ٢، ص ٣٨١؛ أقرب الموارد، ج ٢، ص ٣٣٤؛ مناهج البيان، الجزء الأول، ص ١١٠.

(٥) ذكرت «دابة الأرض» في القرآن في سورة النمل، الآية ٨٢ وهي من أشراط الساعة ﴿وَلَمَّا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ وفي كتب التفاسير مثل تفسير البرهان، ج ٧، ص ٢٩٢، ح ١؛ ونور الثقلين، ج ٥، ص ٢٩٧؛ وكتب روائية أخرى في روايات كثيرة أن دابة الأرض التي تخرج من القبر وتكلم الناس هو مولى الموحدين علي بن أبي طالب عليه السلام.

في الرد على المستدلين بالآيات المتشابهة على نفي الولاية التكوينية ٢٠٥

تسكن الأرض به. قال الراوي: قلت: يا أمير المؤمنين من هو؟ قال: صديق هذه الأمة وفاروقها وربها^(١). أي عن نفسه بذلك.

وتأتي كلمة «الرب» في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ بهذا المعنى كما ورد في تفسير القمي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: رب الأرض يعني إمام الأرض، فقلت فإذا خرج يكون ماذا قال: إذا يستغني الناس عن ضوء الشمس ونور القمر ويجتزون بنور الإمام^(٢).

ومما ذكرنا ظهر تأويل قوله تعالى: ﴿رُجُوءُ نَازِرَةٍ﴾ (٣٢) إِنَّ رَبَّهَا نَازِرَةٌ^(٣). فيمكن أن يكون المعنى في الآية ناظرة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وإلى الإمام عليه السلام في القيامة، فإن المؤمنين ينظرون إليهم. أو يكون المراد الناظرة بمعنى المنتظرة كما في نص القرآن والرواية ففي سورة النمل الآية ٣٥ ﴿فَنَازِرَةٌ يَمْ رَجْعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ حين أرسلت ملكة مباحاً هدية إلى النبي سليمان تنتظر جوابه. وقد أخطأ من زعم رؤية الله في يوم القيامة مستنداً بهذه الآية.

ومن الآيات التي استدل بها على نفي الولاية التكوينية قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ (٤١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ^(٤).

في تفسير القمي أي: فعظ يا محمد صلى الله عليه وآله، إنما أنت واعظ لست بحافظ ولا كاتب عليهم^(٥). قال في مجمع البحرين المصيطر والمصيطر:

(١) بحار الأنوار، ج ٥٣، ص ٦٩، ح ٦٦ (باب ٢٩ الرجعة).

(٢) تفسير القمي، ج ٢، ص ٢٥٦؛ تفسير سورة الزمر، الآية ٦٩.

(٣) سورة القيامة، الآيتان ٢٢ و ٢٣.

(٤) سورة الغاشية، الآية ٢١ - ٢٢.

(٥) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤٤٩، تفسير سورة الغاشية، الآية ٢١ - ٢٢.

المسلط على الشيء ليشرف عليه ويتعهد أحواله ويكتب علمه^(١). ولست يا رسول الله ﷺ بمتسلط تسلط الملوك فتجبرهم على قبول الدين كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾^(٢) أي لست بمجبرهم على قبول الدين، بل إن ذلك باختيارهم: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾^(٣).

ومن الآيات قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾^(٤) والاستدلال هو بنفي الزعامة والولاية عن رسول الله ﷺ الذي لا يعلم ماذا يجري بالملأ الأعلى وتأييدهما الآيات النافية لعلم النبي ﷺ بالمنافقين، وأن لا علم له سوى ما علمه عبر الوحي.

أقول: وجه الجمع بين هذه الآيات وغيرها الدالة على علم النبي ﷺ بالغيب^(٥) كحديث المعراج^(٦) الوارد في ذيل هذه الآية وسائر الروايات المتواترة الواردة في علم النبي ﷺ هو نفي العلم الذاتي إلا بوحي من الله تعالى. ثم قد صرح القرآن أنه كُشف لإبراهيم الخليل عن ملكوت السماوات والأرض^(٧) فرأى ما رأى فكيف لا يكون ذلك لرسول الله محمد ﷺ وهو

(١) مجمع البحرين، ج ٢، ص ٣٧٠.

(٢) سورة ق، الآية ٤٥.

(٣) سورة الكهف، الآية ٢٩.

(٤) سورة ص، الآية ٦٩.

(٥) وقد ذكر المصنف ذلك بالتفصيل في كتاب (علم الغيب) ص ١٨٥ - ٢٠٨، فراجع.

(٦) بحار الأنوار، ج ١٨ ص ٢٨٢ (باب ٣ إثبات المعراج ومعناه وكيفيته وصفته وما جرى فيه ووصف البراق).

(٧) سورة الأنعام، الآية ٧٥: ﴿وَكَذَلِكَ رُؤِيَ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ

في الرد على المستدلين بالآيات المتشابهة على نفي الولاية التكوينية ٢٠٧.....

أفضل عند الله وأكرم عليه من سائر أنبيائه؟ ثم هل يمكن تكذيب حديث المعراج وقد أخبر عنه القرآن الكريم؟^(١) ثم كيف لا يعلم رسول الله عدد المنافقين وأسماءهم، وكان ﷺ قد علم حذيفة بن اليمان ذلك (كما في الحديث المشهور)^(٢)، فكانت صفته البارزة التي ميزته عن سائر الصحابة؟ فلكني نفهم هذه الآية، لا بد وأن نجمع بينها وبين قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا تَمْتَدِرُوا أَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ بَيَّنَّا اللَّهُ مِنْ أَنْبَاءِكُمْ﴾^(٣) وقوله تعالى: ﴿فَلَعَرَفْنَهُمْ﴾ (أي المنافقين) ﴿يَسْمَعُهُمْ وَلَعَرِفْنَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾^(٤) فنقول: إن الآية في مقام نفي العلم الذاتي عن رسول الله، وهكذا سائر الآيات النافية لعلم النبي ﷺ بالغيب لا بد من حملها على هذا الوجه.

ومن الآيات المستدل بها على نفي الولاية التكوينية، قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾^(٥). فالفارق بين رسول الله ﷺ وبين سائر الناس هو الوحي، والوحي منحصر في الأمور التشريعية فقط فلا يكون دليلاً على الولاية في الأمور التكوينية.

أقول: إن كان المقصود من قوله: ﴿أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ المثلية في الخلق بمعنى مخلوق مثلكم أي أكل كما تأكلون، وأشرب كما تشربون، فلست ملكاً عليكم ولكن ربي خصني بالنبوة دونكم، فهو معنى صحيح. وإن كان المقصود من العبارة المثلية في الذات والسيرة والآثار والخصائص

(١) سورة الإسراء، الآية ١.

(٢) تفسير فرات الكوفي، ص ٩٤، ح ٣٤ [٧٨] في ذيل آية ١٤٤ من سورة آل عمران.

(٣) سورة التوبة، الآية ٩٤.

(٤) سورة محمد، الآية ٣٠.

(٥) سورة الكهف، الآية ١١٠.

الجسمية، فيرد عليه - إضافة إلى اختصاصهم بالرسالة وهي أهم الوجوه المميزة لهم - الأخبار الواردة في كيفية خلقه أبدان أهل البيت عليه السلام وروايات الطينة^(١) وأن طينتهم مخلوقة من عليين، وكذلك الأخبار الواردة في كيفية ولادتهم ورضاعهم وأن لأبدانهم خصائص منها: أن ليس لأبدانهم ظل^(٢)، وأن باستطاعتهم النظر إلى خلفهم كما ينظرون إلى أمامهم^(٣)، وكذلك الروايات الواردة في خلقه أرواح شيعتهم وأنها خلقت من فاضل طينة أبدانهم عليهم الصلاة والسلام.

إذن، فرسول الله ﷺ في البشرية مثل البشر، والوحي إليه لا ينحصر في التشريع بل يعمّ المغيبات والعلم بجميع الأمور في نظام التكوين، وما يريده الله فإنه يوحي إليه.

ومن الواضح إن الله أفاض عليه العلم بحيث يعلم جميع الأمور، فلا تنفي هذه الآية الولاية التكوينية لرسول الله ﷺ بمعنى إجراء جميع الأمور في نظام التكوين على يديه.

(١) وهذه الروايات قد تجاوزت حد التواتر، ففي كتاب الكافي، ج ١، ص ٣٨٩ باب خلق أبدان الأئمة وأرواحهم وقلوبهم عليهم السلام؛ وبصائر الدرجات، ج ١، ص ٥٠، باب ٩ (الجزء الأول في خلق أبدان الأئمة عليهم السلام وقلوبهم وأبدان الشيعة)؛ وفي بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ١، باب ١ من كتاب الإمامة؛ ج ٥، ص ٢٢٥، باب ١٠ من كتاب العدل والمعاد؛ ج ٦٧، ص ٧٧، باب ٣ من كتاب الإيمان والكفر؛ وفي سفينة البحار، ج ٥، ص ٣٦٧ في لغة «طين»؛ ومستدرک سفينة البحار في لغة «طين»، ج ٦، ص ٦٢٣ تفصيل ذلك.

(٢) الكافي، ج ١، ص ٤٤٢، ح ١٠.

(٣) نفس المصدر، ص ٣٨٨، ح ٨.

ومن الآيات المستدل بها على نفى الولاية التكوينية قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغْيَرُ اللَّهَ أَخِيذُ وَإِنَّا فَاعِلُونَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطِيعُ وَلَا يَطَعُهُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١) فالآية تبين أن من يتخذ لنفسه ولياً في الأمور التكوينية غير الله فهو مشرك.

أقول: النتيجة المأخوذة من هذه الآية غير صحيحة فيمكن أن تكون الآية في مقام تبين مهمة النبي الشخصية وهي إنكار اتخاذ غير الله ولياً. فرسول الله ﷺ الذي هو أفضل الخلق وواسطة الفيض وأول المسلمين وأول العابدين، كيف يتخذ غير الله مالكاً وسيداً ومتولياً لأمره!! والولي في الآية مطلق لا قيد فيه للولاية التكوينية أو التشريعية، والآية بصدد نفي اتخاذ الرسول ﷺ غير الله ولياً سواء في الأمور التشريعية أو الأمور التكوينية.

والآية ليست في مقام إنكار مطلق اتخاذ الولي، والأوصياء إذا كانوا منصوبين من قبل الله، فاتخاذهم أولياء هو فرع لاتخاذ الله ولياً، فلا دلالة للآية على ما ادعاه المستدل، وفي الدلالة الاحتمالية كفاية.

وإذا كان طلب جعل الولي غير الله باطلاً، فلماذا يطلب المؤمنون ذلك من الله ﴿وَأَجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَإِيَّاكَ وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾^(٢) ويجيبهم الله إلى ذلك بدل أن يردعهم عنه بحجة أن فيه شائبة الشرك. ولقد أنزل الله آية الولاية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾^(٣). وأثبت للرسول ﷺ والإمام عليه السلام

(١) سورة الأنعام، الآية ١٤.

(٢) سورة النساء، الآية ٧٥.

(٣) سورة المائدة، الآية ٥٥.

الولاية فيكون المراد من الآية الأولى ﴿قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَحْسَدُ وَلِيًّا﴾ إن لم يكن تحديداً لمهمة النبي المرتبطة بشؤونه الخاصة فإن معناه أن ليس لرسول الله مولى ومالكاً حقيقياً ومستقلاً سوى الله.

وكما لا ملكية حقيقية لأحد سوى الله، كذلك لا ولاية حقيقية لأحد سوى الله ولمن يجعله الرب ولياً كالنبي محمد ﷺ، فهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم بنص القرآن المجيد، وبعد رسول الله وصيه أمير المؤمنين والأئمة الهداة عليهم السلام هم الولاة والموالي، ولهم الأولوية على المؤمنين من أنفسهم، أوجب الله لهم ذلك، وهم المعنيون في هذه الآية ﴿يَحْنُ أَوْلِيَاكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (١). (٢).

كما أن الأب والجَد من الأب له من الله تعالى الولاية.

وخلاصة القول:

لا ولاية لأحد على غيره إلا بجعل وتولية من الله تعالى، وبمقدار ما يجعل الله له الولاية.

كذلك يجري الكلام في الآيات التي هي نظائر وأشباه هذه الآية كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَاتَخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِشَيْءٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ (٣).

هذه الآية في مقام ذم الذين اتخذوا لأنفسهم أولياء من دون الله ومن

(١) سورة فصلت، الآية ٣١.

(٢) تفسير القمي، ج ٢، ص ٢٦٩؛ بصائر الدرجات، ج ١، ص ١٩٢، ح ١٨ (الجزء الثاني، باب ١٨). في الأئمة وأن الملائكة تدخل منازلهم. بحار الأنوار، ج ٢٤، ص ٢٦، ح ٣ (باب ٢٥ من كتاب الإمامة).

(٣) سورة الرعد، الآية ١٦.

في الرد على المستدلين بالآيات المتشابهة على نفي الولاية التكوينية ٢١١.....

دون الإذن منه في اتباع الولي ويعلمون أنهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً إلا بما ملكهم الله عز وجل وخيرهم فيه .

كذلك قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِ آلِهَاتٍ﴾^(١).

ففي قراءة أمير المؤمنين عليه السلام وجمع آخر «حَسْبُ» بسكون السين وضم الباء فيكون المعنى هل يكفي لنجاة الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء؟

في تفسير القمي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: هما الجبت والطاغوت وأشياعهما الذين اتخذوهما من دون الله أولياء وكانوا يرون أنهم بحبهم إياهما أنهما ينجانهم من عذاب الله وكانوا بحبهما كافرين .

قلت: قوله ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لَهُمُ لِلْكَافِرِينَ نَزْلًا﴾^(٢) أي منزلاً، فهي لهما ولأشياعهما عتيدة عند الله، قلت: قوله نَزْلًا. قال: مأوى ومنزلاً^(٣).

وما أردنا إثباته من الولاية التكوينية للنبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت صلى الله عليه وآله أن لهم العلم والقدرة والإرادة على جميع الخلق. ولا يخفى أنهم صلوات الله عليهم لا يخلقون من العدم شيئاً؛ فصفة الخالقية لا من شيء (الخلق الإبداعية) مختصة بالله، فالنبي صلى الله عليه وآله والإمام صلى الله عليه وآله لا يخلقون من العدم بل لا يخلقون إلا من الشيء والمادة^(٤) سواء كانت المادة محسوسة أو غير

(١) سورة الكهف، الآية ١٠٢ .

(٢) سورة الكهف، الآية ١٠٢ .

(٣) تفسير القمي، ج ٢، ص ٤٦ .

(٤) وقالت فاطمة الزهراء سلام الله عليها: (خلقها) لا من شيء كان قبلها وانشأها بلا =

محسوسة بالحس الظاهري والعادي. وقد سمي هذا الفعل بالخلق في القرآن والروايات وكتب اللغة. ففي القرآن سمي الله نفسه: ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(١). ويأبى البعض أن يسمي ذلك بالخلق ويسميه الصنعة، وكلا الإسمين يطلقان على الله عز وجل.

فلا تنافي قوله تعالى في هذه الآيات ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٢) ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ﴾^(٣)، ﴿إِنَّا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ﴾^(٤)، أن يجعل الله الولاية للنبي ﷺ والأئمة عليهم السلام، ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُعْمِلُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ ذَاكِرُونَ﴾^(٥) اتفق علماء الشيعة والسنة أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام حين تصدق وهو راع بخاتمه للسائل المسكين^(٥).

قال المصنف المذكور^(٦): إن الآية بدلالة ضمير «كم» في «وليكُم» تخص المخاطبين بالخطابات الشفاهية زمن نزول الآية ولا تشمل من لم يقصد إفهامه بالخطاب كأمثلنا في هذا اليوم.

= احتذاء أمثلة إمتثلها. بحار الأنوار، ج ٢٩، ص ٢٢٠. قال الإمام الصادق عليه السلام لا يكون الشيء من لا شيء إلا الله تعالى، بحار الأنوار، ج ٤، ص ١٤٨ (باب ٥) (المترجم).

(١) سورة المؤمنون، الآية ١٤.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٥٧.

(٣) سورة الأنعام، الآية ٥١.

(٤) سورة المائدة، الآية ٥٥.

(٥) الكافي، ج ١، ص ٢٨٨، ح ٣؛ شواهد التنزيل، ج ١، ص ٢٠٩، ح ٢١٦.

(٦) المستدل بالآيات القرآنية على نفي الولاية التكوينية.

في الرد على المستدلين بالآيات المتشابهة على نفي الولاية التكوينية ٢١٣

وقد مرّ نظير آيات الولاية وهي آيات الملكية التي تتحدّث عن ملكية الله عزّ وجلّ للسموات والأرضين وملكيته للخلق بأجمعهم، وهناك آيات أثبتت الملكية للمخلوق وهذه الملكية هي من واضحات العرف والعقل فإن الله ملكيته ذاتية وملكية العبد بالعرض، فهي من الله محدودة بحدود معينة .

كذلك لا تنافي بين الآيات الحاكية أن الله يشهد ويحفظ أعمال خلقه وبين الآيات الدالة أن الله في خلقه حقّاً وحفظاً، وهكذا يجري الكلام في آيات الولاية أيضاً فإن الله وليّ ومولّى بالذات، وولاية النبي ﷺ والإمام عليه السلام مجعولة ومحدودة بجعل الله عزّ وجلّ. قال تعالى في آخر سورة الإسراء:

﴿وَلَوْ يَكُنْ لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ لَوَيْلٌ لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذَّلِيلِ﴾^(١) وقيد «من الذل» شاهد على أنه لم يذلّ فيحتاج إلى وليّ فينصره، ولم ينفِ مطلق الولي والأولياء بل قال في موضع آخر: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢).

ومن الآيات التي استدلت بها لنفي الولاية التكوينية قوله تعالى:

﴿قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾^(٣).

﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾^(٤).

(١) سورة الإسراء، الآية ١١١.

(٢) سورة يونس، الآية ٦٢.

(٣) سورة الأنعام، الآية ٦٦.

(٤) سورة الأنعام، الآية ١٠٧.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾^(١).

﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾^(٢).

فقال: الوكيل بمعنى الحفيظ.

وقد احتج المستدل بإطلاق الآيات ولا يرى حاجة للرجوع إلى بيان العترة فادعى أن النبي ﷺ ليس وكيلاً على الناس وعليهم أن لا يتخذوه وكيلاً؛ لقوله تعالى: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾.

أقول: بناءً على هذا الرأي، لابد أن نلتزم بأن جميع أخبار أبواب الوكالات وكلمات العلماء في كتبهم الفقهية ورسائلهم العملية تخالف آيات القرآن الكريم! وهذه النتيجة إنما هي حصيلة تفسير القرآن بالرأي من دون ملاحظة سائر الآيات والروايات المتواترة.

فنقول في معنى هذه الآيات: يُطْلَق الوكيل على الله وله معانٍ أربعة:
الأول: الكافي لشؤون خلقه.

الثاني: الموكل به أمور الخلق.

الثالث: الكفيل بأرزاق عباده والقائم بمصالحهم.

الرابع: مأوى وملجأ عباده والمستضعفين منهم.

خلاصة القول:

إن الله هو المستقلّ بذاته في كفاية عباده وكفالة أرزاقهم، والحفيظ عليهم من غير حاجة إليهم، ولا اتخذ شريكاً له في ذلك. وبهذا المعنى،

(١) سورة الإسراء، الآية ٥٤.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٢.

في الرد على المستدلين بالآيات المتشابهة على نفي الولاية التكوينية ٢١٥

لا يكون النبي والإمام وكيلين بذواتهم، وهذا المعنى ينفيه الله عن النبي ﷺ ولكن لا دخل لهذا الكلام بالولاية التكوينية في بحثنا هنا، فقول: «والله على كُلِّ شيء وكيل»^(١) أي لا أحد غير الله يكون وكيلًا على كل شيء، فإن المخلوق يوكل في بعض الأمور من دون استقلال.

قال الطبرسي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾^(٢) أي حافظ، ومدبر، وحفيظ على خلقه، فهو وكيل على الخلق^(٣)، ولا يقال وكيل لهم. وتارة يوكل بعض الخلق على بعضهم الآخر من دون استقلال وبحدود معينة كملك الموت فإن الله عز وجل يوكله لقبض أرواح عباده. قال تعالى: ﴿قُلْ يَتُوبُكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي ذُكِّرَ بِكُمْ﴾^(٤).

وقال الطبرسي في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾^(٥)، أي لم أؤمر بمنعكم من التكذيب بآيات الله، وأن أحفظكم من ذلك، وأحول بينكم وبينه، لأن الوكيل على الشيء هو القائم بحفظه والذي يدفع الضرر عنه^(٦). وقيل معناه لست بحافظ لأعمالكم لأجازيكم بها، إنما أنا منذر، والله سبحانه هو المجازي ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾^(٧).

(١) سورة هود، الآية ١٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٠٢.

(٣) مجمع البيان، ج ٤، ص ١٢٧.

(٤) سورة السجدة، الآية ١١، للتفصيل يمكن للقارئ مراجعة بحار الأنوار، ج ٥٦، ص ١٤٤ (باب ٢٣: حقيقة الملائكة وصفاتهم وشئونهم وأطوارهم).

(٥) سورة الأنعام، الآية ٦٦.

(٦) مجمع البيان، ج ٤، ص ٧٩ (ذيل الآية ٦٦ من سورة الأنعام).

(٧) سورة الكهف، الآية ٢٩.

فدلالة الآية التي تنفي الوكالة عن النبي ليست بأكثر مما أوردناه .

ومن الآيات التي استدلت بها لنفي الولاية التكوينية قوله تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ﴾^(١) .

وكما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير الآية قال عليه السلام : هي لنا أهل البيت^(٢) .

ثم قال (المستدل للنفي) : وهي صريحة في عدة أمور .

الأول : إن الأئمة عليهم السلام خلفاء كسائر الخلفاء السابقين من الأنبياء وكانت مهمة الأنبياء والأوصياء نشر الأحكام، فكذا الأئمة عليهم السلام ولايتهم محدودة في نظام التشريع لا في نظام التكوين .

الثاني : إن التمكين الإلهي في نشر الدين سيتحقق لهم فيما بعد، أما اليوم فهم غير ممكنين لذلك .

ثالثاً : إن خلافتهم محدودة في الأرض لا في كل العالم .

أقول : أما قوله إن الآية جارية في الأئمة فصحيح ، وأما قوله إن هذه الآية : ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ جارية في الأنبياء والأوصياء فيرد عليه : أن ظاهر الآية عامة لا اختصاص لها بالأنبياء والأوصياء وإن

(١) سور النور، الآية ٥٥ .

(٢) في تفسير الصافي والقمي في ذيل هذه الآية . وتفسير نور الثقلين، ج ٥، ص ١٧٠ ،

ح ٢١٧؛ البرهان، ج ٤، ص ٨٩، ح ٢ [٧٦٩٥] .

في الرد على المستدلين بالآيات المتشابهة على نفي الولاية التكوينية ٢١٧.....

وردت رواية ضعيفة^(١) قيدتهم بالأوصياء فقط فلم يرد في أي من الأخبار ذكر للأنبياء قط . ولو فرضنا دخول الأنبياء في الآية ، فالمراد منهم من كانت له خلافة ظاهرية كهارون عليه السلام خليفة موسى وداود وسليمان عليه السلام .

ثم إن التمثيل بين خلافة الأئمة وخلافة أوصياء الأنبياء السابقين وإن كانت مقارنة صحيحة في أصل الخلافة بمعنى أن الله تعالى كما وهب للماضين الخلافة كذلك سيجعل للأئمة خلافة ظاهرية فيما بعد ، ولكنه يختلف عنه بالحدود وبالدرجة وبالكيفية ، والتمثيل بالخلافة في هذه الآية كالتمثيل برسالة الرسول الأعظم ﷺ ورسالة النبي موسى بن عمران عليه السلام في آية أخرى^(٢) حيث التمثيل هو في أصل الرسالة لا في حدودها كما هو واضح .

ثم كيف يمكن المقارنة بين خلافة الأئمة عليهم السلام وخلافة أوصياء الأنبياء السابقين وقد امتاز الأئمة عنهم بالملك العظيم والعلم الواسع ، حتى لو قيس علمهم وقدرتهم بعلم وقدرة سائر الأوصياء - كما مر فيعلم وقدرة آصف وصي سليمان - لكان بمثابة القطرة في البحر .

وخلافة أهل البيت عليهم السلام الحققة وتمكنهم في الأرض سيتحقق عند ظهور القائم (عج) ، فيرجع أهل البيت عليهم السلام إلى الدنيا ، فتكون لهم السلطنة والولاية والخلافة والإمارة ، وبذلك وردت نصوص شريفة .

ثم إن هناك عدة نقاط غفل عنها المستدلّ بالآية على النفي كتبدّل الخوف إلى الأمن في الأرض^(٣) ، الذي سيكون عند ظهور صاحب

(١) تفسير الصافي، ج ٣، ص ٤٤٤؛ تفسير نور الثقلين، ج ٥، ص ١٧٠، ح ٣١٨ .

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٤٤ .

(٣) دخل أبو حنيفة على الإمام الصادق عليه السلام فسأله الإمام: أخبرني عن قول الله عز وجل=

الأمر، وفي رجعة الأئمة. وأما ذكر الأرض فالوجه فيه - والله العالم - بما أن خلافة الأنبياء الماضين وعدم تمكنهم في الأرض وخوفهم من الأعداء كان في الأرض فجاء التبشير لأهل الأرض بأن عاقبة الخلافة الظاهرية للمؤمنين، والمقصود بالمؤمنين أئمة أهل البيت عليهم السلام ولأن لا وجود للأعداء سوى أهل الأرض، فالموضوع منتفٍ لغيرهم، وسياق الآية غير ناظر إليهم، كما أن «في الأرض» لا يكون قيداً ونظيره قوله تعالى في سورة الرعد: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ﴾^(١) فنفي الشرك عن الله في الأرض لأن أهل الأرض جعلوا الله شريكاً فنزلت الآية تنفي ذلك، لوضوح عدم وجود شريك لله مطلقاً سواء في الأرض أم في السماء أم في موضع آخر.

لا يخفى أن هذه الآية توعدهم بتحقيق الإستخلاف والتمكن من اجراء الأحكام الإلهية في المستقبل وهي لا تنفي الولاية التكوينية والتشريعية لأهل البيت عليهم السلام.

والى هنا نختم الشبهات التي أوردتها المستدلّ بالآيات على نفي الولاية التكوينية لأهل البيت عليهم السلام ونشرع في الرد على مَنْ زعم أن الروايات أيضاً تنفي هذه الولاية عنهم، صلوات الله عليهم.

= ﴿سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا مَّعِينِينَ﴾ سورة سبأ، الآية ١٨، أين ذلك من الأرض؟ قال: أحسبه ما بين مكة والمدينة. فالتفت أبو عبد الله إلى أصحابه فقال: تعلمون أن الناس يقطع عليهم بين المدينة ومكة فتؤخذ أموالهم ولا يؤمنون على أنفسهم ويقتلون؟ قالوا: نعم، قال: فسكت أبوحنيفة. فقال أبو عبد الله عليه السلام: مع قائمنا أهل البيت. بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٩٣ (باب ٣٤). (المترجم).

(١) سور الرعد، الآية ٣٣.

الفصل الثاني

في الرد على المستدلين بالروايات على نفي الولاية التكوينية

وقد استدلل على نفي الولاية التكوينية بظاهر بعض الأخبار. وسوف
نثبت عدم جدوايتها وأنها بعيدة عن مباحث الولاية التكوينية.

الرواية الأولى: ما ورد في دعاء الجوشن «يا من لا يعلم الغيب إلا
هو»، أي لا أحد يعلم الغيب من نفسه، ولكن الرسول ﷺ والإمام ﷺ
يعلمان الغيب بتعليم من الله تعالى كما قال تعالى ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ
عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۖ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾^(١).

ويمكن أن يراد بالغيب كما في خطبة للإمام أمير المؤمنين ﷺ علم
الساعة^(٢).

(١) سورة الجن، الآية ٢٦.

(٢) قال ﷺ ليس هو بعلم غيب وإنما هو تعلم من ذي علم وإنما علم الغيب علم الساعة،
الخطبة ١٢٦ «من كلام له فيما يُخبر به عن الملاحم بالبصرة»، نهج البلاغة،
ص ٢٧٥، طبعة مؤسسة الأعلمي - بيروت.

وقد ذكرت ذلك بالتفصيل في كتابي المسمى بمقام القرآن والعتره ورسالة في علم الإمام بالغيب، فراجع^(١).

المقطع الثاني من الدعاء قوله «يا من لا يصرف السوء إلا هو» فلا أحد بذاته يصرف السوء عن نفسه بغير استعانة من الله والمخلوق بما أقدره الله يستطيع صرف السوء عن غيره لذلك نهى عن فعل الشر ورغب في فعل الخير حتى وصل إلى حد الوجوب في بعض الحالات.

المقطع الثالث من الدعاء قوله: «يا من لا يخلق الخلق إلا هو». بأن يراد من «الخلق» كل الخلائق ليشمل جميع الخلق في مقابل الخالق وخلق ما سوى الله منحصر بالله.

الاحتمال الآخر هو أن يقصد من لفظة الخلق، الخلق الإبداعي من لا شيء أي من دون استعانة بالمادة الأولية. يشير الإمام الصادق عليه السلام إلى هذا المعنى فيقول: «لا يَكُونُ الشَّيْءُ لا من شيء إلا الله»^(٢).

وأما الخلق من الشيء فلا ينحصر بالله تعالى، فيصح إطلاق الخالق على المخلوق أيضاً كما ورد ذلك في القرآن الكريم ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٣) يقول الإمام الرضا عليه السلام في معنى هذه الآية:

فقد أخبر أن في عباده خالقين وغير خالقين، منهم عيسى خلق من الطين كهيئة الطير بإذن الله فنفخ فيه فصار طائراً بإذن الله، والسامري خلق

(١) مقام القرآن والعتره، ص ٨١، الفصل العاشر و ص ١٤٣؛ رسالة علم الغيب، ص ١٨٥.

(٢) بحار الأنوار، ج ٤، ص ١٤٨، ح ٢ (باب ٥ من كتاب التوحيد).

(٣) سورة المؤمنون، الآية ١٤.

لهم عجلًا جسدًا له خوار^(١).

والقرآن الكريم يذكر حكاية الله لعيسى في يوم القيامة ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ^(٢)﴾ ومن الملاحظ في هذه الآيات أن الله تعالى لم ينسب فعل الخلق إلى نفسه وإنما نسب إلى عيسى ابن مريم.

وقال حكاية عن عيسى عليه السلام ﴿أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْتُ بِإِذْنِ اللَّهِ^(٣)﴾ وليس معنى إذن الله فاعلية الله بل هو إذن إلى النبي ﷺ والإمام عليه السلام في فعل ذلك بأنفسهم كما أذن للنبي وفوض إليه كثيراً من الأحكام؛ فقد فرض الله عشر ركعات، وفرض النبي ﷺ سبع ركعات وأضافها إلى العشر فصارت سبع عشرة ركعة^(٤). (مر ذكر الفرق في الواجبين في كتاب أركان الدين)^(٥).

وكذلك في سورة العنكبوت يقول تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ أَفْكَاءَ^(٦)﴾ في معرض حديثه عن المشركين، أي تفعلون كذباً بأن تسموا هذه الأوثان آلهة فتفيد هذه الآية: أن الله تعالى لم يخلق أفعال العباد وأنه بريء من أفعالهم وقد قال سبحانه: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ^(٧)﴾ ولم ترد البراءة

(١) مستدرك سفينة البحار، ج ٣، ص ١٧٠ (في لغة: خلق).

(٢) سورة المائدة، الآية ١١٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٤٩.

(٤) وقد مر الفرق بين الواجبين في كتاب أركان الدين، ص ٨٨ للمصنف.

(٥) أركان الدين، ص ١٠٢.

(٦) سورة العنكبوت، الآية ١٧.

(٧) سورة التوبة، الآية ٣.

من خلق ذواتهم وإنما تبرأ من شركهم وقبائحهم كما روي ذلك عن أبي الحسن الثالث عليه السلام ^(١).

وفي آية أخرى يذكر القرآن حوار النبي لوط مع قومه في قوله ﴿إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْفَالِغِينَ﴾ أي من المبغضين ^(٢). ولو كانت أعمالهم فعل الله لما أبغضها، لأن أنبياء الله لا يبغضون أفعال ربهم.

وقال تعالى في موضع آخر: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ^(٣).

المقطع الرابع: ففي فقرة من فقرات دعاء الجوشن نقراً: «يا من لا يدبّر الأمر إلا هو». أي لا يتبع أمر أحد من خلقه في تدبير شؤونهم ولا ينافي أن يكون في الخلق من يعمل بإذن الله في تدبير أمور عباد الله كما هو صريح القرآن الكريم في قوله: ﴿فَالْمَذِيرَاتُ أَوَّارٌ﴾ ^(٤) وهم الملائكة التي تدبّر الأمور بإذن الله سبحانه، فصَحَّ أن ينسب تدبيرهم إلى الله تعالى.

وذكر الطبرسي في تفسير الآية وجوهاً: ^(٥)

الوجه الأول: أنها الملائكة تدبّر أمر العباد من السنة إلى السنة (ربما

(١) بحار الأنوار، ج ٥، ص ٢٠، قبل ح ٣٠ (كتاب العدل والمعاد).

(٢) تفسير القمي، ج ٢، ص ١٢٤، تفسير سورة الشعراء الآية ١٦٨.

(٣) سورة الشعراء، الآية ٢١٦، وقد مر ذكر ذلك مفصلاً في كتاب مستدرک سفينة البحار، ج ٣، ص ١٧٠ في لغة «الخلق» ومرر ذكر الآيات والروايات المرتبطة بذلك، كذلك في كتاب تاريخ الفلسفة والتصوف، ص ١٠٨.

(٤) سورة النازعات، الآية ٥.

(٥) مجمع البيان، ج ١٠، ص ٢٥٤؛ بحار الأنوار، ج ٥٩، ص ١٧٠.

تكون من ليلة القدر حتى ليلة القدر القادمة) روي ذلك عن أمير المؤمنين عليه السلام^(١).

الوجه الثاني: أن المراد بذلك جبرئيل وميكائيل وملك الموت وإسرافيل عليهم السلام^(٢) يدبّرون أمور الدنيا فأما جبرائيل فموكل بالرياح والجنود، وأما ميكائيل فموكل بالقطر والنبات، وأما ملك الموت فموكل بقبض الأنفس، وأما إسرافيل فهو يتنزل بالأمر عليهم.

الوجه الثالث: أن المراد بها الأفلاك يقع فيها أمر الله تعالى فيجري بها القضاء في الدنيا، رواه علي بن إبراهيم عليه السلام^(٣).

وربما يؤيد هذا الوجه الأخير ما ورد عن علي بن الحسين عليهما السلام في دعائه عند رؤية الهلال، كان إذا نظر إليه يقول: أيها الخلق المطيع الدائب السريع المتردد في منازل التقدير المتصرف في فلك التدبير، آمنت بمن نور بك الظلم^(٤).

وقد يستفاد من الأخبار الدالة على حسن التدبير في الأمور^(٥) أن أمور التدبير قد فوّض إلى الناس فلا تنافي بين الآيات الدالة على تدبير

(١) نور الثقلين، ج ٨، ص ١٠١، ح ١٢.

(٢) كما في تفسير البرهان، ج ١٠، ص ١٧٢، ح ١ [١٣٥٩]، من كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام عن موسى بن جعفر عليه السلام، ج ٢، ص ٢، ح ٢ (باب ٣٠).

(٣) بحار الأنوار، ج ٥٩، ص ١٧٠؛ مجمع البيان، ج ١٠، ص ٢٥٤. أقول: لم يرد تفسير هذه الآية في تفسير علي بن إبراهيم كما يذكره الطبرسي، بل ذكر في متشابه القرآن، ج ١، ص ٣٤. (الترجم).

(٤) الصحيفة السجادية، ص ١٨٢.

(٥) مستدرک سفينة البحار، ج ٣، ص ٢٥٤ (في لغة: دبر).

الله للأمور وآية: ﴿قَالُمَدْرَبَاتِ أَمْرًا ۝﴾^(١) والروايات الدالة على تدبير الناس لشؤونهم، كما أنه لا تعارض بين طائفتين من الآيات في القرآن؛ الآيات الدالة على أن الله هو الحافظ والآيات الدالة أن الملائكة يحفظون الناس، كما أنه لا معارضة بين قوله تعالى: ﴿كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾^(٢) والآيات الدالة أن الله في خلقه أشهاداً وشهداء وشهيداً كما مرّ ذلك في البحوث السابقة.

وفي كتاب الكافي بسند صحيح عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: «اللهم صل على محمد صفيك وخليك ونجيتك المدبر لأمرك»^(٣).

وعن الفيض الكاشاني في المنهاج عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «كلما كان لرسول الله فلنا مثله إلا النبوة والزواج»^(٤).

في الكافي باب تفسير إنا أنزلناه بسند صحيح عن الإمام الباقر عليه السلام قال في حديث: «لا يستخلف رسول الله إلا من يحكم بحكمه وإلا من يكون مثله إلا النبوة»^(٥).

وفي الكافي باب أن الأئمة عليهم السلام بمن يشبهون عن الصادق عليه السلام أنه قال:

(١) سورة النازعات، الآية ٥.

(٢) سورة النساء، الآية ٧٩.

(٣) الكافي، ج ١، ص ٤٥١، ح ٤٠ (باب مولد النبي ﷺ ووفاته).

(٤) بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ٣١٧، ح ٨٣ (باب ٦ من كتاب الإمامة تفضيلهم على الأنبياء...).

(٥) الكافي، ج ١، ص ٢٤٥، ح ١ (باب في شأن إنا أنزلناه في ليلة القدر).

الأئمة بمنزلة رسول الله ﷺ إلا أنهم ليسوا بأنبياء ولا يحلُّ لهم من النساء ما يحلُّ للنبي ﷺ فأمّا ما خلا ذلك فهم فيه بمنزلة رسول الله ﷺ^(١).

المقطع الخامس: ومن فقرات دعاء الجوشن: «يا مَنْ لا يحيي الموتى إلّا هو». أقول لا ريب أن المراد من الإحياء هو الإحياء بالإذن الذاتي الاستقلالي بلا حاجة إلى إذن آخر وهو مختصّ بالله تعالى لأن الرسول وآله ﷺ يخلقون بإذن من الله الذي أقدرهم على ذلك، ولولا عطاؤه لعجزوا عن ذلك.

وتتميماً للفائدة، سنورد هنا بعض فقرات دعاء الجوشن وملاحظتها مع الآيات والروايات لرفع توهم التنافي عنها.

منها كما في الدعاء «يا من لا يُستعان إلّا به» الموافقة لقوله تعالى في سورة الحمد ﴿وَاِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فقد يظهر في بادئ الأمر منها التنافي وقوله: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾^(٢) وهما مثبتان، ولا تنافي بينهما فقد جعل الله تعالى الصبر والصلاة وسيلة للنجاة والخروج من السعة إلى الضيق.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٣).

وللصبر معنى ظاهر واضح وله معنيان باطنان أحدهما الصوم^(٤)

(١) الكافي، ج ١، ص ٢٧٠، ح ٧ (باب ١ في أن الأئمة بمن يشبهون ممن مضى).

(٢) سورة البقرة، الآية ٤٥.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٥٣.

(٤) بحار الأنوار، ج ٩٦، ص ٢٥٤، ح ٣٠.

والثاني رسول الله ﷺ^(١) كما في الروايات، وللصلاة معنى ظاهر وهي الأركان المخصوصة ومعنيان باطنان هما: الصلاة على محمد وآل محمد، وولاية أمير المؤمنين عليه السلام، وقد أكدت الروايات هذه المعاني ودعت إلى الاستعانة بالصبر والصلاة^(٢).

ولو كان طلب الاستعانة من غير الله حراماً، لما طلب ذو القرنين ذلك حين سَدَّ الطريق على يأجوج ومأجوج طلب الإعانة من القوم فقال: ﴿فَاعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾^(٣) أي بفعله أو بما أنقوى به من الآلات^(٤).

ولو كان طلب الاستعانة من غير الله حراماً، لما دعا إليه القرآن في قوله ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾^(٥).

والتعاون على أمور الخير؛ كالعفو والإغضاء ومتابعة الأمر لا التعاون على المعصية؛ كالتشفي والانتقام.

وقد تجب الإعانة أو تستحب أو تحرم باختلاف الموارد.

وقد وصف الله تعالى في آيات عديدة من الكتاب العزيز نفسه بخير الرازقين كما في سورة المائدة ١١٤ والحج ٥٨ والمؤمنون ٧٢ والجمعة ١١. وهو نظير قول أحسن الخالقين فيجري فيه استدلال الإمام الرضا عليه السلام^(٦).

(١) بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ٢، ح ١ (باب ١٤).

(٢) مستدرک سفينة البحار، ج ٦، ص ٣٧١ (لغة صلى).

(٣) سورة الكهف، الآية ٩٥.

(٤) بحار الأنوار، ج ١٢، ص ١٧٢ (باب ٨ قصص ذي القرنين).

(٥) سورة المائدة، الآية ٥.

(٦) بحار الأنوار، ج ٤، ص ١٤٧، ح ١ (باب ٥ من أبواب الصفات).

وفي كلا الصفتين دلالة أن في عباده خالقين ورازقين ولكن الله بذاته القدوسة يخلق الخلق ويرزقهم وهو أوسع المعطين، والمخلوق (بما أقدره الله) يخلق من شيء. فكل صانع فمن شيء صنع، وصانع الأشياء لا من شيء صنع كما أنه يتنعم وينعم على الآخرين بنعم الله تعالى فصَحَّ إطلاق الخلق والرزق على المخلوق بالمعنى الذي أوردناه فلا تنافي الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْتَمِيمُ﴾ (٥٨) ^(١) قوله تعالى ﴿خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ ^(٢) الدالّ على أن الله في عباده رازقين.

وهناك شاهد آخر على صحة إطلاق صفة «الرازق» على المخلوق هو أمر الله عزّ وجلّ حيث يقول: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ ^(٣).

وقال في موضع آخر بالنسبة إلى السفهاء الذين لا يملكون رشدهم ﴿وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ ^(٤) ﴿وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ فصفاة أحسن الخالقين، وخير الرازقين، كخير الناصرين وخير الراحمين وخير الحافظين، لا تنافي مرتبة من مراتب التوحيد، فإن العالم بالذات والقادر بالذات والمالك للنعم كلها بالذات هو الله عزّ وجلّ هو القيوم على الخلق وليس لخلقه استقلالية، كل ما لديه هو ملك الله ومن الواضح أن لا تنافي بين ملكية الله الحقيقية وملكية المخلوقات.

وفي خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام يصف فيها آل محمد (الأئمة

(١) سورة الذاريات، الآية ٥٨.

(٢) سورة المائدة، الآية ١١٤.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٣٣.

(٤) سورة النساء، الآية ٥.

الأطهار عليهم السلام) يقول عنهم: هُم موضعُ سرِّه، وَلَجاً أمره وَعَيْبَةُ علمه وموئلُ حُكمه وكهفُ كتبه وجبال دينه، بهم أقام انحناء ظهره، وأذهب ارتعاد فرائضه، إلى أن قال: لا يُقاس بآلِ محمد أحدٌ من هذه الأُمَّة ولا يُسَوَّى بهم من جَرَتْ نِعَمَتُهُمْ عَلَيْهِ أبداً، هُم أساسُ الدين وعمادُ اليقين إليهم فيفِيءُ الغالي وبهم يَلْحَقُ التالي وَلَهُمْ خصائصُ حَقِّ الولاية وفيهم الوَصِيَّةُ والوراثَةُ^(١).

وقد شرح العلامة الخوئي^(٢) هذه الخطبة الشريفة بالتفصيل وفصل القول في مفرداتها فقال: إن في هذه الخطبة موارد للتأمل، منها:

أنهم، صلوات الله عليهم، أولياء النعم على الخلق بما فيهم النعم الظاهرية والباطنية، المادية والمعنوية، ثم إن النعم التي تجري بسببهم على العباد أبدية لا زوال فيها ولا انقطاع، ولا يقاس بآل محمد عليهم السلام سائر الناس لأن بهم ينعم الناس والمنعم أفضل من المنعم عليه.

فكما أن البناء لا يقوم إلا على أسس وقواعد رصينة، كذلك هم آل محمد عليهم السلام فهم أساس الدين وبهم يدوم.

وهم عماد اليقين أي ثبات وبقاء يقين المتدينين ببركة وجودهم فإن رفع الشبهات ودفع الشكوك يتم بهم، وهم ميزان الحق.

ولا تنافي في كلام أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: «إنه ليس على الإمام إلا ما حُمِّل من أمر ربّه: الإبلاغ في الموعظة والاجتهاد في النصيحة،

(١) بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ١١٧ (باب ٧ ح ٣٢)؛ نهج البلاغة، خطبة ٢، ص ٤٤ (بعد انصرافه من صفين وفيها حال الناس قبل البعثة وصفة آل النبي عليهم السلام).

(٢) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ٢، ص ٣٠٢.

والإحياء للسنة، وإقامة الحدود على مستحقّيها، وإصدارُ السهمان على أهلها»^(١). ومقامات وفضائل الأئمة الهداة، إذ ليس فيه بيان تحديد وظائف ومناصب الإمام.

فأولاً: ما أجراه الله تعالى اليهم من النعم والكرامات^(٢) فعلى الظاهر هو في ما بينهم وبين الله تعالى ولا يرتبط بالمجتمع الإسلامي والموارد المذكورة في كلام الإمام لبيان وظيفة الإمام وطريقة تعامله مع المجتمع الإسلامي وعموم أفراد الرعية، ولا يرتبط بمقاماتهم وفضائلهم، كما لا يُرتبط بوظيفة الإمام في أمر الله تعالى. وإذا كانت قيادة الأمة بيد غير الإمام فكيف للإمام أن يقيم الحدود أو يصدر السهمان على أهلها؟

وثانياً: قوله ﷺ «ما حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ» لا يختص بإبلاغ الأحكام الشرعية فحسب وإنما يعم كل ما لدى الأئمة ﷺ من مقامات ظاهرية وباطنية فإنها من الله تعالى وكلها بأمر الله الذي حملهم ذلك ودلالة العبارة تشمل جميع النعم والألطف الربانية التي حملهم الله تعالى إياهم، وليس في العبارة ما يوهم تعيين الحدود وتحديد الوظائف والمناصب فحسب بحيث من يضيف عليها شيئاً يكون غالياً.

وقوله: «الإبلاغ في الموعظة و...» يدل كما عن النُحاة «البعض من الكل» إذ الإمام في مقام بيان بعض الآثار التي حملها الرب عليهم وما ذكره من المهام الخمس هنا من باب المثال: كالإبلاغ في الموعظة،

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٠٥، ص ١٥٢.

(٢) قال تعالى: ﴿هَكَذَا عَظَاؤُنَا فَأَمَّنْ أَوْ أَمِيكَ يَغِيرُ حِسَابُ﴾ سورة ص، الآية ٣٩.

والإجتهاد في النصيحة، وإحياء السنّة، وإقامة الحدود، وتقسيم الأموال في إطارها المشروع.

وثالثاً: لا يخفى أن الإبلاغ في الموعظة وإحياء السنّة يتم تارة بالقول وتارة بفعل المعجزة وإعمال قدرة الرسالة والإمامة كما طبق رسول الله ﷺ هذه الموارد في المجمع الإسلامي. وبعبارة أخرى فكما أن الإبلاغ في الموعظة والاجتهاد في النصيحة والإحياء للسنّة وسائر مهام النبوة والرسالة لها كيفيات مختلفة بحيث كان النبي ﷺ ينفذ هذه المهام حسب ما تقتضيه المصلحة، فإن الإمام ﷺ أيضاً يقوم بنفس الدور الذي قام به النبي ﷺ فإعمال هذه الوظائف الخمس في المجتمع الإسلامي لا يرتبط بتحديد جميع المناصب أو وظائف مقام الرسالة أو النبوة أو الإمامة.

عن يونس بن ظبيان^(١) قال: كنت مع أبي عبد الله ﷺ فحضر وقت العشاء فذهبْتُ أقوم فقال: اجلس يا أبا عبد الله. فجلست حتى وضع الخوان فسمّى حين وُضع الخوان فلما فرغ قال: الحمدُ لله، اللّهم هذا منك ومن محمد ﷺ^(٢).

وفي كنز الفوائد للكرجكي ذكر أن أبا حنيفة أكل طعاماً مع الإمام الصادق جعفر بن محمد ﷺ فلما رَفَعَ يده من أكله قال: الحمد لله رب العالمين اللهم أن هذا منك ومن رسولك. فقال أبو حنيفة يا أبا عبد الله

(١) ذكر المصنف في كتابه مستدركات علم رجال الحديث، ج ٨، ص ٣٠١ وثيقة وجمالة يونس بن ظبيان.

(٢) بحار الأنوار، ج ٦٦، ص ٣٧٨، ح ٣٨ (باب ١١ التسمية والتحميد والدعاء)، وفي الكافي، ج ٦، ص ٢٩٦، ح ٢٢ عن ابن بكير مثله.

أجعلت مع الله شريكاً؟ فقال له : ويلك إن الله تعالى يقول في كتابه ﴿وَمَا نَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(١) ويقول في موضع آخر: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾^(٢).

فقال أبو حنيفة والله لكأنني ما قرأتها قط من كتاب الله^(٣).

ونظير هاتين الآيتين هنالك آيات تبين فضل رسول الله ﷺ ومقامه عند الله تعالى فقد قرنه الله بنفسه في آياته قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾^(٤)، ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^(٥)، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^(٦)، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٧)، ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾^(٨)، ﴿وَيَنْصَرُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(٩)، ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(١٠)، ﴿فَإِذَا نَاجُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(١١)، ﴿فَتَأْتُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(١٢)، ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^(١٣)، ﴿فَلِالْأَنْفَالِ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾^(١٤)، ﴿وَلَا يُحْرَمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾^(١٥)، ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ

(١) سورة التوبة، الآية ٧٤. (٨) سورة الأنفال، الآية ٢٤.

(٢) سورة التوبة، الآية ٥٩. (٩) سورة الحشر، الآية ٨.

(٣) كنز الفوائد، ج ٢، ص ٣٦؛ بحار (١٠) سورة التوبة، الآية ٩١.

الأنوار، ج ٤٧، ص ٢٤٠، ح ٢٥. (١١) سورة البقرة، الآية ٢٧٩.

(٤) سورة النساء، الآية ٥٩. (١٢) سورة الأعراف، الآية ١٥٨.

(٥) سورة الأحزاب، الآية ٣٦. (١٣) سورة المائدة، الآية ٥٦.

(٦) سورة الأحزاب، الآية ٥٧. (١٤) سورة الأنفال، الآية ١.

(٧) سورة الأنفال، الآية ١٣. (١٥) سورة التوبة، الآية ٢٩.

أَنْ يُرْضَوْهُ^(١)، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾^(٢)، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾^(٣)، ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكَ بِنَاصِيكٍ﴾^(٤) وأمثال ذلك كثير. وقد قرن الله ذكر الأئمة عليهم السلام بذكر رسوله فقال: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٥) (عنى بأولي الأمر أئمة أهل البيت عليهم السلام) وقال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾^(٥).

وقال: ﴿وَقُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ فَسَيَرْضَى اللَّهُ عَنْكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^(٦) (يعني الأئمة عليهم السلام) وقال: ﴿وَلِلَّهِ الْغَنَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٧).

وقال: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(٨) وأنفسنا في آية المباهلة^(٩) تثبت لعلي بن أبي طالب عليه السلام كل ما ثبت لرسول الله صلى الله عليه وآله من الفضائل والكمالات إلا ما خرج بالدليل مثل النبوة والزواج^(١٠)، ويشهد على ذلك ما تقدم وما يأتي قريباً في رواية الاحتجاج وذيلها.

ونستفيد من هذه الآيات أن النعم الإلهية من فضل الله ومن فضل رسوله صلى الله عليه وآله ومن الواضح أن الله هو المالك الأصلي لها وكل ما يعطيه إلى رسوله صلى الله عليه وآله هو عطاء منه وإليه أشار الإمام زين العابدين عليه السلام كما ورد في

-
- | | |
|-----------------------------|--------------------------------------|
| (١) سورة التوبة، الآية ٦٢. | (٧) سورة المنافقون، الآية ٨. |
| (٢) سورة الأحزاب، الآية ٣٦. | (٨) سورة المائدة، الآية ٥٦. |
| (٣) سورة الفتح، الآية ١٠. | (٩) سورة آل عمران، الآية ٦١. |
| (٤) سورة الأنفال، الآية ١٧. | (١٠) بحار الأنوار، ج ٧٨، ص ٣٦٦، ح ٢. |
| (٥) سورة المائدة، الآية ٥٥. | (باب ٢٨ من كتاب الروضة). |
| (٦) سورة التوبة، الآية ١٠٥. | |

الصحيفة السجّادية، حيث قال: «والحمد لله الذي أختار لنا محاسن الخلق وأجرى علينا طيّبات الرزق»^(١).

ومن هذا القبيل الالتجاء إلى الله ورسوله والأئمة الهداة عليهم السلام من شر البليات والمضرات كما ورد ذلك في الأدعية الصادرة عنهم، وقد أوصى سيد الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام إلى كميل بن زياد توكل على الله واذكرونا وسمّ بأسمائنا وصلّ علينا واستعذ بالله بنا وإدراً بذلك عن نفسك وما تحوطه عنايتك، تكفّ شرّ ذلك اليوم إن شاء الله^(٢).

وفي خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله في يوم الغدير:

أنا خاتم الأنبياء والمرسلين والحجة على جميع المخلوقين من أهل السماوات والأرضين فمن شك في ذلك فهو كافر كفر الجاهلية الأولى، ومن شك في شيء من قلبي هذا فقد شك في الكلّ منه، والشاك في ذلك فله النار. معاشر الناس، فضلوا علياً فإنه أفضل الناس بعدي، من ذكر وأنثى. بنا أنزل الله الرزق وبقي الخلق. ملعون ملعون، مغضوب مغضوب من ردّ قلبي هذا ولم يوافقه^(٣).

وفي الزيارات الواردة عن المعصومين أن تخاطبهم وتقول: بكم فتح الله وبكم يختم وبكم يُنزل الغيث وبكم يمسك السماء^(٤). وفي روايات

(١) الصحيفة السجّادية، ص ٢٦.

(٢) بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ٢٦٨، ح ١ (باب ١١ من كتاب الروضة).

(٣) بحار الأنوار، ج ٣٧، ص ٢٠٨ (باب ٥٢) ح ٨٦؛ الاحتجاج، ج ١، ص ١٤٦، احتجاج النبي يوم الغدير على الخلق.

(٤) من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٦١٥، ح ٣، زيارة جامعة لجميع الأئمة عليهم السلام؛ بحار الأنوار، ج ١٠٢، ص ١٣١، ح ٤ (باب ٨ الزيارات الجامعة).

كثيرة عنهم، صلوات الله عليهم، بنا كذا وبنا كذا، منها ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث الأربعمائة يقول: ذكّرنا أهل البيت شفاء من العلل والأسقام ووسواس الريب وجهتنا رضى الرب عز وجل إلى أن قال: بنا يفتح الله وبنا يختم وبنا يمحو ما يشاء وبنا يثبت وبنا يدفع الله الزمان الكلب وبنا يُنزل الغيث^(١).

وفي صلوات أيام شعبان المروية عن مولانا الإمام السجاد عليه السلام اللهم صلّ على محمّد وآل محمّد الكهف الحصين وغيث المضطّرين وملجأ الهارين وعِصْمَةَ الْمُعْتَصِمِينَ...^(٢).

وفي زيارة مفصلة لأمير المؤمنين عليه السلام إلى أن قال وخليفتك الذي به تأخذ وتعطي وبه تثيب وتعاقب^(٣).

قال رسول الله ﷺ: «أنا أبو القاسم، الله يُعطي وأنا أَقْسِمُ»^(٤) وفي حديث المعراج عن النبي ﷺ: «فنوديت يا أحمد إنما كنتك أبا القاسم لأنك تقسم الرحمة مني»^(٥).

الرواية الثانية: دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام في يوم الاثنين:

(١) الخصال للصدوق، ج ٢، ص ٦٢٥، ح ١٠؛ بحار الأنوار، ج ١٠، ص ١٠٤، ح ١ (باب ٧).

(٢) بحار الأنوار، ج ٩٠، ص ٢٠، نوافل يوم الجمعة وفضل ليّتها...

(٣) بحار الأنوار، ج ١٠٠، ص ٢٨٦، ح ١٨ (باب ٤ زيارته صلوات الله عليه المطلقة من كتاب المزار).

(٤) بحار الأنوار، ج ١٦، ص ١١٤، ح ٤٢ (باب ٦ من تاريخ نبينا ﷺ).

(٥) بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٣١٥، ح ٢٦ (باب ٣ من تاريخ نبينا ﷺ) من كتاب المحتضر للحسن بن سليمان.

«الحمد لله الذي لم يُشهد أحداً حين فطر السماوات والأرض ولا اتخذ معيناً حين برأ النّسمات»^(١).

أقول: ويرد عليه إضافة إلى الضعف الموجود في السند بقرينة قوله تعالى: ﴿مَّا أَشْهَدُكُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾^(٢) المقصود به عموم الناس فلا ينافي إشهاد الهادين للخلق والمصطفين من بريته بأن يكونوا شهداء على خلقه وذلك تكريماً لهم لا حاجة منه إليهم أو كونهم شركاء في خلقه، ذلك أن الشرك المحرّم عقلاً هو أن يعتقد الإنسان أنهم يفعلون كل ذلك بأنفسهم من دون استعانة بالله، فإذا كان الخلق والرزق وكل ما يجري على أيديهم بإذن الله وبما تحمّلوه من نور العلم والقدرة وبأمر من الله تعالى، فلا يكون من الشرك. نظير هذه الجملة التي تفيد العموم في الوهلة الأولى والمراد الأصلي منها عموم الناس والرعية لا نفس النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ. قوله ﷺ في أبي ذر: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء ذا لهجة أصدق من أبي ذر^(٣).

الرواية الثالثة: وهي رواية منقولة بطرق ضعيفة لمجهولية رواتها، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لا يكون الشيء لا من شيء إلا الله، ولا ينقل الشيء من جوهريته إلى جوهر آخر إلا الله، ولا ينقل الشيء من

(١) مصباح الكفعمي، ج ١، ص ١٣٣؛ بحار الأنوار، ج ٩٠، ص ١٧٦، ح ٢١ (باب ٩ أعمال الأسبوع وأدعيها).

(٢) سورة الكهف، الآية ٥١.

(٣) بحار الأنوار، ج ١٠، ص ١٢٣، ح ٢ (باب ٨ من كتاب الاحتجاج).

الوجود إلى العدم إلا الله»^(١).

أقول: هذه الرواية وكما أسلفنا الذكر ضعيفة السند لا يعمل بها علماء الحديث، وعلى فرض صحة صدورها عن المعصوم فقد وقع الإشكال في معنى الحديث: حيث قال في معناه نفي التصرف في الخلق من غير الله.

والصحيح في معنى الحديث أن نقول أن الله هو الوحيد المستقل بذاته يمكنه أن يبدل حقائق الأشياء، وأمّا غيره فيأذنه وعطائه يمكنه فعل ذلك أيضاً. وقد حدث ذلك على يد خيرة خلقه من تبدل التراب إلى ذهب، وتحول صورة الأسد المنقوشة على الجدار إلى حيوان مفترس، كما مر ذكر ذلك مفصلاً.

والعبارة الثالثة الشبيهة بكلمات الفلاسفة هي «لا يبدل الوجود إلى العدم إلا الله».

أقول: إن أريد بالوجود حقيقته المناقضة للعدم، فإن أصل الوجود غير قابل للإنعدام. وإن أريد بالوجود الموجود، فلا غرابة في ذلك فيمكن أن يعطي الله القدرة لإنسان في إفناء موجود آخر كما هو واضح، والله على كلّ شيء قدير وبكل شيء علیم ومالكية العباد للقوة والقدرة والاستطاعة بالله تعالى لا مع الله ولا من دون الله تعالى.

الرواية الرابعة: نقل المجلسي في بحار الأنوار عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «الغلاة شرّ خلق الله يصغّرون عظمة الله ويدّعون

(١) بحار الأنوار، ج ٤، ص ١٤٨، ح ٢ (باب ٥ من كتاب التوحيد).

الربوبية لعباد الله، والله إن الغلاة لَشَرُّ من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا»^(١).

أقول: لم يذكر الإمام عليه السلام هنا أنواع الغلو وما به يتحقق وإنما ذمهم بصورة عامة وذكر صفتين من صفات الغلاة، وهما: تصغير عظمة الله، وإدعاء الربوبية لعباد الله، وهذا هو الكفر الصريح. وقد عنى الإمام بالغلاة الذين يثبتون صفة من صفات الرب للمخلوق ويجعلونها ذاتية له كإعطاء صفة الخلق والرزق للمخلوق وجعلها مماثلة لصفة الخلق والرزق في الله.

وأما إن كان إطلاق أسماء الله وصفاته على المخلوقين بنحو الاشتراك اللفظي كما هو صريح الخبر المذكور، فجاز. ففي الكافي^(٢) عن علي بن إبراهيم مسنداً عن الفتح بن يزيد الجرجاني عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: . . . وقلت لا يشبهه شيء والله واحد والإنسان واحد، أليس قد تشابهت الوحداية؟ قال: يا فتح، أحلت ثبتك الله - إنما التشبيه في المعاني فأما في الأسماء فهي واحدة وهي دالة على المسمى.

كذلك هي سائر صفات الله تعالى كالسميع والبصير واللطيف والحكيم والخبير والظاهر والهادي والمتكلم والمريد، فإنها تطلق على المخلوقين أيضاً كما في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَيِّعًا بَصِيرًا﴾^(٣).

فإن الله يهدي بذاته القدوس والعبد يهدي ولكن ببركة النعم الإلهية

(١) بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٢٨٤، ح ٦ و ٣٣ (باب ٩ نفي الغلو في النبي والأئمة).

(٢) الكافي، ج ١، ص ١١٨، ح ١.

(٣) سورة، الإنسان الآية ٢.

الموجودة عنده التي يمتلكها . والله بذاته سميع بصير من دون آلة ، والعبد يسمع بألة ، ويبصر بألة ، وكذلك يجري الكلام في سائر أسمائه ونعوته التي تطلق على نحو الاشتراك اللفظي في الخالق والمخلوق .

وأما التشبيه على نحو الاشتراك المعنوي فهو كفر صريح كما صرح الإمام عليه السلام بذلك ^(١) ، ومعنى التشبيه في الصفات هو أن يطلق لفظ العالم والقادر عليه تعالى ويراد به العلم الذاتي والقدرة الذاتية ، كذلك يطلق بهذا المعنى على من سواه تعالى ممن كان واجداً للعلم والقدرة ^(٢) .

إن من أسماء الله عزّ وجلّ: الرحمان والرحيم والراحم ولا ينافي ذلك مشاركة المخلوق الله بهذه الصفة لأن من الواضح أن صفة الرحمة في الخلق غير صفة الرحمة في الخالق ، فهي في المخلوق من آثار إحسان الله تعالى ، وفي الخالق غيره .

كذلك من أسماء الله : العالم والعليم والعلّام والقادر والقدير ولا ينافي ذلك أن يكون المخلوق عالم وقادر إذ من الواضح أن صفة العلم والقدرة في الله ذاتي والعلم والقدرة في المخلوق عطاء وإحسان منه تعالى .

(١) التوحيد، ص ١٨٥ (باب ٢٩)؛ بحار الأنوار، ج ٤، ص ١٧٢ (باب ٢ معاني الأسماء و...) .

(٢) كما ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام ان العلة في إثبات بعض الصفات لله عزّ وجلّ لنفي النقص والجهل والعجز وامثاله عن ذاته القدوسة ولا نريد أن نثبت بذلك مشاركة المخلوق لله في صفة العلم فنقول كما ان المخلوق عالم كذلك الخالق عالم . والفارق الوحيد هنا هو في هو نفي ذاتية العلم للمخلوقات .

العزیز والمُعِز من أسمائه تعالى ولا ینافی ذلك أن یشکل المخلوق عزیزاً بفارق أن عزة المخلوق عطاء من الله وعزة الخالق ذاتی له . الخالق والخالق والصانع والرازق والرزاق ، الغنی والمُعْنی والمُعْطى من أسمائه عز وجلّ ، ولكنها فی المخلوق من آثار لطفه ومن عوائد إحسانه .

فالخالق یخلق بقدرته الذاتية وغناه الذاتي ، یرزق ویغنی والمخلوق یخلق الشیء من الشیء بالقدره التي أقدره الله والغنی الذي أغناه الله بالجملة ، فإن جمیع نعم وکمالات الخلق هی مواهب الله له ولكن صفات الله هی عین ذاته القدوسة وصفات الفعل أيضاً هی آثار کمالاته الذاتية .

وقد تحدث القرآن عن حدوث الخلق فنسبه تارة إلى الله عز وجل وأخرى إلى عیسی ابن مریم مع فارق أساسي أن الله یخلق الخلق من دون مادة أولیه وبلا حاجة إلى إذن أحد فی ذلك ولا کیفیه لخلقه ، وعیسی ﷺ یخلق بإذن من الله ومن مادة أولیه ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ والله بذاته القدوسة هو السلطان والأمر والولی علی المخلوقین ، بخلاف الولاية والسلطنة والأمریة للنبي ﷺ والإمام ﷺ ، فهم عباد مخلوقون محدودون ، وسلطنتهم وولايتهم من الله تعالى یعطیهم بمقدار ما یرید ولو منع عنهم ذلك فلا یملكون من ذواتهم شیئاً علی الإطلاق . ومن يدعی خلاف ذلك ويدعی أن هذه الصفات ذاتیه لهم ، فقد أثبت صفة الربوبية لهم وهو خارج عن الدین والملة ، ما بکم من نعمة فمن الله ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله ، لا مع الله ولا من دون الله ، بل بالله العلی العظيم .

معاني الغلو

للغلو معانٍ عديدة بیّنتها الروايات وذكرها العلماء ، منها دعوی

الألوهية والربوبية للنبي والإمام، فقد روي أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: السلام عليك يا ربّي. فقال له النبي ﷺ: ما لك لعنك الله، ربّي وربك الله^(١).

وقد دخل على أمير المؤمنين ﷺ قومٌ فيهم عبد الله بن سبأ فقالوا له: السلام عليك يا ربّنا فدعاهم أمير المؤمنين إلى التوبة، فأعرضوا عنه فأمر بهم فأحرقوا.

وفي حادثة أخرى: دخل عشرة على أمير المؤمنين ﷺ وقالوا له: «إنك ربّنا وأنت الذي خلّقنا أو أنت الذي رزّقنا» فمنعهم الإمام عن ذلك وأمرهم بالتوبة وقال ﷺ: أنا عبدٌ مثلكم إن ربي وربكم الله. فأبوا عليه ذلك، فأمر بهم فأحرقوا^(٢).

عن أبي بصير قال: قال لي أبو عبد الله ﷺ يا أبا محمد، إبرأ ممّن يزعم أنا أرباب، قلت: برئ الله منه. فقال إبرأ ممّن يزعم أنا أنبياء. قلت: برئ الله منه^(٣).

وفي التوقيع الخارج عن الإمام الحجة، عجل الله فرجه، ردّاً على الغلاة أنه قال: ليس نحن شركاء في علمه ولا في قدرته بل لا يعلم الغيب غيره كما قال في محكم كتابه تباركت أسماؤه: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾^(٤). وأنا وجميع آبائي من الأولين آدم ونوح

(١) بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٢٩٧، ح ٦١ (باب ٩ من كتاب الإمامة).

(٢) بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٢٩٩، ح ٦٣؛ الكافي، ج ٧، ص ٢٥٧، ح ٨ (باب حد المرتد)؛ والكافي، ج ٧، ص ٢٩٩، ح ٦٣.

(٣) بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٢٩٧، ح ٦٠.

(٤) سورة النمل، الآية ٦٥.

وإبراهيم وموسى وغيرهم من النبيين ومن الآخرين محمد رسول الله وعلي ابن أبي طالب والحسن والحسين وغيرهم ممن مضى من الأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) إلى مبلغ أيامي ومنتهى عصري عبيد الله عز وجل... وإني بريء إلى الله وإلى رسوله ممن يقول إنا نعلم الغيب أو نشارك الله في ملكه أو يُحِلُّنا محلاً سوى المحل الذي نصبه الله لنا وخلقنا له أو يتعدى بنا عما قد فسّرت له وبينته في صدر كتابي، وأشهدكم أن كل من نتبرأ منه فإن الله يبرأ منه وملائكته ورُسُلُه وأولياؤه^(١).

وقال العلامة المجلسي: ^(٢) قد عرفت مراراً أن نفي علم الغيب عنهم معناه أنهم لا يعلمون ذلك من أنفسهم بغير تعليمه تعالى بوحي، أو إلهام، وإلا فالظاهر أنّ عمدة معجزات الأنبياء والأوصياء عليهم السلام من هذا القبيل، وأحد وجوه إعجاز القرآن أيضاً إشتماله على الإخبار بالمغيبات، وقد استثناهم القرآن في قوله تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾^(٣).

أقول: لا شك في تمامية كلام العلامة المجلسي وصحة مقالته ونحن بريئون من كل من يدعي أن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام شركاء لله في علمه وقدرته، ونعني بالشرك هنا أن يثبت للنبي والإمام صفة العلم والقدرة الذاتية ومن دون تعليم من الله العالم القادر. فكما أن علم الله وقدرته عين

(١) الاحتجاج، ج ٢، ص ٥٥١، ح [٣٤٧] احتجاج الحجة القائم المنتظر المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف؛ بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٢٦٧، ح ٩ (باب ٩ نفي الغلو في النبي والأئمة عليهم السلام).

(٢) بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ١٠٣ (باب ٤ أنهم عليهم السلام لا يعلمون الغيب ومعناه).

(٣) سورة الجن، الآية ٢٦ - ٢٧.

ذاته السبوح، فإذا التزم أحد بأن الرسول والإمام علمهم عين ذاتهم فهذا هو الشرك الصريح والله ورسوله والأئمة بريئون ممن يدعي ذلك وكيف يكونون شركاء لله في ملكه وهم عباده رتقهم وفتقهم بيده وهو القيوم عليهم.

فالويل لمن يغالي في أهل البيت فيرفعهم إلى مستوى الألوهية أو يحط من شأنهم فينكر فضلهم ومناقبهم ونحن نُشهد الله أننا براء منهم.

وقد ذكر صاحب كتاب إثبات الهداة في المجلد السابع ص ٤٧٠ عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنه قال: «إن علياً وولده عباد مكرمون مخلوقون مدبرون لا يقدرُونَ إلا على ما أقدرهم الله عليه ربُّ العالمين، ولا يملكون إلا ما ملَّكهم، ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً ولا قبضاً ولا بسطاً ولا حركة ولا سكوناً إلا ما أقدرهم عليه وطوقهم، وإن ربهم وخالقهم جلّ عن صفات المحدثين، ويتعالى عن نعوت المحدودين، وإن من اتَّخذه م أو واحداً منهم أرباباً من دون الله فهو من الكافرين»^(١).

فظهر أن جميع العلوم والكلمات المفاضة إلى النبي عليه السلام والأئمة الأطهار عليهم السلام هو تمليك وعطاء من الله عزّ وجلّ، فهم لا يملكون من ذواتهم شيئاً فهم مربوبون محدودون، وهذا معنى المخلوقية المحلولة. ومن يدّعي أن الأئمة يملكون العلم والكمالات من ذوات أنفسهم فهو مشرك بالله ومنكر لمخلوقيتهم وأنهم عباد مربوبون.

(١) الإحتجاج، ج ٢، ص ٤٥٢ احتجاجة فيما يتعلق بالإمامة...؛ إثبات الهداة، ج ٧، ص ٤٧٠؛ بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٢٧٨، ح ٢٠ (باب ٩ نفي الغلو في النبي والأئمة).

نقل الشيخ الصدوق أن المأمون قال لمولانا الرضا عليه السلام بلغني أن قوماً يغفلون فيكم ويتجاوزون فيكم الحدَّ فقال له الرضا عليه السلام : حدثني أبي موسى بن جعفر عن آبائه عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : لا ترفعوني فوق حقي فإن الله تبارك وتعالى اتخذني عبداً قبل أن يتخذني نبياً ؛ قال الله تبارك وتعالى : ﴿ مَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُوْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ . . . ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاءَ أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١) . . . وأنا أبرأ إلى الله تبارك وتعالى ممن يغفلو فينا ويرفعنا فوق حدِّنا كبراءة عيسى ابن مريم من النصراني . قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَإِيمَى إِلَهَاتِي مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ﴾ . . (٢) .

يظهر من هذه الروايات أن الغلو في النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام إنما يكون بالقول بالوهيتهم وإنكار عبوديتهم لله عز وجل .

عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه قال : من تجاوز بأمر المؤمنين عليهم السلام العبودية ، فهو من المغضوب عليهم ومن الضالين (٣) .

ثم إن من يثبت الخلق والرزق للنبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام بنحو

(١) سورة آل عمران ، الآية ٧٩ - ٨٠ .

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ، ج ٢ ، ص ٢٠٠ (باب ٤٦ ما جاء عن الرضا عليه السلام في وجه دلائل الأئمة والرد على الغلاة والمفوضة) ؛ بحار الأنوار ، ج ٢٥ ، ص ١٣٤ ، ج ٦ (باب ٤ من كتاب الإمامة) .

سورة المائدة ، الآيتان ١١٦ و ١١٧ .

(٣) إثبات الهداة ، ج ٧ ، ص ٤٧١ .

الاستقلال الذاتي كما في الله عز وجل فهو غالٍ ملعون وإن أهل البيت عليهم السلام منه براء .

وقال العلامة المجلسي إن الغلو في النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام إنما يكون بالقول بألوهيتهم، أو بكونهم شركاء الله تعالى في المعبودية، أو في الخلق والرزق أو أن الله تعالى حلّ فيهم أو اتحد بهم، أو أنهم يعلمون الغيب بغير وحي أو الهام من الله تعالى، أو بالقول في الأئمة إنهم كانوا أنبياء، أو القول بأن معرفتهم تغني عن جميع الطاعات ولا تكليف معها بترك المعاصي . والقول بكل منها إلحاد وكفر وخروج عن الدين، وإن الأئمة عليهم السلام تبرأوا منهم .

ولكن أفرط بعض المتكلمين والمحدثين في الغلو لقصورهم عن معرفة الأئمة عليهم السلام وعجزهم عن إدراك غرائب أحوالهم وعجائب شؤونهم . فقدحوا في كثير من الرواة الثقات لنقلهم بعض غرائب المعجزات حتى قال بعضهم : من الغلو نفي السهو عنهم أو القول بأنهم يعلمون ما كان وما يكون وغير ذلك (مع ما دلت الأخبار المتواترة على ذلك) نفي السهو مع أنه قد ورد في أخبار كثيرة لا تقولوا فينا ربّاً وقولوا ما شئتم وإن تبلّغوا^(١) .

وفي الفقه في باب النجاسات حين يتعرض الفقهاء إلى تصنيف الكفار يذكرون الغلاة منهم ويقولون في معنى الغلوّ هو زعم الربوبية في النبي والأئمة، صلوات الله عليهم .

(١) بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٣٤٦ و ٣٤٧، باب نفي الغلو وفيه روايات تفيد نفس

المعنى، بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٢٧٩، ح ٢٢؛ وج ٣، ح ٤٥ (باب ٩ من كتاب

الإمامة).

منهم الشيخ الأعظم الأنصاري قال: الغلاة من يعتقد ربوبية أمير المؤمنين أو أحد الأئمة. هؤلاء إن نفوا وجود صانع غير من زعموا فهم كافرون بالله وإن زعموا أن الرب تعالى اتحد بمن يزعمون على نحو الحلول فهم منكرون للضروري^(١).

وقال الفقيه الأصولي المحقق الهمداني في كتاب الطهارة في النجاسات في نجاسة الغلاة ما ملخصه «لا شبهة في كفرهم بناءً على تفسيرهم بمن يعتقد ربوبية أمير المؤمنين ﷺ أو غيره من الخلق فإنه إن اعتقد أن الشخص الخارجي بعوارضه المشخصة هو الرب القديم الممتنع زواله وأنكر وجود صانع غيره فهو كافر بالله تعالى وإن كان عاقلاً أو اعتقد حلول الله جلّت عظمته في المخلوق واتحاده معه فهو منكر لما قد ثبت بالضرورة من الشرع خلافه».

وكيف كان، فلا يوجب إثبات شيء من أوصاف الرب - جلّت عظمته - لشيء من مخلوقاته الخروج من حد الإسلام بعد الاعتراف بكون الموصوف بتلك الصفة من مخلوقاته. نعم، لو سلبها عن الرب مع كونها ضرورة الثبوت كالخالقية والرازقية ونحوهما، كفر ولكن مجرد إثباتها لشخص لا يوجب سلبها عن الله تعالى. ألا ترى أنه تصحّ نسبة الإمامة إلى ملك الموت، وقسمة الأرزاق - مثلاً - إلى ميكائيل، ونسبة الإعطاء والرزق إلى من ينفق عليك مع أن الله تعالى هو المٌحيي المميت والخالق والرازق، فلا تنافي بين النسبتين.

وأما من يقول بأن النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام مظاهر أوصاف الباري -

(١) كتاب الطهارة، ج ٢، ص ١٤٩ في حكم المخالف لأهل الحق.

جلت عظمته - على سبيل الإطلاق، وأن أزمة أمر الخلائق - تكويناً وتشريعاً - بأيديهم، فهم خالقو الخلق ورازقوهم وأن علمهم بالأشياء حضوريّ بحيث لا يشغلهم شأن عن شأن، إلى غير ذلك مما يقوله بعض من يدعي المعرفة بمثل هذه الأمور، فإن غاية الأمر كون مثل هذه الدعاوي كذباً، كما لو ادّعى ثبوت شيء من هذه الأوصاف لزيد المعلوم بالضرورة عدم اتصافه به، فضلاً عما لو ادّعاها في حق النبي ﷺ أو الإمام عليه السلام، الذي قد يساعده على مدّعاء بعض الشواهد النقلية بل بعض القواعد العقلية أيضاً بعد البناء على كونه أشرف الموجودات.

فالأولى ردّ علم مثل هذه الأمور إلى أهل بيت الوحي ﷺ وتصديقهم إجمالاً في ما يدّعون^(١).

قال العلامة الحائري الخراساني، في كتاب مدارك العروة الوثقى: الغالي يتصور على وجوه، الأول، من يعتقد بربوبية أمير المؤمنين أو أحد الأئمة عليهم السلام فإن اعترف بأنه الربّ القديم الواجب وجوده الممتنع زواله وأنكر وجود صانع غيره فلا ريب في كفره ونجاسته مع فرض كونه عاقلاً والا فهو مرفوع القلم. وإن اعترف بوجود صانع واجب الوجود مثله فهو مُشرك. وإن اعترف واعتقد حلول الله تعالى عن ذلك فيه واتحاده معه وتصوره بهذه الصورة كتصوّر الملك بصورة البشر ونحوه فهو مندرج فيمن أنكر ضروريات الشرع، فهو كافر أيضاً من جهة إنكاره الضروري.

الثاني اعتقاد إنهم عليهم السلام مظاهر أوصاف الباري تعالى وأن أزمة الأمور بيدهم وأنهم المفوض إليهم دين الله وأمر الرزق والخلق إلى غير ذلك،

(١) مصباح الفقيه، ج ٧، ص ٢٩٠، كتاب الطهارة (منهم الغلاة).

ولا ريب أنه لا يوجب الكفر أيضاً وإن فرض أنه خلاف الواقع، فضلاً عما ادعى في حقهم دعوى يساعدها بعض الشواهد الثقيلة أو العقلية بعد الاعتراف بأنه أشرف المخلوقين فمثل هذا الغلو لا يوجب الكفر أيضاً بل لا يكون ذلك فسقاً لعدم كونه غلوّاً بعد الاعتقاد بأن ذلك كله من مواهب الله سبحانه وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وأنه لا مؤثر في الوجود إلا الله سبحانه. هذا كله في نجاسة الغلاة^(١).

أما الغلاة؛ فمن كان منهم يعتقدون بربوبية أمير المؤمنين صلوات الله عليه أو أحد الأئمة الطاهرين عليهم السلام بمعناها الظاهر مثل الاعتقاد بربوبية غيرهم من المخلوقين كعبدة الأصنام والكواكب لكونهم من منكري الألوهية فيشملهم ما يدل على نجاسة منكرها فلا ينبغي الإرتياب في كفرهم ونجاستهم كمن يعتقد منهم بحلوله تعالى فيه صلوات الله عليه أو في أحد من الأئمة من ذريته لكونهم من منكري ضروري الدين فيدل على نجاستهم ما يدل على نجاسة منكرها مضافاً إلى دعوى الإجماع على نجاستهم كما عن «الدلائل» و«الروض» وما ورد في ترجمة فارس بن حاتم الغالي عن أبي الحسن عليه السلام من الأمر بالتوقي عن مساورته، وأما الاعتقاد بأنه عليه السلام مظهر قدرته وكماله وأنه اسمه الأعظم فهو الحق الحقيقي بالتصديق ولا يعتره الشك والريب والمؤمن به هو المؤمن الحق^(٢).

وذكر العالم الجليل الشيخ الطبرسي في كتاب «الاحتجاج» رواية مفصلة في سؤال الزنديق الذي ادعى التناقض في القرآن، فجاء إلى أمير

(١) مدارك العروة، ج ٢، ص ١٣٧ - ١٣٨.

(٢) مصباح الهدى، ج ١، ص ٤٠٨.

المؤمنين ﷺ فقال: يقول الله: ﴿اللَّهُ يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾^(١) وفي موضع آخر يقول: ﴿قُلْ يَتَوَفَّنَا مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾^(٢) وقال ﴿تَوَفَّنَهُ رُسُلُنَا﴾^(٣) فنسب قبض الروح إلى نفسه وإلى ملك الموت وإلى رُسُلنا. فقال أمير المؤمنين ﷺ: فهو تبارك وتعالى أجل وأعظم من أن يتولى ذلك بنفسه، وفعل رسله وملائكته؛ فعلة لأنهم بأمره يعملون فاصطفى جلّ ذكره من الملائكة رُسُلًا وسفّرة بينه وبين خلقه وهم الذين قال الله فيهم: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِمَّنَ النَّاسِ﴾^(٤) فمن كان من أهل الطاعة تولّت قبض روحه ملائكة الرحمة، ومن كان من أهل المعصية تولّت قبض روحه ملائكة النعمة، ولملك الموت أعوان من ملائكة الرحمة والنعمة يصدرون عن أمره وفعلهم فعله، وكلّ ما يأتون منسوب إليه، وإذا كان فعلهم فعل ملك الموت وفعل ملك الموت فعل الله لأنه يتوقّى الأنفس على يد من يشاء ويعطي ويمنع ويثيب ويعاقب على يد من يشاء وإن فعل أمثاله فعله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(٥).

وقال في خاتم الأنبياء: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾^(٦).
فسمى فعل النبي فعلاً له.

وأما ما قلت إن في القرآن الخطاب بالوحدة وتارة الخطاب بالجمع فخطابهم خطاباً يدلّ على انفراده وتوحده وبأن له أولياء تجري أفعالهم وأحكامهم مجرى فعله فهم العباد المكرمون ﴿لَا يَسْقُونَهُ إِلَّا قَوْلًا وَهُمْ

(٤) سورة الحج، الآية ٧٥.

(٥) سورة الإنسان، الآية ٣٠.

(٦) سورة الأنفال، الآية ١٧.

(١) سورة الزمر، الآية ٤٢.

(٢) سورة السجدة، الآية ١١.

(٣) سورة الأنعام، الآية ٦١.

يَأْتِرِهِ يَمْلُوكَ ﴿٧﴾^(١) وهو الذي أيدهم بروح منه وعرف الخلق
اقتدارهم على علم الغيب بقوله ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢١﴾
إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾^(٢).

وأما قوله: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٣) فهو تبارك اسمه
أجل وأعظم من أن يظلم ولكن قرن أمناه على خلقه بنفسه، وعرف
الخلقة جلالة قدرهم عنده وأن ظلمهم ظلمه.

كذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾^{(٤)(٥)}.

في الكافي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال في تفسير هذه الآية: إن
الله عز وجل لا يأسف كآسفنا ولكنه خلق أولياء لنفسه يأسفون ويرضون
وهم مخلوقون مربوبون، فجعل رضاهم رضا نفسه وسخطهم سخط نفسه
لأنه جعلهم الدعاة إليه والأدلاء عليه... وقال: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ
اللَّهَ﴾^(٦) وقال: ﴿إِنَّ الَّذِيكَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(٧)
فكل هذا وشبهه على ما ذكرت وهكذا الرضا والغضب^(٨).

-
- | | |
|---|--|
| (١) سورة الأنبياء، الآية ٢٧. | (٦) سورة النساء، الآية ٨٠. |
| (٢) سورة الجن، الآية ٢٦. | (٧) سورة الفتح، الآية ١٠. |
| (٣) سورة البقرة، الآية ٥٧. | (٨) الكافي، ج ١، ص ١٤٤، ح ٦ (باب
النوادر) رواه الصدوق في كتاب
التوحيد، ص ١٦٨، ح ٢ باب ٢٦؛
والبرهman، ج ٨، ص ٥٧٨، ح ١
[٩٦٤٧]؛ نور الثقلين، ج ٦،
ص ٤٣٨، ح ٦٧. |
| (٤) سورة الزخرف، الآية ٥٥. | |
| (٥) الاحتجاج، ج ١، ص ٥٦١ احتجاجة
على زنديق جاء إليه مستدلاً بأي من
القرآن متشابهة، بحار الأنوار، ج ٩٣،
ص ٩٨ - ١٢٧ ح ١ (باب ١٢٩ من
كتاب القرآن). | |

إذن، جعل الله الظلم على أوليائه ظلماً عليه، وجعل أسفهم ورضاهم أسفه ورضاه، والكلام جارٍ في سائر صفاته المماثلة لهذه الصفات كما يفهم ذلك من عموم الإمام الصادق (عليه السلام).

من هنا نقول: الصفات التي يتصف بها المخلوق وهي منزهة عن الله، وإذا وردت في آية أو رواية ونسبت إلى الله يراد بها أوليائه.

وفي الكافي عن زرارة عن أبي جعفر قال: سألته عن قول الله عز وجل: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ قال: إن الله تعالى أعظم وأعز وأجل وأمنع من أن يُظلمَ ولكنه خلطنا بنفسه فجعل ظلمنا ظلمه وولايتنا ولايته^(١).

وقد أرسل الله ملائكته المقربين (جبرائيل، ميكائيل، إسرافيل، كروبييل) ليهلك قوم لوط وينزل عليهم العذاب كما تدلّ عليه آيات القرآن الكريم، فنجاة النبي لوط والمؤمنين به، وهلاك زوجته، وإنزال العذاب على قومه نسب الله كل ذلك إلى ملائكته (في سورة الحجر والذاريات والعنكبوت)^(٢) وفي آيات أخرى نسب الله ذلك إلى نفسه وبصيغة الجمع (في سورة هود والأعراف والشعراء والنمل والقمر)^(٣).

الرواية الخامسة: التي استدل بها على نفي الولاية التكوينية ما ورد في دعاء الجوشن: «يا مكوّن كل شيء ومحوّله يا رب كل شيء وصانعه»

(١) الكافي، ج ١، ص ١٤٦، ح ١١ (باب النوادر).

(٢) سورة الحجر، الآية ٥٨؛ سورة الذاريات، الآية ٣٣؛ سورة العنكبوت، الآية ٣١.

(٣) سورة هود، الآية ٨٢؛ سورة الأعراف، الآية ٤؛ سورة الشعراء، الآية ٦٦؛ سورة

النمل، الآية ٥٨؛ سورة القمر، الآية ١٩.

أقول: من الواضح أن إيجاد وخلق الأشياء كلها بيد الله تعالى، فإذا أضفنا إلى هذه العبارة ما ورد عن الصادق عليه السلام: «لا يكون الشيء لا من شيء إلا الله» لدلّ ذلك على امتناع الخلق (والإيجاد لا من شيء) لغير الله تعالى وهناك قاعدة علمية تقول: «إثبات الشيء لا ينفي ما عداه»، وقد مرّ ثبوت الخلق من شيء للخالق وللمخلوق معاً.

ومن خطبة للإمام الرضا عليه السلام: «وأنّ كل صانع شيء فمن شيء صنع وصانع الأشياء لا من شيء صنع»^(١).

من هنا يصحّ أن نقول: «وكل خالق فمن شيء خلق، وخالق الأشياء لا من شيء خلق»^(٢).

وهناك فرق آخر نجده هنا وهو أن الله الخالق والصانع غير مخلوق ولا مصنوع، أمّا الخلق فكل ما يخلقونه فمن شيء وهم مخلوقون مصنوعون. وقد أشير إلى هذا المعنى في دعاء الجوشن: «يا خالقاً غير مخلوق ويا صانعاً غير مصنوع».

فقدرة الله ذاتية غير محدودة، وأمّا المخلوق فبما أقدره الله عليه يغيّر ويقدر.

الرواية السادسة: في دعاء عرفة المروي عن الإمام الحسين عليه السلام: «لم تشوّهني بخلقِي ولم تجعل إلَيَّ شيئاً من أمري».

فإن الله لم يفوّض للإنسان أموره، فكيف يفوّض إليه أمور سائر الناس؟

(١) عيون اخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ١٢٩، ح ٢٣ (ان كلّ صانع شيء فمن شيء صنعه والله الخالق اللطيف الجليل خلّق وصنع لا من شيء).

(٢) بحار الأنوار، ج ٤، ص ١٧٤ (باب ٢)؛ الكافي، ج ١، ص ١٣٥، ح ١.

أقول: لكي نعرف معنى هذه الكلمة علينا أن نلقي نظرة عامة إلى الفقرات السابقة والتالية لهذا الدعاء لتتضح أمامنا الرؤية. فهنا يتحدث الإمام الحسين عليه السلام عن خلقه أبدان المؤمنين فإنه يوجه المؤمنين إلى ضرورة الاعتراف بالضعف والعبودية أمام الله تعالى وأن حقيقة العبودية هو العجز والحاجة إلى الله في كل الشؤون وأن كل الفضائل التي يكتسبها المرء هي بتوفيق من الله تعالى وليست ذاتية له. وحين يُعَدُّ الإمام النعم الإلهية ليزيدنا محبة بصاحب النعمة ولنقرّ ونعترف بهذه النعم، فنكون قد أدينا بعض شكرها، فإن الاعتراف بالنعمة شكر للنعمة.

قال الحسين بن علي عليه السلام في دعاء يوم عرفة: «خلقني من التراب ثم أسكنتني الأصلاب فلم أزل ظاعناً من صُلب إلى رحم لم تخرجني لرأفك بي ولطفك لي وإحسانك إليّ في دولة أيام الكفرة. فابتدعت خلقي من مني يُمنى ثم أسكنتني في ظلمات ثلاث بين لحم وجلدٍ ودمٍ لم تُشهرني بخلقي ولم تجعل إليّ شيئاً من أمري ثم أخرجتني إلى الدنيا تاماً سوياً وحفظتني في المهد طفلاً صبيّاً ورزقتني من الغذاء لبناً مريضاً وعظفت عليّ قلوب الخواصين وكفلتني الأمهات الرحائم وكلاّتني من طوارق الجانّ وسلمتني من الزيادة والنقصان حتى إذا استهللت ناطقاً بالكلام أتممت عليّ سوابع الإنعام فربيتني زائداً في كل عام حتى إذا كملت فطرتي أوجبت عليّ حجتك بأن ألهمتني معرفتك. . . حتى إذا أتممت عليّ جميع النعم وصرّفت عني كل النقم لم يمنك جهلي وجرأتي عليك إن دلتني على ما يقرّبني اليك ووفقتني لما يزلّفتني لديك»^(١).

(١) بحار الأنوار، ج ٦٠، ص ٣٧٢، ح ٨١ (باب ٤١ بدء خلق الإنسان في الرحم).

والذي يظهر من سياق الدعاء أن الإمام عليه السلام هنا يتحدث عن الخلقة الطبيعية لأبدان المؤمنين وهم في أصلاب الرجال وأرحام الأمهات وليس في مقام بيان كيفية خلقة أهل البيت عليهم السلام لضرورة ما هو المؤكد من المذهب بأنهم عليهم السلام أفضل الخلق على الإطلاق وتنقلهم من آدم عليه السلام كان في الأصلاب الطيبة والظاهرة والأرحام المطهرة، لم تنجسهم الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسهم من مدلهّمات ثيابها (وقد ذكرنا ذلك في كتاب مستدرك السفينة^(١))، لغة «أبي» في أحوال آباء النبي عليه السلام بالتفصيل).

والشاهد على ذلك ما ورد في الأخبار^(٢) عن سبق خلقة النبي عليه السلام وأوصيائه عليهم السلام على خلقة السماوات والأرض. وقد ذكرت الروايات أن الإمام السبط الشهيد عليه السلام لم يرتضع من أمه الزهراء أو أي مرضعة أخرى وإنما تمّت عملية الإرضاع بالإعجاز فكان رسول الله عليه السلام يضع إبهامه في فم الحسين عليه السلام فيرتوي منه^(٣) ثم يردّد النبي عليه السلام قولته الشهيرة: «حسين مني وأنا من حسين»^(٤).

ومن يقرأ ما ورد في كيفية ولادة الأئمة عليهم السلام والسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام يجد هذه الحقيقة بوضوح. فقد كلّم الإمام الحسين عليه السلام أمه وهو في بطنها، كما كلّمت فاطمة الزهراء عليها السلام أمها خديجة وهي في بطنها. وحين يولدون يسجدون على الأرض شكراً لله ويقرون الله

(١) مستدرك السفينة، ج ١، ص ٤١.

(٢) بحار الأنوار، ج ١، ص ٩٧، ح ٧ (باب ٢ حقيقة العقل وكيفيته وبدو خلقه).

(٣) الكافي، ج ١، ص ٤٦٥، ح ٤ (باب مولد الحسن بن علي عليه السلام).

(٤) بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٢٦١، ح ١ (باب ١٢ من تاريخ الإمامين الهاميين...).

بالوحدانية وللنبي بالرسالة، والإمامة لأبائهم عليهم أفضل الصلاة والسلام.

ثم لا بدّ من الإشارة إلى أن العصمة هي السمة الأساسية لدى أئمة أهل البيت (عليهم السلام) كما صرّح بذلك القرآن الكريم في آية المباهلة وأشار إليه الإمام الحسين (عليه السلام) في مواضع عديدة في هذا الدعاء. من هنا نلمس أن الفقرات التي يذكر فيها الإمام (عليه السلام) المعصية وينسبها إلى نفسه فيقول مثلاً: إلهي عظمت مني المعصية، أو يقول: وجدنتي ألف مجالس البطالين، لا يقصد به نفسه الشريفة لمنافاته وعصمة الإمام، وإنما كان ذلك لأسباب أخرى ذكرها المجلسي في البحار^(١)، والعلامة الخوئي^(٢) في شرح نهج البلاغة وغيرها^(٣). أو لأنهم لم يجدوا عباداتهم تليق بساحة قدس الرب عز وجل فيقرّون بتقصيرهم. أو لأنهم (عليهم السلام) يزدادون معرفة فيرون أعمالهم السابقة قاصرة بالنسبة إلى هذه المعارف. منها أنها تعليمية، أو يجب أن تؤول هذه الظواهر بما يناسب عصمتهم (عليهم السلام).

وكذلك ما ورد عنهم في الالتجاء إلى الله في دفع شرّ ظالم عنود أو شيطان مريد، ولا ينافي كلّ ذلك مع ولايتهم التكوينية، فإن الدعاء له محبوبية ذاتية وهو أفضل القربات والعبادات، ثم إنهم خاصة الله وخالصته فمع علمهم بما يجري عليهم وعلى غيرهم، وما قدّر لهم

(١) بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٢٠٩، نهاية باب عصمتهم ولزوم... من كتاب الإمامة، ج ٣٤، ص ٣٨٤.

(٢) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ٢١، ص ٤٢٩، ح ٣٣١.

(٣) مستدرک سفينة البحار، ج ٧، ص ٢٥٧.

ولغيرهم وإمكانهم في دفع شرّ ما قدّر لهم، مسلّمون لقضاء الله وقدره، لا يتصرّفون في حياتهم اليومية بغير ما أُلّفه الناس وتعارفوا عليه إلا لمصلحة ضرورية أو عند الإعجاز، وإنما يدعون الله أن يغيّر ما قدّره لهم فيمحو عنهم السوء والبلاء ويكتب لهم الخير والعافية.

وهكذا هي عبارات مثل «لا حول ولا قوة إلا بالله»^(١) أو «بحول الله وقوّته أقوم وأقعد»^(٢) أو «حسبنا الله ونعم الوكيل»^(٣) أو «أفوض أمري إلى الله»^(٤) أو «ما شاء الله كان»^(٥) أو «حسبي الرّبُّ من المرّبوبين وحسبي الخالق من المخلوقين»^(٦) وأمثال هذه العبارات التي صدرت من فم النبي والأئمة - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - فهي لا تنافي ولا يتهم التكوينية.

ومن الواضح، عند العارفين بالقرآن والعترّة الطاهرة، أن الله قيّوم على جميع خلقه وبذاته القدوسة يكفي أمورهم وهو لا يحتاج إليهم وتمام الحول والقوة ملكه ومنه ويبد قدرته وهو الذي يمد جميع خلقه بإحسانه.

نعم، لقد اصطفى الله من بريّته من اختارهم في الخلق والأوصاف والكمالات وجعلهم مثله الأعلى فشرّفهم وكرّمهم وجعل طاعتهم طاعته وألزم خلقه طاعتهم والإثمار بأوامرهم. وبعبارة أخرى سخر لهم الخلق ليكونوا خلفاءه.

(١) الكافي، ج ١، ص ٢٣٠، ح ١.

(٢) الكافي، ج ٣، ص ٣٣٨، ح ١٠.

(٣) الكافي، ج ٢، ص ٥٤٧، ح ٦.

(٤) الكافي، ج ٢، ص ٥٤٧، ح ٦.

(٥) الكافي، ج ٢، ص ٥٣٠، ح ٢٤.

(٦) الكافي، ج ٢، ص ٥٤٨، ح ٦.

من هنا ، فإن من أحبهم فقد أحب الله ومن عاداهم فقد عاد؟ الله ،
زيارتهم زيارة الله ، بيعتهم بيعة الله ، عينهم عين الله ، أذنهم أذن الله ، يدهم
يد الله ، وهذه النسب كنسبة الكعبة إلى الله حيث نقول الكعبة بيت الله .

ولأنهم مثل الله الأعلى ، فعلمهم وقدرتهم من علم الله وقدرته ، وهم
مَثَلُ علمه ومَثَلُ قدرته فيعلمون ويقدرّون على كل شيء .

وقد جعلهم الله عينه الناطقة في خلقه فيرون الخلق ويعلمون أخبارهم
ويقدرّون عليهم وهم الحجة عليهم ، وليس بينهم وبين ما يرون من حجاب .

تبصرة:

إننا إذا توجهنا إلى أنفسنا والعقل والعلم والقدرة الناقصة المحدودة
التي أعطانا الله ، نجد انا نستطيع على إيجاد كل ما أردناه في عالم الخيال
والموهومات والمعقولات بحيث يمكن لنا كل ما أردناه من التصرف
والمحو والإثبات .

لكن هذه القدرة فينا منحصرة بعالم الخيال والمعقولات فلا يمكننا
إيجاده في عالم الخارج بخلاف رسول الله ﷺ والأئمة الهداة ﷺ فإنهم
قادرون على الإيجاد في الخارج .

أما العلم والقدرة فيهم وإن كانا محدودين بالنسبة إلى رب العزة ،
لكنهما في مرتبة سامية يستحيل لنا أن ندرك كنههما ، ولذا يمكن لهم
إيجاد كل ما يشاؤون في الخارج .

موارد التفويض في أمر الدين

التفويض في أمر الدين إلى رسول الله وإلى الأئمة المعصومين ،

صلوات الله عليهم، قطعي دلت عليه الآيات الشريفة المفسرة في كلام الرسول والعترة الطاهرة عليهم السلام والروايات المتواترة.

ذكرها المصنف في كتاب مستدرك سفينة البحار^(١)، ففي لغة «أدب» شواهد تدل على ذلك، وفي لغة «فوض»^(٢) شرح ذلك بالتفصيل.

روى ثقة الإسلام الكليني في الكافي^(٣) باب التفويض إلى رسول الله وإلى الأئمة، صلوات الله عليهم، إحدى عشرة رواية معتبرة فيها الصحاح بالاتفاق.

ورواية أخرى ذكرها قبل ذكره لأبواب تاريخ المعصومين عليهم السلام^(٤).

وروى الثقة الجليل المتفق على جلالته محمد بن الحسن الصفار (من كبار صحابة الإمام العسكري عليه السلام) في كتابه (بصائر الدرجات)^(٥) التفويض إلى رسول الله صلى الله عليه وآله تسعة عشر خبراً في ذلك.

وفيه باب ٥ في أن ما فوض إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقد فوض إلى الأئمة، صلوات الله عليهم، ذكر ثلاثة عشر خبراً معتبراً وصحيحاً عن الأئمة عليهم السلام أنهم قالوا: «ما فوض إلى رسول الله فقد فوض إلينا»^(٦) وقد

(١) مستدرك سفينة البحار، ج ١، ص ٧٥.

(٢) مستدرك سفينة البحار، ج ٨، ص ٣٢٣.

(٣) الكافي، ج ١، ص ٢٦٥.

(٤) الكافي، ج ١، ص ٤٣٨، ح ٣.

(٥) بصائر الدرجات، الجزء ٨، باب ٤ التفويض إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ج ٢ ص ٢٢٨ [١٣٤٥] وما بعد.

(٦) البصائر، ص ٢٣٩، ح ٦، [١٣٦٩].

ذكر المفيد في كتاب الاختصاص^(١) الروايات الواردة في باب التفويض وقد ذكرتها في كتاب مستدرک سفينة البحار في لغة «فوض» .

وموارد التفويض في أمر الدين كما يظهر ذلك من رواية العيون^(٢) عن مولانا الرضا صلوات الله عليه وغيره أنه إذا حكم الله تعالى بحرمه شيء أو حليته أو فرضه فرسول الله ﷺ لم يكن ليحرم ما أحل الله ولا ليحلل ما حرم الله عز وجل ولا ليغير فرائض الله وأحكامه، كان في ذلك كله متبعاً مسلماً مؤدياً عن الله وذلك قول الله عز وجل: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيْكُمْ﴾^(٣).

وقوله: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾^(٤) إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿١﴾^(٥) أما الأمور التي لم يبين حكمها الله فإنه يوحى إلى نبيه ليبين للناس حكمه وذلك بعد أن أدبته حتى قومه على ما أراد وجعله أفضل وأشرف وأكمل خلقه ليسوس عبادته ثم أنزل بذلك قرآناً ليتبعوه فقال عز وجل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٥).

وأوجب النبي ﷺ أشياء وحرم أخرى؛ مثل: فرض الله عشر ركعات، وفرض النبي ﷺ سبع ركعات وأضافها إلى العشر فصارت سبع عشرة ركعة هي الصلوات الواجبة التي يحرم تركها من دون عذر شرعي،

(١) الاختصاص، ص ٣٠٩.

(٢) عيون أخبار الرضا ﷺ، ج ٢، ص ٢٠، ح ٤٥ (باب ٣٠ فيما جاء عن الرضا عن الأخبار المشورة).

(٣) سورة الأنعام، الآية ٥٠.

(٤) سورة النجم، الآية ٣.

(٥) سورة الحشر، الآية ٧.

وحكم الله بحرمة الخمر بعينه وحرّم رسول الله ﷺ بوحي الله إليه كل مسكر. وفرض الله الزكاة في الأموال، ووضعها رسول الله ﷺ في تسعة وعفا عمّا سواهن؛ كما في روايات باب الزكاة في الوسائل.

ثم ذكر جعل الرسول ﷺ النوافل أربعاً وثلاثين ركعة مثلي الفريضة وصوم النافلة صوم شعبان وثلاثة أيّام في كل شهر (العشرة أشهر الباقية) مثلي الفريضة، وجعل للجدّ سهم السدس^(١) ولم يكن الله قد فرض للجدّ سهماً.

والأئمة المعصومون ﷺ بالنسبة إلى أحكام الرسول كما الرسول بالنسبة إلى أحكام الله تعالى، لا يرخصون في ما حرّم رسول الله ولا في ما فرضه، بل في غير الموارد الإلزاميّة من الله والرسول لهم الأمر والنهي في الموسّعات لا في المضيقات التي صدر بها التضييق والإلزام من الله أو من الرسول^(٢).

وقد أوجب الله طاعتهم كما أوجب طاعته وطاعة رسوله ﷺ في قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٣). وهم أئمة أهل البيت ﷺ، قطع بذلك الشيعة وهو صريح الروايات المتواترة^(٤).

(١) وسائل الشيعة، ج ٢٦، ص ١٤٢، ح [٣٢٦٨٢] باب ٢٠.

(٢) مستدرک سفینه البحار، ج ٨، ص ٣٢٣، في لغة نفوذ؛ الكافي، ج ٣، ص ٢٧٣، ح ٧؛ وج ٦، ص ٤٠٨، ح ٢؛ وج ٣، ص ٥٠٩، ح ٢؛ وج ١، ص ٢٦٦، ح ٤؛ وسائل الشيعة، ج ١٠، ص ٤٢٧، ح ٢٧، [١٣٧٦١] (باب التفويض إلى رسول الله وإلى الأئمة في أمر الدين).

(٣) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٤) الكافي، ج ١، ص ٨٥ و ١٨٧ و ١٨٩ و ٢٠٥ و ٢٧٦ و ٢٨٦ (باب أن الإمام ﷺ =

إضافة إلى ما ورد في كثير من الروايات الصحيحة والمعتبرة أن كل ما ثبت للرسول ﷺ من الفضائل والمناقب فهو ثابت في حق الإمام ﷺ إلا ما اختص به النبي ﷺ. وروي عنهم ﷺ «ما فُوضَ إلى رسول الله فقد فُوضَ إلينا»^(١).

وما ادّعاه بعض الكتاب في مصنفاته حيث قال: دلت الروايات المتواترة أن الثابت للنبي ﷺ والإمام ﷺ التفويض في أمر الدين، والمنفي عنهم التفويض في الخلق والرزق والكون.

وهنا لابد من التنبيه على أمور:

أولاً: أن المنفي عنهم في الروايات - وهي خمس روايات - التفويض في أمر الخلق والرزق، ولا تنفي عنهم التفويض في أمر الكون. ثانياً: التفويض المذكور في أكثر الروايات هو التفويض في أمر الدين^(٢) وهناك ثلاث روايات تثبت التفويض في أمر الخلق^(٣) التي يمكن أن يراد منها التفويض في أمر الدين.

والتفويض المحرّم المستلزم للشرك^(٤) هو الالتزام بتفويض أمر

= يعرف الإمام الذي...).

(١) الكافي، ج ١، ص ٢٦٥ (باب التفويض إلى رسول الله ﷺ وإلى الأئمة في أمر الدين)؛

بصائر الدرجات، ج ٢، ص ٢٢٨، الجزء الثامن باب ٤.

(٢) بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٤١، ح ٣٢.

(٣) تنبيهات حول المبدأ والمعاد، ص ١٧٩.

(٤) بحار الأنوار، ج ٥، ص ١٢، ح ١٨ (باب ١ نفي الظلم والجور عنه تعالى)؛

الاحتجاج، ج ٢، ص ٤٥٢، احتجاج أبي الحسن علي بن موسى الرضا ﷺ.

الخلق والرزق إلى الرسول ﷺ وأهل بيته ﷺ بنحو الاستقلال مع فرض انزاله تعالى عن قدرته في الخلق والرزق أو اشتراكه معهم في ذلك .

ونقصد بالولاية التكوينية إطاعة الخلق بأجمعهم لرسول الله ﷺ وأئمة أهل البيت ﷺ وبعبارة أخرى تسخير الله لهم الخلق .

وأما نسبة الخلق والرزق إلى النبي والإمام فهو عندنا ليس بمعنى التفويض بل بإذن الله وبأمره مع حفظ سلطنته وقدرته في الخلق والرزق كما مرّ ذلك بالتفصيل .

تنقسم معاجز النبي ﷺ والأئمة ﷺ إلى قسمين:

منها ما يدعون الله فيها حين حصول المعجزة وعادة ما تكون بعد الصلاة، فيجيبهم الله إلى ذلك . ومنها أن الله تعالى يفعل ذلك مقارناً لإرادتهم فإن جميع ذلك إنما تحصل بقدرته تعالى . ومنها ما تكون من دون صلاة ولا دعاء بل بالقدرة التي أقدرها الله لهم مقارناً لإرادتهم فيسخر الله لهم كل شيء بما أعطاهم من فضله الكبير ولطفه العميم كخلق حيوان مفترس يأكل عدوّ الله من ستار فيه صورة لذلك الحيوان . وقد مرت تفاصيل هذه المعجزة في البحوث السابقة، ولا تتعارض هذه المعجزات الواقعة على أيديهم ﷺ مع آيات القرآن الكريم فقد وقعت معاجز كانت لأنبياء الله ذكرها القرآن؛ فإبراهيم الخليل جعل الله له النار برداً وسلاماً^(١)، ولموسى جعل عصاه ثعباناً^(٢)، ولداود سخر الله له

(١) سورة الأنبياء، الآية ٦٩ ﴿فَلَمَّا يَنْتَرُ كُفًى بَرَكْنَا عَلَيْكَ وَلَسْنَا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ .

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٠٧ ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ .

الجبال^(١)، ولصالح ﷺ اخرج له من بطن الجبل الناقة آية مبصرة^(٢)، ولقد فضل الله وشرف محمداً ﷺ وأوصياه الأئمة الهداة ﷺ على جميع الخلق وأعلمهم وأقدرهم على فعل ما يشاءون. وهل تدل هذه الآيات المتضمنة لمعجزات الأنبياء السابقين على عجز خاتم الأنبياء وأوصيائه ﷺ من إثبات مثل هذه البراهين الباهرة والآيات الغالبة مع ما لهم من الفضل على من سواهم؟! ﴿وَإِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(٣).

وبالجملة، فقد دلت الآيات القرآنية كقوله تعالى ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٤) وما دلت عليه الآيات الأخرى حيث أطلق لفظ الخالق على المخلوق في حكاية عيسى ابن مريم ﷺ^(٥)، وفعل السامري على حدوث الخلق للمخلوقين.

فخلق شيء من شيء أو احياء ميت بإذن الله تعالى ليس من الغلو أو الكفر أو الشرك في شيء بل هو جائز كما دلت عليه الآيات والروايات. فمثلاً: ورد في روايات كيفية خلقه الإنسان في الرحم أن الله تعالى يبعث ملكين خلاقين إلى رحم الأم فيخلقان في رحمها ما يشاء الله.

(١) سورة الأنبياء، الآية ٧٩ ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾.

(٢) سورة الاعراف الآية ٧٣ ﴿هَٰذَا نَأْتِيُكَ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾.

(٣) سورة الأنفال، الآية ٢٢.

(٤) سورة المؤمنون، الآية ١٤.

(٥) سورة آل عمران، الآية ٤٩، ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَنشَأْتُ لَكُمْ﴾.

ففي كتاب الكافي بسند صحيح عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام : إن الله عز وجل إذا أراد أن يخلق النطفة . . . يبعث الله ملكين خلّاقين يخلقان في الأرحام ما يشاء الله فينفخان فيها روح الحياة والبقاء ويشقان له السمع والبصر وجميع الجوارح ثم يوحي الله إلى الملكين اكتبنا عليه قضائي وقَدري ^(١).

وفي رواية أخرى متفق على صحتها : عن أبي جعفر عليه السلام : إذا وقعت النطفة في الرحم استقرت فيها أربعين يوماً، وتكون علقة أربعين يوماً، وتكون مضغة أربعين يوماً، ثم يبعث الله ملكين خلّاقين فيقال لهما اخلقا كما يريد الله ذكراً أو أنثى، صوّراه واكتبنا أجله ورزقه ^(٢).

وبهذا المضمون وردت رواية صحيحة عن الإمام الرضا عليه السلام عن الباقر عليه السلام ، وذكر قريب من هذا المضمون في روايات أخرى أيضاً ^(٣).

وإذا صحّت نسبة الخلق في الجملة إلى النبي والملائكة، لصحّت هذه النسبة إلى الملائكة والبشر من غير فرق بينهم، وإن شك به البعض فصَحّ النسبة إلى الملائكة دون النبي عليه السلام والإمام عليه السلام.

والجواب عن ذلك :

إنه لا خلاف بين علماء الشيعة على أفضلية النبي عليه السلام والأئمة عليهم السلام على جميع الملائكة بل ادّعي الاجماع عن بعض إضافة إلى تواتر الروايات بذلك، وقد وردت في كثير منها أن الملائكة المقربين خلّقوا من

(١) الكافي، ج ٦، ص ١٣، كتاب العقيدة (باب بدء خلق الإنسان وتقلّبه في بطن أمه . وفيها ست روايات آخر).

(٢) الكافي، ج ٦، ص ١٦، ح ٦.

(٣) بحار الأنوار، ج ٥، ص ١٥٤، ح ٣، وج ٦٠، ص ٣٣٧.

نور أمير المؤمنين عليه السلام، بناءً على ذلك، كيف جازت نسبة الخلق والإحياء لعيسى عليه السلام والملائكة وعُدَّ منكره كافراً ولكن نسبته إلى أمير المؤمنين عليه السلام يكون كافراً وقد ثبتت بالأدلة القطعية أفضلية أمير المؤمنين عليه السلام في علمه وسائر الجهات من الملائكة والأنبياء السابقين؟! ^(١)

وكيف يحكم العقل فيثبت الفضل والشرف والكمال للمفضول وينفيه عن الفاضل ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ ^(٢)؟ نعم، لو قيل إن المخلوق، سواء كان بشراً نبياً أو إماماً أو من جنس الملائكة، له القدرة على الخلق والإحياء بذاته وباستقلال ومن دون حاجة إلى إذن الله وإحسانه فهذا كفر وشرك بالله العظيم، والصحيح إن يقال أن النبي والإمام يخلقون الشيء من الشيء بقدرة الله وإذنه من غير استقلال، وقد مرّ نظير هذا الكلام في رازقية الله كما مر شرحه.

ولو نُسب الخلق والرزق إلى النبي عليه السلام والإمام عليه السلام فهو عندنا ليس بمعنى التفويض بل بإذن الله وأمره وسلطنته وقدرته في الخلق والرزق، كما مرّ ذلك مفصلاً.

(١) من الأدلة الدالة على أفضلية مقام الإمامة على مقام النبوة (نبوة الأنبياء السابقين) أن الله اتخذ إبراهيم الخليل (المقرب إلى الله) إماماً بعد أن أعطاه مقام النبوة والخلة فقال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾.

فقال: ﴿وَمِن دُونِي﴾؟

قال تعالى: ﴿لَا يَتَأَلَّ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾. سورة البقرة، الآية ١٢٤.

في الروايات الواردة [الكافي، ج ١، ص ١٧٤، باب طبقات الأنبياء والرسل] في تفسير هذه الآية عن أئمة أهل البيت عليهم السلام أن الله اتخذ إبراهيم إماماً بعد أن اتخذ نبياً وخليلاً مما تدلّ على أفضلية مقام الإمامة.

(٢) سورة النجم، الآية ٢٢.

الفصل الثالث

بحث في الأدلة العقلية

نورد في هذا الفصل الشبهات التي أثارها مؤلف كتاب درس من الولاية لنفي ولاية النبي والإمام التكوينية .

الشبهة الأولى : الدليل الأول - التحيز

إن كل جسم بحاجة إلى مكان فمن غير الممكن أن يوجد الجسم في آن واحد في مكانين مختلفين فكيف له أن يوجد في أماكن متعددة؟! والنبي والإمام لا يخرجان عن هذه القاعدة، فمن يحتاج الى مكان كيف له أن يكون ولياً وقيماً ومشرفاً وحافظاً على سائر الأماكن؟

للإجابة على ذلك نقول: لا شك أن جسم النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام مخلوق ومحدود ومحدث ليس بقديم ولا أزلي ولا مجرد ولا بقيوم على المخلوقات ولكن أبدانهم المطهرة ليست من سنخ الأبدان الدنيوية كأن يكون مركباً (مخلوطاً) من الطيب والخبيث، من عليين وسجين،^(١) من

(١) وردت هذه الكلمة في سورة المطففين في موضعين الآية ٧ و ١٨ في إشارة إلى عاقبة الفجار والأبرار ولمعرفة المزيد يمكن ملاحظة الروايات الواردة في تفسير هذه الآيات. البرهان، ج ١٠، ص ٢١٢، ح ٩؛ تفسير نورالثقلين، ج ٨، ص ١٣٩، ح ١٠.

خير وشرّ فإن أبدانهم المطهّرة خالصة طيّبة خلقت من طينة عليّين ليس فيها شرّ وخبث وهذه من المفاهيم الواضحة في أخبار باب الطينة التي تجاوزت مائة رواية^(١).

وقد خلقت أرواح الشيعة من فاضل طينة أبدان النَّبِيِّ والأئمّة عليهم السلام المقدّسة.

فيمكن للعالم العامل من الشيعة أن يصلَ إلى درجة من الكمال بحيث يكون جسمه في مكان وتنتقل روحه في أماكن أخرى، فكما النائم حيث جسمه في السرير وروحه تنتقل في عالم المنام كذلك العالم المذكور متى أراد ينقل روحه إلى أماكن متعدّدة.

من هنا، فإنّ ما يريه الشيطان والجنّ للنائم أضغاث وأباطيل، وما يريه الملائكة للنائم حقّ صحيح، وهي الرؤيا الصادقة وهي جزء من سبعين جزء من النبوة^(٢).

والجسد بمثابه السجن للروح عند أكثر الناس ولكن هناك من العلماء الذين إرتقوا درجات عالية في الكمال فإنّ أرواحهم ليست حبيسة أجسادهم فالأبدان تابعة لأرواحهم، وبطريق أولى يكون النَّبِيُّ والإمام

(١) وهي مذكورة في الكتب الروائية ففي الكافي باب خلق أبدان الأئمّة وأرواحهم، ج ٢، ص ٢، باب طينة المؤمن، ج ١، ص ٣٨٩؛ وفي البصائر، جزء ١، باب ٩ و ١٠، ج ١، ص ٥٠، ح ١. وقد ورد في بحار الانوار، ج ٥، ص ٢٢٦، ح ٤، ج ٢٥، ص ١، باب ٩ من أبواب خلقهم وطيّنتهم، ج ٦٧، ص ٧٧ (باب ٣ من كتاب الايمان والكفر). وقد أوردت هذه الروايات بالتفصيل في كتاب مستدرك سفينة البحار، في لغة «طين» ج ٦، ص ٦٢٣.

(٢) بحار الأنوار، ج ٦١، ص ١٧٦، ح ٣٦ (باب ٤٤ من كتاب السماء والعالم).

هكذا فأبدانهم تتبع أرواحهم المقدسة يسيروها أين شاءوا فيجوز أن يكون جسم الإمام في موضع وروحه الطاهرة يسيره في موضع آخر أين ما شاء .

قال الإمام زين العابدين عليه السلام للرجل المنجم :

هل أدلك على رجل قد مرّ مذ دخلت علينا في أربعة عشر عالماً كل عالم أكبر من الدنيا ثلاث مرّات لم يتحرّك من مكانه . قال من هو؟ قال : أنا^(١) .

وباستطاعتهم عليهم السلام أن يسيروا في الأرض فتنقل أرواحهم أبدانهم كما أن الإمام الجواد عليه السلام ذهب من المدينة إلى خراسان في الوقت الواحد^(٢) .

وقد حضر الإمام علي بن الحسين عليهما السلام إلى كربلاء لدفن الأجد الطاهرة يوم الثالث عشر من محرم . وقد كان أسيراً في أيدي بني أمية في الكوفة^(٣) .

يمكن لأئمة أهل البيت عليهم السلام أن يتمثلوا بصور أبدانهم أو بأية صورة يشاءون . فبالعلم والقدرة التي هي من علم وقدرة الله تعالى يعملون ما يريدون . ويعلمون كل شيء ، فينور العلم الذي يجدونه يرون ما بين المشرق والمغرب كما يرون الماضي والحاضر والمستقبل ولا يغيب عنهم شيء فهم (عين الله الناظرة في عباده)^(٤) .

(١) بصائر الدرجات، جزء ٨، باب ١٢، ج ٢، ص ٢٦٨، ح ١٤ [١٤٣١] .

(٢) مدينة المعاجز، ج ٣، ص ٢٣٩ .

(٣) بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٦٨، ح ١٦٦ .

(٤) بحار الأنوار، ج ٤١، ص ٣٥٧ (في عباده)

إن الله الخالق للمخلوقات والقيوم عليها وحدث وبقاء العالم بإرادته فَرَضَ طاعتهم على كل شيء، ولأجلهم خلق الخلق، وبركتهم رُزق الورى ويمرر أرزاق العباد بأيديهم فهم واسطة الفيض، وهذه الأمور ثابتة بالعقل والنقل. وللتفصيل، يمكن للقارئ مراجعة كتاب «مقام القرآن والعترة» من تأليف^(١) المصنف.

قال البعض إن معنى إطلاق باب الله وسبيل الله عليهم هو بمعنى أن كل ما يفيضه الله من هذا الباب فهم الباب الذي لا يؤتى إلا منه وبهم يتوسل إلى الله في بلوغ المقاصد والحاجات^(٢).

عن الشيخ الحرّ العاملي عن عبد الله بن يحيى الكاهلي قال: اعترض لي سُبُع، فقرأت في وجهه دعاء علّمنيّه أبو عبد الله الصادق عليه السلام فتنبّك الطريق ورجع من حيث جاء وكان لي ابن عمّ في الكوفة فلمّا سمع ذلك قال: أشهد أنّه إمام مفترض الطاعة، فدخلت على أبي عبد الله عليه السلام من قابل فأخبرته الخبر وما كنّا فيه. فقال عليه السلام: «أتراني لم أشهدكم؟ بنس ما رأيت إنّ لي مع كلّ وليّ لنا أذنًا سامعة، وعينًا ناظرة، ولسانًا ناطقًا». ثمّ قال: «يا عبد الله، انا والله صرفتُ عنكما».

ثمّ أخذ الإمام يذكر له علامة يبيّن له أنّه شهدهما^(٣).

كما نقل عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال:

(١) علم الغيب، ص ١٦٩.

(٢) من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٥٨٩، ح ٣١٩٧.

(٣) إثبات الهداة، ج ٥، ص ٤٢٨، باب ٢١ في معجزات الإمام الصادق عليه السلام، فصل ٢٤،

«ما من مؤمن ولا مؤمنة في المشارق والمغارب إلا ونحن معه»^(١).

وتؤكد هاتان الروايتان الروايات الحاكية إن الإمام يرى ما بين المشرق والمغرب وأنه شاهد على الخلق^(٢).

والروايات الدالة أن الدنيا تمثل للإمام في فلكة الجوز وأنه ليتناولها من أطرافها كما يتناول أحدكم من فوق مائدته ما يشاء^(٣). والرواية الواردة عنهم عليهم السلام أن من أهل البيت لمن الدنيا عنده بمثل هذه وعقد بيده عشرة^(٤).

وغير هذه الروايات، وقد ذكرتها بالتفصيل في كتاب علم الغيب، فراجع^(٥).

ولا تنافي هنا بين قول الإمام عليه السلام أنا والله صرفته عنكما والدعاء الذي علمه الإمام إياه لأن الدعاء طلب من الله وفعل الإمام عليه السلام إذن من الله له في صرف السبع فلا تهافت هنا وهذا ما نعتقه في الأئمة الهداة عليهم السلام كما قال تعالى: ﴿عِبَادُ تُكْرَمُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ لَا يَسِفُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾^(٦).

(١) بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ١٥٤، ح ٤٣، باب ٩ (أنه لا يحجب عنهم شيء)؛ وص ١٤٠، ح ١١؛ وص ١٥٤، ح ٤٣.

(٢) بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٣٧٥، ح ٢٤ (باب ١٢ من كتاب الامامة).

(٣) بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٣٦٧، ح ١١.

(٤) بصائر الدرجات، جزء ٨، باب ١٤، ج ٢، ص ٢٨٤؛ الكافي، ج ١، ص ٦١، ح ٨ (باب الرد إلى الكتاب والستة...).

(٥) علم الغيب، ص ١٠٧ - ١٧٣.

(٦) سورة الأنبياء، الآيتان ٢٦ و ٢٧.

ولا تنافي هذه العقيدة (أي الاعتقاد بمقامات أهل البيت وفضائلهم) عقيدة التوحيد. فقد قال عنهم الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (١).

وفي أخبار صحيحة معتبرة من جملتها حديث الأربعمائة (٢) عنهم عليهم السلام: «إياكم والغلوّ فينا. قولوا إنّا عبيد مربوبون وقولوا في فضلنا ما شئتم» وفي هذه الروايات دلالة أن الغلوّ المنهي عنه إنكار عبوديتهم ومخلوقيتهم. في الاحتجاج للطبرسي وفي تفسير الإمام العسكري عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «لا تتجاوزوا بنا العبوديّة، ثمّ قولوا ما شئتم ولن تبلّغوا، وإياكم والغلوّ كغلوّ النصاريّ فإنّي بريء من الغالين» (٣).

في كتاب بصائر الدرجات عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: اجعلونا مخلوقين وقولوا بنا ما شئتم فلن تبلغوا (٤).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: أنا عبد الله عزّ وجلّ وخليفته على عباده، لا تجعلونا أرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم فإنكم لا تبلغون كُنّه ما فينا ولا نهايته (٥).

(١) سورة التكوير، الآية ٢٩.

(٢) ذكر هذا الحديث الصدوق في الخصال، ج ٢، ص ٦١٠، ح ١٠؛ وفي تحف العقول، ص ١٠٤ (آدابه عليه السلام لأصحابه).

(٣) الاحتجاج، ج ٢، ص ٤٥٣، ح ٣١٤، التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري عليه السلام، ص ٥٠، ح ٢٤. في ذيل قوله ﴿صِرْطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

(٤) بصائر الدرجات، ج ١، ص ٤٥٦، ح ٥ [٨٦٢]، (جزء ٥، باب ١٠)، ص ٢٣٦.

(٥) بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ٦، ح ١ (باب ١٣ من كتاب الإمامة).

وقال ﷺ في حديث آخر: إنما أنا عبد من عبيد الله لا تُسَمُّونا أرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم فإنكم لن تبلغوا من فضلنا كنه ما جعله الله لنا^(١).

وفي الكافي عن الصادق ﷺ أنه قال: أن النبي ﷺ يوم توفي حدث علياً ﷺ بألف باب كل باب يُفتح منه ألف باب فذلك ألف ألف باب فقال لقد كان ذلك، قلت: جعلت فداك فظهر ذلك لشيعةكم ومواليكم؟ فقال: يا كامل، بابٌ أو بابان.

فقلت له: جعلت فداك، فما يُروى من فضلكم من ألف ألف باب إلا بابٌ أو بابان قال فقال: وما عسيتم أن ترووا من فضلنا؛ ما تروون من فضلنا إلا ألفاً غير معطوفة^(٢).

فجاز أن يظهر النبي ﷺ والإمام ﷺ في أي مكان في أي وقت شاء. وقد فضلنا في البحوث السابقة في حكاية آصف بن برخيا أن علمه وقدرته بالنسبة إلى الأئمة الهداة كقطرة من البحر. وقد ثبت بالأدلة أفضلية الأئمة ﷺ على سائر الانبياء ناهيك عن أوصيائهم، ومن البديهي أن الأفضلية تشمل العلم والقدرة.

من هنا فإن من يستطيع أن يأتي بعرش بلقيس من تلك المسافة البعيدة في أقل من طرفة عين لهو قادر أن ينقل جسمه أو جسم غيره إلى أي

(١) بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ٦، باب ١٣، ح ١، نادر في معرفتهم؛ مستدرك سفينة البحار، ج ٧، ص ٦٢، ذيل لغة «عبد» و «فضل»، ج ٨، ص ٢٢٣، و«غلا»، ج ٨، ص ١٤.

(٢) الكافي، ج ١، ص ٢٩٧، ح ٩ (باب الإشارة والنص على أمير المؤمنين ﷺ).

موضع شاء . وقد أتى الإمام الحسين عليه السلام بأصبع إلى مسجد الكوفة قبل أن يرتد إليه بصره، وأراه رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام ^(١).

وأمير المؤمنين عليه السلام وهو في الكوفة مدّ يده وأجذب بها من شاربه - أو قال من لحيه - معاوية وألقاه من على سريره ^(٢) كما ومدّ يده عليه السلام وهو على منبر الكوفة وردّها وإذا فيها قطعة من الثلج اقتطعها من جبال الشام يقطر الماء منها ^(٣). فإنه لا فرق بين حيّهم وميتهم كما هو واضح من الروايات والزيارات الصادرة عنهم (صلوات الله عليهم) ^(٤).

قال العلامة المجلسي في كتاب «مرآة العقول»، باب النهي عن الإشراف على قبر النبي صلى الله عليه وآله.

إعلم أنّ الأخبار المستفيضة في أنّ النبي صلى الله عليه وآله والأئمة، صلوات الله عليهم، بل سائر الأنبياء عليهم السلام لهم بعد وفاتهم أحوال غريبة ليس لسائر الخلق معهم فيها شركة كحرمة لحومهم على الأرض، ^(٥) وصعود أجسادهم إلى السماء، ورؤية بعضهم بعضاً وإحيائهم أمواتهم، وقد أوردت أخباراً كثيرة في ذلك في الكتاب الكبير «بحار الأنوار» ^(٦) وإنما النظر في أنّ تلك الأحوال هل لأجسادهم الأصلية أم للأجساد المثالية.

(١) بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ١٨٤، باب ٢٥ (معجزاته صلوات الله عليه).

(٢) بحار الأنوار، ج ٥٧، ص ٣٤٦، ح ٣٦ (باب العوالم)؛ مدينة المعاجز، ج ١، ص ٢٠٦، ح ٣١٢ [١٩٧].

(٣) إثبات الهداة، ج ٢، ص ٤١٨؛ بحار الأنوار، ج ٤٠، ص ٢٧٩، ح ٤٢.

(٤) بحار الأنوار، ج ٢٧، ص ٣٠٣ (باب ٧، أنهم يظهرون بعد موتهم).

(٥) مواضع هذه الروايات في مستدرک سفينة البحار، ج ١، ص ١٢١.

(٦) بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ٥٥٠ و ٥٥١؛ وج ٢٧، ص ٢٩٩.

فظاهر أكثر أصحابنا أنها في أجسادهم الأصلية ولا دليل عقلاً ولا نقلاً على نفي ذلك مع أن كثيراً من الأخبار الصحيحة والمعتبرة تدل عليه .

قال الشيخ المفيد في كتاب «المقالات» أن أحوال النبي ﷺ والأئمة من خلفائه ﷺ بعد الوفاة فإنهم ينقلون من تحت التراب فيسكنون بأجسامهم وأرواحهم جنة الله تعالى ، فيكونون فيها أحياء يتنعمون إلى يوم الممات ، لا تخفى عليهم بعد الوفاة أحوال شيعتهم تبلغهم المناجاة من بُعد ، وهذا مذهب فقهاء الإمامية كافة وحملة الآثار منهم ولست أعرف فيه لمتكلمهم من قبل مقالاً^(١) .

وقال الشيخ أبو الفتح الكراجكي (ره) في كتاب «كنز الفوائد»^(٢) كلاماً نظير كلام المفيد ذكره العلامة المجلسي في كتابه «مرآة العقول»^(٣) .

وقد أثبتنا هذا الموضوع في كتابنا مقام القرآن والعتره^(٤) أنه لا فرق بين النبي والإمام سواء كانوا في عالم الدنيا أو في عالم الآخرة فإنهم يعلمون ويقدرّون في الكائنات ، فإن علمهم بالخلق وقدرتهم نافذة فيها .

وحيث حكمنا بعمومية الإذن في ما قالوا «لا تتجاوزوا بنا العبودية ، وقولوا فينا ما شئتم» نقول أنه يمكن للنبي والإمام أن يريا في وقت واحد في أماكن متعدّدة كما هو صريح الروايات ، ولا يلزم من ذلك كفر ولا

(١) بحار الأنوار، ج ٢٧، ص ٣٠١، ح ٥ (باب ٦ من كتاب الإمامة).

(٢) كنز الفوائد، ج ٢، ص ١٤٠ .

(٣) مرآة العقول، ج ٥، ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .

(٤) مقام القرآن والعتره، ص ٦٩ .

يلزم منه إمتناع عقليّ. فإذا استغاث الألف من البشر بالإمام الحجة عليه السلام فإنه يحضر عندهم ويلبّي حوائجهم كما ورد في الأدعية ما يؤيد ذلك وقيل أن أمير المؤمنين حضر في ليلة واحدة ٤٠ مكاناً^(١).

وقد ورد في الأخبار المستفيضة أن رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام يحضران ويجلسان عند شيعتهم المؤمنين ويبشّرانهم بالجنة.

في رواية أخرى عن أبي عبد الله عليه السلام: إذا احتضر المؤمن حضره رسول الله ﷺ وعليّ وجبرائيل وملك الموت عليه السلام فيدنون منه عليّ عليه السلام فيقول: يا رسول الله إنّ هذا كان يحبنا أهل البيت فأحبّه. ويقول رسول الله ﷺ: يا جبرائيل إنّ هذا كان يحبّ الله ورسوله وأهل بيت رسوله فأحبّه. ويقول جبرائيل لملك الموت: إنّ هذا كان يحبّ الله ورسوله وأهل بيت رسوله فأحبّه وأرفق به. فيدنون منه ملك الموت فيقول: يا عبد الله، أخذت فكاك رقبتي أخذت أمان براءتك، تمسكت بالعصمة الكبرى في الحياة الدنيا؟ قال: فيوفقه الله (عزّ وجلّ) فيقول: نعم، فيقول: وما ذلك؟ فيقول: ولاية عليّ بن أبي طالب، فيقول: صدقت.

وإذا احتضر الكافر حضره رسول الله ﷺ وعليّ وجبرئيل عليه السلام وملك الموت عليه السلام فيدنون منه عليّ عليه السلام فيقول يا رسول الله إنّ هذا كان يُبغضنا أهل البيت فأبغضه، ويقول رسول الله ﷺ: يا جبرئيل إنّ هذا كان يُبغض الله ورسوله وأهل بيت رسوله فأبغضه، فيقول جبرئيل يا ملك الموت إنّ هذا كان يُبغض الله ورسوله وأهل بيت رسوله فأبغضه واعتف

(١) روضة المتقين، ج ١، ص ٣٥٣؛ أنوار النعمانية، ج ٤، ص ٥١.

عليه ، فيدنو منه ملك الموت فيقول يا عبد الله أخذت فكاك رهانك أخذت أمان براءتك تمسكت بالعصمة الكبرى في الحياة الدنيا فيقول : لا . فيقول أبشر يا عدو الله بسخط الله عز وجل وعذابه والنار . أما الذي كنت تحذره فقد نزل بك ثم يسأل نفسه سلاً عنيفاً ثم يؤكل بروحه ثلاثمائة شيطان كلهم يبزق في وجهه ويتأذى بروحه فإذا وُضع في قبره فُتح له باب من أبواب النار فيدخل عليه من قبحها ولهيبها^(١) .

وفي رواية أخرى قال الإمام الصادق عليه السلام : «أناه نبي الله وأناه علي وأناه جبرئيل» .

ذكر العلامة المجلسي في البحار ٥٦ رواية في هذا الموضوع منها عن الثقة العياشي عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال : «إذا كان ذلك ، أناه رسول الله وعليّ معه يقعد عند رأسه»^(٢) .

في حديث آخر صحيح عن علي بن إبراهيم القمي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما يموت موال لنا مبغض لأعدائنا إلا ويحضره رسول الله وأمير المؤمنين والحسن والحسين عليهما السلام فيرونه ويبشرونه وإن كان غير موال لنا يراهم بحيث يسوؤه^(٣) .

(١) الكافي، ج٣، ص١٣١، ح٤؛ بحار الأنوار، ج٦، ص١٩٨، ح٥١ (باب ٧، ما يعاني المؤمن والكافر عند الموت...) .

(٢) بحار الأنوار، ج٦، ص١٧٣؛ تفسير العياشي، ج٢، ص١٢٦، ح٣٤ [١٩٦٩] في ذيل الآية ٦٤ من سورة يونس .

(٣) مدينة المعاجز، ج١، ص٤٩٦؛ تفسير القمي، ج٢، ص٢٦٩، ذيل الآية ٣١ من سورة فصلت؛ بحار الأنوار، ج٦، ص١٨٠، ح٨ .

والشاهد على هذا الكلام قول أمير المؤمنين عليه السلام لحارث همدان.
يا حار همدان من يمت يرني من مؤمن أو منافق قُبُلاً^(١)
عن البرقي في كتاب المحاسن عن أبي عبد الله عليه السلام قال لن تموت
نفس مؤمنة أبداً حتى يراها.

قال الراوي قلت: بأبي وأمي من هما؟

قال: ذاك رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام.

فقلت له: يقولان شيئاً؟ قال: نعم. يدخلان جميعاً على المؤمن
فيجلس رسول الله صلى الله عليه وآله عند رأسه وعلي عليه السلام عند رجله ويبشّرانه.
وتظهر من الرواية حيث قدم الرؤية على الدخول أنّ الدخول هنا
ملازم للرؤية.

عن الفضيل بن يسار عن الباقرين عليهما السلام قالوا حرام على روح أن تفارق
جسدها حتى ترى محمداً وعلياً وحسناً وحسيناً بحيث تقرأ عَيْنُهَا^(٢).

في المناقب فصل في انباء الإمام موسى بن جعفر عليه السلام بالمغيبات عن
أبو علي بن راشد^(٣) في خبر طويل أنّه اجتمعت العصابة الشيعة بنيسابور
واختاروا محمد بن علي النيسابوري فدفَعُوا إليه ثلاثين ألف دينار

(١) ذكرت هذه الرواية في البحار، ج ٣٩، ص ٢٤١ و ٢٤٥، وكتب أخرى، باب ما يعاين
المؤمن والكافر عند الموت وحضور الأئمة عليهم السلام عند ذلك وعند الدفن؛ الخرائج
والجرائع، ج ٢، ص ٨١٢، ح ٢١.

(٢) الكافي، ج ٣، ص ١٢٧ و ١٢٨، ح ١ (باب ما يعاين... ر)؛ المحاسن، ج ١،
ص ٢٨١، ح ١٦٠ [٥٥٥] (باب ٣٩).

(٣) ثقة من وكلاء الإمام الجواد والإمام الهادي عليهما السلام.

وخمسين ألف درهم وألفي شقة من الثياب، وأتت شطيطة^(١) بدرهم صحيح وشقة خام من غزل يدها تساوي أربعة دراهم، فقالت: إِنَّ الله لا يستحي من الحق. قال: فثنيت درهما. وجاءوا بجزء فيه مسائل ملء سبعين ورقة في كلّ ورقة مسألة وباقي الورق بياض ليكتب الجواب تحتها. وقد حزمت كلّ ورقتين بثلاث حزم وختم عليها بثلاث خواتيم على كلّ حزام خاتم وقالوا ادفع إلى الإمام ليلة وخذ منه في غد فإن وجدت الجزء صحيح الخواتيم فاكسر منها خمسة وأنظره هل أجاب عن المسائل وإن لم تنكسر الخواتيم فهو الإمام المستحقّ للمال فادفع إليه وإلا فردّ إلينا أموالنا.

فدخل على الأفطح عبد الله بن جعفر وجزّبه وخرج عنه قائلاً ربّ اهدني إلى سواء الصراط. قال: فبينما أنا واقف إذا أنا بغلام يقول أجب من تريد فأنتي بي دار موسى بن جعفر فلمّا رأيته قال لي: لم تقنط يا أبا جعفر ولم تفزع إلى اليهود والنصارى فأنا حجة الله ووليّه ألم يعرفك أبو حمزة على باب مسجد جدّي وقد أجبتك عما في الجزء من المسائل بجميع ما تحتاج إليه منذ أمس فجئني به وبدرهم شطيطة. فأخذ درهم شطيطة وإزارها ثمّ استقبلني وقال إِنَّ الله لا يستحي من الحق يا أبا جعفر.

أبلغ شطيطة سلامي وأعطها هذه الصرة وكانت أربعين درهماً ثمّ قال وأهديت لك شقة من أكفاني من قطن ثمّ قال ﴿وَ﴾ وقل لها ستعشين تسعة عشر يوماً من وصول أبي جعفر ووصول الشقة والدرهم فأنفقي على

(١) وهي من أهل نيشابور ولا يزال قبرها معروفاً عندهم.

نفسك منها ستة عشر درهماً واجعلي أربعاً وعشرين صدقة منك وما يلزم عنك وأنا أتولى الصلاة عليك .

وقال: عَرَفَ أصحابك وأقرتهم مِنِّي السلام وقل لهم إنِّي ومن يجري مجراي من الأئمة عليهم السلام لابد لنا من حضور جنازتك في أي بلد كنتم فاتقوا الله في أنفسكم^(١).

روي في كتاب بصائر الدرجات (جزء ٨ باب ١٢)^(٢) ١٥ رواية أنَّ الله تبارك وتعالى أقدرهم على سير الآفاق، وهياً لهم الذهاب إلى أي موضع شاءوا. من جملة ما روي أنَّه دخل رجل على علي بن الحسين عليهما السلام فقال له علي بن الحسين: من أنت؟

قال: أنا منجَّم. قال: فأنت عَرَّاف؟ قال: فنظر إليه، ثم قال: هل أدلك على رجل قد مرّ مذ دخلت علينا في أربعة عشر عالماً كلّ عالم أكبر من الدنيا ثلاث مرّات لم يتحرّك من مكانه؟ قال: من هو؟ قال: أنا. وإن شئت أنبأتك بما أكلت وما ادّخرت في بيتك^(٣).

لقد تظافرت الروايات بهذا الموضوع، ولا يسعنا في هذا المختصر إيراد كلّها وقد استدللّ أئمة أهل البيت عليهم السلام لإثبات هذا الموضوع بقوله

(١) المناقب، ج ٤، ص ٢٩١.

(٢) بصائر الدرجات، ج ٢، ص ٢٦٩، ح [١٤٣١].

(٣) هذا، وأخبار أخرى مرتبطة بهذا الموضوع في بحار الأنوار، ج ٣٩، ص ١٣٦ (باب ٨٠ من تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام) ج ٢٧، ص ٣٢ (باب ١٤ من كتاب الإمامة). وقد وردت قصّة المنجّم في البحار، ج ٤٦، ص ٢٦، ح ١٢ (باب ٣ من تاريخ علي بن الحسين عليهما السلام).

تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (١٦) لَهُمُ الْبَتْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا^(١).

البشارة في الحياة الدنيا هي بشارة النبي ﷺ والإمام للمؤمنين عند موتهم كما تدل عليه الروايات الموافقة للقرآن فحضور النبي ﷺ والإمام ﷺ لدى المحتضر مما دلت عليه آيات القرآن الكريم وروايات أهل البيت ﷺ ولا بد من التمسك بالقرآن والعتره فإنهما خليفنا رسول الله ﷺ في الأرض للروايات المتواترة بين المسلمين.

قال العلامة المجلسي في البحار بعد ذكره هذه الروايات:

إعلم أن حضور النبي ﷺ والأئمة، صلوات الله عليهم، عند الموت مما قد وردت به الأخبار المستفيضة وقد اشتهر بين الشيعة غاية الاشتهار وإنكار مثل ذلك لمحض استبعاد الأوهام ليس من طريقة الأخبار. وأما نحو حضورهم وكيفيته فلا يلزم الفحص عنه بل يكفي فيه وفي أمثاله الإيمان به مجملًا على ما صدر عنهم ﷺ وما يقال من أن هذا خلاف الحس والعقل أما الأول فلأننا نحضر الموتى إلى قبض روحهم ولا نرى عندهم أحداً، وأما الثاني فلأنه يمكن أن يتفق في آن واحد قبض أرواح آلاف من الناس في مشارق الأرض ومغاربها ولا يمكن حضور الجسم في زمان واحد في أمكنة متعددة، فيمكن الجواب عن الأول بوجوه:

الأول: أن الله تعالى قادر على أن يحجبهم عن أبصارنا لضرب من المصلحة كما ورد في أخبار الخاصة والعامة في تفسير قوله تعالى: ﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾^(٢) إن الله تعالى أخفى

(١) سورة يونس، الآية ٦٤.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٤٥.

شخص النبي ﷺ عن أعدائه مع أنّ أوليائه كانوا يرونه^(١). وإنكار أمثال ذلك يفضي إلى إنكار أكثر معجزات الأنبياء والأوصياء ﷺ وقد مرّ فيما نقلنا من تفسير العسكري ﷺ التصريح بهذا الوجه.

الثاني: أنّه يمكن أن يكون حضورهم بجسد مثالي لطيف لا يراه غير المحتضر كحضور ملك الموت وأعوانه. وسيأتي الأخبار في سائر الموتى أنّ أرواحهم في البرزخ تتعلّق بأجساد مثاليّة وأما الحيّ من الأئمة ﷺ فلا يبعد تصرّف روحه لقوّته في جسد مثالي أيضاً.

الثالث: أنّه يمكن أن يخلق الله تعالى لكلّ منهم مثلاً بصورته وهذه الأمثلة يكلمون الموتى ويبشرونهم من قبلهم ﷺ كما ورد في بعض الأخبار بلفظ التمثيل.

(١) نظير هذه القضية حدثت حين كان الإمام الصادق ﷺ ساجداً في السوق فرآه الراوي ولم يره أحد، عن معاوية بن وهب قال كنت مع أبي عبد الله ﷺ بالمدينة وهو راكب حماره فنزل وقد كنّا صرنا إلى السوق أو قريباً من السوق قال: فنزل ومسجد وأطال السجود، وأنا أنتظره ثم رفع رأسه قال: قلت لجعلت فداك رأيتك نزلت فسجدت قال إنّي ذكرت نعمة الله عليّ. قال: قلت: قرب السوق والناس يجيئون ويذهبون قال: إنّه لم يرني أحد. البصائر، جزء ١٠، باب ١٥، ج ٢، ص ٤٣٨ ح ٢ [١٧٧٣]. وعن الخرائج، ج ٢، ص ٧٧٤، كما نقله العلامة في البحار، ج ٤٧، ص ٢١ و ١٢١.

وذكر في البصائر في موردين مثله عنه ﷺ. لم يرني أحد منهم غيرك.

وعن أبي بصير قال: دخلت على الباقر المسجد فقال لي: سل الناس هل يرونني. فسألهم فقال كلّ لا. فدخل أبو هارون المكفوف فقال: سله. فسألته. فقال: أليس هو الواقف؟ فقلت: من أعلمك؟ فقال: كيف لا أعلم؟ وهو نور ساطع. الصراط المستقيم، ج ٢، ص ١٨٣؛ الخرائج والجرائح، ج ٢، ص ٧٧٥، ح ٩٧، الباب الخامس عشر.

الرابع : أنه يمكن أن ترسم صورهم في الحس المشترك بحيث يشاهدهم المحتضر ويتكلم معهم كما في المبرسم .

الخامس : ما ذكره السيد المرتضى رحمته الله وهو أن المعنى أنه يعلم في تلك الحال ثمرة ولايتهم وانحرافه عنهم لأن المحب لهم يرى في تلك الحال ما يدلّه على أنه من أهل الجنة وكذا المبغض لهم يرى ما يدلّه على أنه من أهل النار فيكون حضورهم وتكلمهم استعارة تمثيلية .

ولا يخفى أن الوجهين الأخيرين بعيدان عن سياق الأخبار بل مثل هذه التأويلات ردّ للأخبار وطعن في الآثار .

وأما الجواب عن الوجه الثاني فبأنه إنما يتمّ الشبهة إذا ثبت وقوع هذا الاتفاق ومحض الإمكان لا يكفي في ذلك مع أنه إذا قلنا بأن حضورهم في الأجساد المثالية يمكن أن يكون لهم أجساد مثالية كثيرة لما جعل الله لهم من القدرة الكاملة التي بها امتازوا عن سائر البشر . وفي الوجوه الثلاثة الأخيرة - على تقدير صحتها - اندفاع هذا الإيراد ظاهر والأحوط والأولى في أمثال تلك المتشابهات الإيمان بها وعدم التعرّض لخصوصياتها وتفصيلها وإحالة علمها إلى العالم رحمته الله كما مرّ في الأخبار التي أوردناها في باب التسليم (والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) ^(١) .

ذكر العلامة السيد هاشم البحراني بعد نقله روايات حضور النبي رحمته الله والأئمة عليهم السلام حين الموت وعند السؤال في القبر : «اعلم أن هذا المعنى

(١) بحار الأنوار، ج ٦، ص ٢٠١ - ٢٠٢، آخر باب ٧ من كتاب العدل والمعاد.

من حضور أمير المؤمنين عليه السلام عند الميت مشهور يروى بطرق كثيرة مذكور حتى أن بعضهم أنكروا غيره، وهذا روه ولم ينكروه، وهذا الأمر لا ينكره عاقل ولا يستبعده إلا جاهل لأنه من أمر الله جلّ جلاله وقدرته، وجميع معجزات الأنبياء والمرسلين والأئمة الراشدين والخواص جرت على أيديهم عليهم السلام من أفعاله وأقداره سبحانه وتعالى لأن هذا ممكن وكلّ ممكن يقدر عليه الله سبحانه وتعالى، وليس لأحد أن يستبعده بأن يقول الأموات في اليوم والليلة بل في الساعة الواحدة خلق كثير وكيف الجسم الواحد يرى في أمكنة متعدّدة يرى في وقت واحد^(١).

الرواية الأولى: عن المفيد في العيون والمحاسن، قال الصادق عليه السلام في حديث بدر: لقد كان يسأل الجريح من المشركين فيقال من جرحك؟ فيقول: عليّ بن أبي طالب، فإذا قالها مات^(٢).

الرواية الثانية: في حديث المعراج عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: لما رجعت ونظرت إلى السماء، ورأيت في الصعود كلّ سماء عليّ بن أبي طالب يصلي والملائكة خلفه^(٣).

الرواية الثالثة: المعجزة ١٧٤ من معاجز أمير المؤمنين عليه السلام.

عن المقداد بن الاسود الكندي، قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يوم الخندق عندما قتل عمرو بن ودّ العامري - لعنه الله - واقفاً على الخندق يمسح الدم عن سيفه ويحيله في الهواء والقوم قد افرقوا سبع عشرة فرقة

(١) مدينة المعاجز، ج ١، ص ٤٩٧، بعد حديث ٧٨٦ في معجزة رقم ٥١٢.

(٢) المناقب، ج ٢، ص ٢٤١؛ مدينة المعاجز، ج ١، ص ٤٩٨.

(٣) مدينة المعاجز، ج ١، ص ٤٨٨، ح ٧٩١.

وهو في أعقابهم يحصدهم بسيفه^(١).

الرواية الرابعة: المعجزة ١٧٥ عن السيّد الاجل السيّد المرتضى «قدّس سرّه» في كتاب عيون المعجزات: قال: روى أصحاب الحديث عن عبد الله ابن العباس أنّه قال: عقلت النساء أن يأتين بمثل عليّ بن أبي طالب عليه السلام فوالله ما سمعت وما رأيت رئيساً يوازن به، والله لقد رأيت به بصفتين وعلى رأسه عمامة بيضاء، وكأنّ عينه سراج سليلط أو عينيه أرقم، وهو يقف على شزيمة من أصحابه يحثّهم على القتال، إلى أن انتهى إليّ وأنا في كنف من الناس، وقد خرج خيل لمعاوية المعروفة بالكتيبة الشهباء عشرون ألف دارع على عشرين ألف أشهب متسرّبلين بالحديد متراصّين كأنّهم صفيحة واحدة ما يرى منهم إلّا الحدق تحت المغافر، فاقشعر أهل العراق لما عاينوا ذلك.

فلما رأى أمير المؤمنين عليه السلام هذه الحالة منهم، خطب فيهم خطبة عصماء وعظّم فيها وحثّهم على القتال ثمّ قال: فيها أنا شاذّ محمل على الكتيبة، وحملهم حتّى خالطهم. فلما دارهم دور الرحا المسرعة، وثار العجاج فما كنت أرى إلّا رؤوساً بادرة، وأبداناً طافحة، وأيدي طائحة، وقد أقبل أمير المؤمنين عليه السلام وسيفه يقطر دماً وهو يقول: ﴿فَقَتِّلُوا آلَ مَرْيَمَ إِنَّهُمْ عَلَىٰ كُفْرٍ أَنَّهُمْ لَا يَمُنُّونَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾.

وروي أنّ من نجا منهم رجعوا إلى عند معاوية فلامهم على الفرار بعد أن أظهر التحسّر والحزن على ما حلّ بتلك الكتيبة، فقال كلّ واحد منهم: كيف كنت رأيت عليّاً وقد حمل عليّ، وكلّما التفت ورائي وجدته

(١) نفس المصدر، ص ١٨٣، ح ٢٨٨.

يقفو أثري. فتعجب معاوية وقال لهم: ويلكم إن علياً لواحد، كيف كان وراء جماعة متفرقين؟!^(١).

الرواية الخامسة: المعجزة ٤٠٠ عن ابن شهر آشوب في كتاب المناقب: قال إن القوم لما انهزموا يوم الأحزاب انقسموا سبعين فرقة، كل فرقة ترى وراءها علي بن أبي طالب^(٢).

وفي كتاب هداية الطالبين^(٣) للأخوند محمد تقي الكاشاني أن جماعة من أهل السنة شككوا في حضور النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام لدى المحتضر وقالوا بأننا نحضر الموتى إلى قبض روحهم ولا نرى عندهم أحداً.

ثم أجاب المصنف عنها بوجوه:

الأول: إن حضور النبي ﷺ والأئمة، صلوات الله عليهم، عند الموت مما قد ورد به الأخبار المتواترة ولا طريق إلى إنكاره.

الثاني: بأننا لا نرى ملك الموت عزرائيل فهل يكون ذلك سبباً إلى إنكاره؟! إنكاره!

الثالث: إن ظهور الجنة والنار لدى المحتضر من الأمور الواضحة لدى العامة والخاصة مع أنا لا نشعر بذلك.

الرابع: ورد في أخبار الخاصة والعامة في تفسير قوله تعالى: ﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾^(٤) أن الله تعالى أخفى شخص

(١) مدينة المعاجز، ج ١، ص ٤٩٧ - ٤٩٨؛ عيون المعجزات، ص ٥١.

(٢) مدينة المعاجز، ح ٥٦٨.

(٣) هداية الطالبين، ص ٤٤٤.

(٤) سورة الإسراء، الآية ٤٥.

النَّبِيِّ ﷺ عن أعدائه مع أَنَّ أوليائه كانوا يرونه فيمكن أن يحجب الله شخص النبي والإمام عن أعين الحاضرين بحيث لا يراهم غير المحتضر.

الشبهة الثانية: كيف يمكن قبض أرواح الآلاف من الناس في مشارق الأرض ومغاربها فإنه لا يمكن حضور الجسم في زمن واحد في أمكنة متعدّدة أجاب عنها: إنّه يمكن حضورهم بأجساد مثاليّة كما هو صريح القرآن الكريم حيث تمثل جبرئيل لمريم الصديقة في صورة بشر ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾^(١).

كذلك يمكن لأمير المؤمنين ﷺ أن يتمثل بصور عديدة.

وقد نقلت هذه الشبهات ليعلم أنها أثبتت من قبل أهل الخلاف وهي ليست جديدة عندهم بل وجدت في كتبهم القديمة. وقد يدعي جاهل أن لا فرق بين جسم النبي ﷺ وبين جسم سائر الناس مع أنَّ الروايات تنفي هذه السنخية والتشابه إذ أجسام الناس مرّغبة من عليّين وسجّين، من الطيّب والخبِيث، من الخير والشرّ، من النفع والضّرر بينما أجسام النبي ﷺ والأئمة ﷺ خلقت من عليّين خالصة طيّبة، لا يوجد سجين فيها مادة الخبيثة^(٢) وهذا الوهم الخاطي يأتي نتيجة الجهل وقلة المعرفة بأحاديث أئمة أهل البيت، عليهم السلام، الواردة في أبواب الطينة المذكورة في الكتب الروائية.

من هنا فإن من يطلع على التفسير الصحيح لقوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾^(٣) سيعرف أنها أجنبية عن دعوى المستدلّ حيث نفى بها الولاية عن

(١) سورة مريم، الآية ١٧.

(٢) الكافي، ج ١، ص ٣٨٩ (باب خلق أبدان الأئمة وأرواحهم وقلوبهم ﷺ).

(٣) سورة الكهف، الآية ١١٠.

النَّبِيِّ ﷺ والإمام ﷺ كما أنه لو اطلع على أخبار الأئمة ﷺ حيث ورد عنهم أَنَّ الله خلق أرواح شيعتنا من طينتنا لما صدر عنه هذه الكلمات .

وقد أجيب على شبهة التحيز بما ورد في الروايات المتواترة في أقسام الأرواح أَنَّ الله تعالى جعل في المؤمنين روح الإيمان لا توجد في غيرهم من الناس وجعل روح القدس في النَّبِيِّ ﷺ والأئمة ﷺ وإنها كانت مع الأنبياء السابقين تسددهم كما هو صريح الروايات^(١) .

وفي روايات صحيحة أخرى أنَّ روحاً مخصوصاً أنزل على رسول الله ﷺ ما صعد إلى السماء وهي مع الأئمة ﷺ لم يشاركهم فيها أحد ممَّن مضى منها .

عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عن قول الله، عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾^(٢) قال: خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل لم يكن مع أحد ممَّن مضى غير محمَّد ﷺ وهو مع الأئمة ﷺ يسددهم . كذلك في باب الروح التي يسدّد الله بها الأئمة ﷺ بسند آخر صحيح عن أبي بصير مثله إلا أنَّ فيه «وهو من الملكوت»^(٣) .

رواه الصَّفَّار في بصائر الدرجات (جزء ٩ باب ١٨) بسندين آخرين صحيحين عن أبي بصير .

(١) تفصيل هذه الروايات في الكافي، ج ١، ص ٢٧١ (باب الأرواح التي في الأئمة)؛ وج ١، ص ٢٧٣ (باب الروح التي يسدّد الله الأئمة)؛ بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٤٧ - ٩٩، باب ٣ من كتاب الإمامة .

(٢) سورة الإسراء، الآية ٨٥ .

(٣) الكافي، ج ١، ص ٢٧٣، ح ٣ و ٤ .

وروى أبو بصير نحو هذه الرواية عن أصحاب الحديث هم حفص ابن البختري، هشام بن سالم، أبو أيوب خزّاز وحسين القلانسي عن الصادق عليه السلام^(١).

وقد دلّت هذه الرواية الصريحة الصحيحة كما في غيرها من روايات مماثلة أنّ هذه الروح لم تكن مع أحد ممّن مضى غير رسول الله ﷺ والأئمة الهداة عليهم السلام.

وفي البصائر^(٢) (جزء / ٩ / باب / ١٦) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾^(٣) ذكر ١٥ رواية ونقل في الكافي روايتين أنّ هذه الروح هي للنبي ﷺ والأئمة الهداة عليهم السلام لا يشاركهم فيها أحد. فتبيّن أنّ هذه الروح ذكرها القرآن ودلّت عليها الأخبار.

في كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام عن الرضا عليه السلام إنّ الله عزّ وجلّ قد أيدنا بروح منه مقدّسة مطهّرة ليست بملك لم تكن مع أحد ممّن مضى إلّا مع رسول الله ﷺ وهي مع الأئمة ممّا تسدّدهم وتوفّقهم وهو عمود من نور بيننا وبين الله، عزّ وجلّ^(٤).

وهذه الروح التي هي من أمر الله خاصّ لرسول الله والأئمة (صلوات الله عليهم) هي منشأ لحصول آثار يبيّنها الحديث التالي:

(١) بصائر الدرجات، ج ٢، ص ٣٧٣، باب ١٨، ح ٢ [١٦٢٢٧].

(٢) المصدر السابق، ص ٣٦٤.

(٣) سورة الشورى، الآية ٥٥.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ٢٠٠. أخبار عمود النور كثيرة، ورد قسم منها في البحار، ج ٢٥، ص ٣٧ و ٣٨ (باب ٢، أحوال ولادتهم عليهم السلام...)؛ بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ١٣٤، (باب ٤)؛ وج ٢٥، ص ٤٨، ح ٧ (باب ٣).

عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قرأ قوله تعالى: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾^(١) فقال: وهو روح الله لا يعطيه ولا يلقي هذا الروح إلا على ملك مقرب، أو نبي مرسل أو وصي منتجب، فمن أعطاه الله هذا الروح فقد أبانه من الناس وفوض إليه القدرة، وأحيا الموتى،، وعلم بما كان وما يكون، وسار من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق في طرفة عين، وعلم ما في الضمائر والقلوب، وعلم ما في السماوات والأرض^(٢).

ربما يراد من هذه الروح المخصوصة نفس حقيقة مقام الولاية ونور الأنوار الذي هو أعظم من جبرئيل وميكائيل. وفي الرسالة التي صنفتها باسم «نور الأنوار» رويت ما نقل عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال «أنا نور الأنوار»^(٣) ويؤيد هذا الاحتمال روايات عمود النور،^(٤) بما أن بحث الأرواح بحث مفصل، لا يسع هذا الكتاب ذكره نرجع القراء إلى كتاب البحار ومستدرك السفينة «لغة روح»^(٥).

وهنا نضيف ان ما أوضحناه في البحوث السابقة بناء على ما تقدم في آيات القرآن الكريم وروايات أهل البيت عليهم السلام ان بإمكان الملائكة والجن بالقدرة التي أعطاهم الله، عز وجل، التمثل بصورة البشر.

(١) سورة غافر، الآية ١٥.

(٢) بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ٥، ح ١.

(٣) رسالة نور الأنوار، بحار الأنوار، ج ٩٧، ص ١١٧، ح ٨ (باب ٦٠ من كتاب الصوم).

(٤) بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٤٠ (باب ٢).

(٥) مستدرك سفينة البحار، ج ٤، ص ٢٠٣.

فقد ورد في القرآن الكريم أنّ الملائكة الذين أرسلوا لعذاب قوم لوط تمثّلوا على صورة بشر ودخلوا على إبراهيم ولوط .

وكما نقرأ في قصّة مريم أنّ جبرئيل تمثّل لها بشراً سوياً^(١) .

كما نقل أنّ جبرئيل كان يأتي النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي،^(٢) وصريح القرآن حضور الجنّ عند سليمان،^(٣) وقد اتفق حضور الجن عند الأئمة عليه السلام على صورة الإنس وسؤالهم عن معالم دينهم، كما أنّ الأئمة عليه السلام كانوا يستعينون بالجن لقضاء حوائجهم . وهذه الروايات والحكايات من الكثرة ما لا يمكن إنكارها^(٤) .

وبهذه التفاصيل، يتضح أنّه لو صدقنا بتمثّل الجنّ والملك في صورة البشر لكان تصديقنا بتمثّل من هو أعظم وأكرم وأجل وأعلم من جبرئيل أولى، مع ما قد أعطاهم الله من العلم والكمال ما يفوق الخلائق، وهم محمّد وآل محمّد ﷺ . فلإمام أن يظهر بالهيئة التي يريد . فمثلاً، أمير المؤمنين عليه السلام بالقدرة التي أعطاه الله تمثّل في صورة سلمان . والإمام زين العابدين عليه السلام حضر في صورة أخرى إلى كربلاء ودفن الشهداء يوم الثالث بعد عاشوراء حين كان أسيراً بيد الظالمين في الكوفة^(٥) . كما ينقل أنّ

(١) سورة مريم، الآية ١٧ .

(٢) الكافي، ج ٢، ص ٥٨٧، ح ٢٥ .

(٣) سورة سبأ، الآية ١٢ ﴿وَلَسَلِمْنَكَ الرِّيحَ غَدُوهاَ شَرْ وَوَلَحْهاَ شَرْ وَأَسَلْنَا لَهَ عَنَ الْفِطْرِ وَنَ الْجَنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِذِْنِ رَبِّهِ وَمَن يَرْجُ مِنْهُمْ عَنَ آسَرًا يُدْفَنُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٣١﴾﴾ .

(٤) بحار الأنوار، ج ١٨، ص ٧٦ (باب ١٩ من تاريخ نبينا ﷺ)؛ مستدرك سفينة البحار، ج ٢، ص ١١٩، (لغة جنّ) .

(٥) بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٦٩، ح ١٦ .

الإمام السَّجَّاد عليه السلام تمثّل في يوم في صورة الإمام الباقر عليه السلام وتمثّل الإمام الباقر عليه السلام في صورة الإمام السَّجَّاد عليه السلام ^(١). وقد تمثّل الإمام الحجة عليه السلام بصورة بعض السادة وغير السادة كما في حكاية بعض من حضر عنده عليه السلام.

روى المفيد في «الإختصاص»، قصّة رشيد الهجري (وهو صاحب أمير المؤمنين عليه السلام وكان عالماً بالمنايا والبلايا) وطلب زياد إيّاه ودخول رشيد على منزل أبي أراكة بحيث لم يره أحد. وخوف أبي أراكة من ذلك ومجيئه إلى دار زياد ليتجسّس خبره. فبينما هو كذلك، إذ أقبل رشيد على بغلة أبي أراكة مقبلاً نحو مجلس زياد. فلمّا نظر إليه أبو أراكة تغيّر وجهه وأسقط في يده وأيقن بالهلاك، فنزل رشيد عن البغلة وأقبل إلى زياد، فسلم عليه، فقام إليه زياد فاعتنقه فقبّله، ثم أخذ يسأله: كيف قدمت؟ ومن خلّفت؟ ثم مكث هنيئاً، فقام وذهب. فقال أبو أراكة لزياد: من هذا الشيخ؟ قال هذا أخ من إخواننا من أهل الشام قدم علينا زائراً. فانصرف أبو أراكة إلى منزله، فاذا رشيد بالبيت كما تركه ^(٢).

وفي قصّة لطيفة حدثت لقائد جيش أمير المؤمنين عليه السلام مالك الأشر حيث تمثّل في يوم بصورة عمرو بن العاص وفي اليوم الثاني بصورة يزيد وفي اليوم الثالث بصورة معاوية وأمر جند الشام بأوامر فاطاعوه. واليك تفصيلها:

في مناقب ابن شهر آشوب: عن سهل بن حنيف في حديثه أنّه لمّا أخذ معاوية مورد الفرات، أمر أمير المؤمنين عليه السلام مالك الأشر أن يقول

(١) بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ١٦، ح ٢.

(٢) الاختصاص، للشيخ المفيد، ص ٧٨؛ بحار الأنوار، ج ٤٢، ص ١٤٠ (باب ١٢٢).

لمن على جانب الفرات: يقول لكم عليّ: إعدلوا عن الماء. فلمّا قال ذلك، عدلوا عنه، فورد قوم أمير المؤمنين عليه السلام وأخذوا الماء. فبلغ ذلك معاوية فأحضرهم وقال لهم في ذلك، فقالوا: إنّ عمرو بن العاص جاء وقال: إنّ معاوية يأمركم أن تفرجوا عن الماء. فقال معاوية لعمرو: إنّك لتأتي أمراً ثمّ تقول: ما فعلته؟!

فلمّا كان من غد وكّل معاوية حجل بن العتاب النخعي في خمسة آلاف، فأنفذ أمير المؤمنين عليه السلام مالكا، فنادى مثل الأوّل. فمال حجل عن الشريعة فورد أصحاب عليّ عليه السلام وأخذوا منه، فبلغ ذلك معاوية، فأحضر حجلاً وقال له في ذلك، فقال: إنّ ابنك يزيد أتاني فقال: إنّك أمرت بالتنحّي عنه! فقال ليزيد في ذلك، فأنكر، فقال معاوية: فإذا كان غداً فلا تقبل من أحد ولو أتيتك حتّى تأخذ خاتمي.

فلمّا كان اليوم الثالث أمر أمير المؤمنين عليه السلام مالكا مثل ذلك فرأى حجل معاوية وأخذ منه خاتمه وانصرف على الماء، وبلغ معاوية، فدعاه وقال له في ذلك. فأراه خاتمه، فضرب معاوية يده على يده، فقال: نعم، وإنّ هذا من دواهي عليّ عليه السلام.^(١)

وهذه القضايا شبيهة بقضية عيسى ابن مريم عليه السلام حيث أنّ الله تعالى ألقي شبهه على مؤمن، فأخذوا المؤمن وقتلوه، ورفع الله تعالى عيسى من الأرض حيّاً^(٢).

(١) المناقب، ج ٢، ص ٣٣٢؛ بحار الأنوار، ج ٤٢، ص ٣٥، ح ١٠ (باب ١١٦ من تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام).

(٢) بحار الأنوار، ج ١٤، ص ٣٣٥ (باب ٣٢ من كتاب النبوة).

وهذه الموارد ذكرتها بالتفصيل في كتاب مستدرك سفينة البحار في لغة «شبه»^(١).

ولابدّ من التنبيه أنّه لا يلزم في هذه الموارد أن تنعدم الصورة الأولى لتحديث الصورة الثانية، ولا دلالة بأن يقول قائل أنّ جبرئيل حين كان يتمثل على صورة البشر كان يُعَدُّ شخصه الأصلي، كذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) فربّما تمثّل بصورة أخرى وبقي شخصه الأصليّ على حاله لم يتغيّر.

وحين أمكن تمثله بصورة أخرى كذلك أمكن أن يُرى في أمكنة متعدّدة بصورتين أو ثلاث صور أو ٤٠ صورة بل وأكثر من ذلك إلى ١٠٠٠ صورة لإمكانه ولقدرة الله على فعل كلّ ممكن وهو على كلّ شيء قدير.

نقل لي العلامة المرجع الديني السيّد محمود الشاهرودي في ١٠ / صفر / ١٣٨٤ هـ ق:

عن يونس بن ظبيان قال: استأذنت يوماً على أبي عبد الله (عليه السلام)، فدخلت نظرت إلى رجل على صورة أبي عبد الله (عليه السلام) فسلمت عليه، فقال لي معتب (خادم الإمام): ادخل، فدخلت الدار الثانية، فإذا رجل على صورته (عليه السلام)، وإذا بين يديه خلق كثير، كلّهم صورهم واحدة^(٢).

كان العالم الجليل والثقة النبيل الشيخ أسد الله من تلاميذ العلّم الكامل الحاج ميرزا حبيب الله الرشتي في النجف شاكراً في الحديث

(١) مستدرك سفينة البحار، ج ٥، ص ٣٤٠، ٣٤٢.

(٢) بحار الأنوار، ج ٥٩، ص ١٩٦، ح ٦٢ (باب ٢٣ من كتاب السماء والعالم).

المشهور «كان أمير المؤمنين عليه السلام في أماكن متعددة في ليلة واحدة». فرأى أمير المؤمنين عليه السلام في المنام وسأله عن هذا الحديث، فقال: إنك لا تعقل ذلك، فانظر إلى أطرافك. قال: فنظرت، فإذا في كل الأطراف يرى أمير المؤمنين عليه السلام، فارتفع الشك عني.

ثم سأله عن الحديث المعروف من ادّعى الرؤية في زمن الغيبة فكذبوه^(١) وما نقل من الحكايات في رؤيته، فقال: كل ذلك صحيح، لأنّ الأول محمول على الرؤية والمشاهدة مع معرفة شخص الإمام الحجة عليه السلام، وفي الحكايات لم يعرفوه حين الرؤية والمشاهدة، بل عرفوه بعد الرؤية والمشاهدة، وعليه شواهد من الروايات الأخر.

ثم قال له: أنت رأيته مرتين أو مرّات. منها في حرمي في طرف زاوية الرجلين حين رأيت أمامك سيّداً جليلاً يقرأ ويصلي ويدعو، فرأيته في أحسن حالات، فنويت أن تعطيه جينة (عملة ذلك اليوم) ثم بعده نويت أن تعطيه جينتين، ثم نويت ثلاثة لما رأيت من حسن قراءته ودعائه. فلمّا أردت أن تخرجها ولم يكن لك غيرها. توجه إليك فقال: أنت أحوج. ولم يقل لك شيئاً آخر. قال الشيخ: فوالله لقد وقع ذلك وكنت قد نسيت^(٢).

ولا بأس بذكر مثال هنا ليتعرف القراء على ما نريد اظهاره. فيمكنك أن تصوّر أنك سحبت سلكاً من محطة الكهرباء إلى بيتك، فباستطاعتك بالاستفادة من هذه الطاقة أن تضئ بها خمسة مصابيح أو عشرة أو حتّى مائة مصباح؛ ففي جميع تلك المصابيح - من غير استثناء - يكون مصدر

(١) بحار الأنوار، ج ٥٣، ص ٣١٨.

(٢) مستدرک سفینه البحار، ج ٤، ص ١٨.

الطاقة لديك من المحطة، وكل مصباح يأخذ حاجته من الطاقة الكهربائية ليضيء، من دون أن يؤثر ذلك على المصابيح الأخرى.

أمير المؤمنين عليه السلام، أيضاً، هو نور الأنوار، أي مثل الطاقة المذكورة في المثال؛ يستطيع أن يتمثل بأربعين صورة أو أكثر من ذلك، كذلك بإمكان النبي صلى الله عليه وآله وسائر الأئمة عليهم السلام مجتمعين أو منفردين أن يحضروا في وقت واحد عند ألوف المحتضرين، بأي شكل يريدون، ولو كره الجاهلون.

الدليل الثاني الذي استدلّ به لنفي الولاية التكوينية هو ما عرّفه المستدلّ بزعمه المخالف للمشهور لمعنى التوحيد الأفعالي. فقال هو اختصاص الفعل بالله، عزّ وجلّ، بحيث لا يتّصف بها غيره كالقيومية والولاية على جميع الأشياء كما ورد في القرآن الكريم ﴿هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾... (١).

وجواب ذلك: أن الله هو الحي بالذات ولم يرث الحياة من حيّ، هو القيوم على خلقه وهو الحافظ لهم منزّه عن صفات خلقه وكلّ هذه الصفات مختصة بالله لا يشاركه فيها أحد، والمخلوق كلّ ما يملكه فهو عطاء من الله، وكمالاته موهبة الله له.

والمخلوق حيّ بغيره وإن ولي مخلوق مخلوقاً آخر فهذه الولاية ليست ذاتية له بل الولاية والسلطة ووجوب الطاعة موهبة الله ولطفه

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥٥.

وإحسانه. فالله خالق الكون يعطي ما يشاء لمن يشاء والنبي ﷺ والإمام عليه السلام حيث لهم العلم بأحوال الخلق ولهم القدرة على تغييرها، فقد ورثوا هذا العلم والقدرة من الله تعالى.

والله سميعٌ بصير، سميع بغير جارحة، وبصير بغير آلة، والمخلوق يسمع ويبصر بالله وبمقدار ما ملكه الله وربما أعطى لمخلوق ما يسمع به كل الأصوات وعينا يبصر بها كل الأشياء، فيكون عين الله الناضرة في خلقه^(١).

وأراد الله أن يختص من خلقه لمقام الولاية والسلطنة ووجوب الطاعة ويجعله عالماً قادراً على كل شيء ويكون مثله الأعلى كما في القرآن الكريم: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾^(٢).

وبالجملة فإن كمالات الله ذاتية، غير مجعولة، وغير متناهية، وغير محدودة. والمخلوق، فإن كمالاته محدودة، ومتناهية، ومجعولة، وغير ذاتية. ومن قال بأن الكمالات ذاتية للمخلوق فإنه أشرك غير الله بالله، ولا ينسب الشرك لمن نفى صفة الذات عن المخلوق.

وقد أخطأ المستدلّ حيث أطلق في كلامه ونفى اتّصاف المخلوق بصفات الله إذ قد يتّصف المخلوق ببعض صفات الخالق كصفة العادل والمؤمن والمتكلم والمريد والمدرّك والعزیز والقادر والعالم والصادق وهذا ممّا لا شكّ فيه نعم لو أراد المستدلّ من لفظة الإطلاق ما أوردناه، صحّ كلامه.

(١) بحار الأنوار، ج ٤١، ص ٣٥٨، ح ٦٥ (في عبادِهِ).

(٢) سورة النحل، الآية ٦٠.

الدليل الثالث الذي استدَلَّ به لنفي الولاية التكوينية أَنَّهُ لو جعلت الولاية عَلَى كُلِّ شَيْءٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ والإمام ﷺ، فلماذا لا يدفعون الشر عن أنفسهم أو يسألون الله الحفظ؟

والجواب: ما ورد فِي القرآن الكريم فِي ذَمِّ أعداء الله من الكفَّار والمشرِكين والبراءة منهم واللعنة عليهم مع قدرة الله عَلَى إهلاكهم. فهل يصحَّ أن ننفي القدرة عن الله لَأَنَّهُ لم ينتقم منهم؟! أفهل يلزم فعل كل ما يُقدر عليه؟!

وهل كان رسول الله ﷺ، الَّذِي صرَّح القرآن الكريم بأنَّه أُولَى بالمؤمنين من أنفسهم، ليأخذ من أموال المؤمنين ويتصرَّف فيها من غير طريق المعاملات المقرَّرة فِي الشرع؟! فلم يخرج النَّبِيُّ ﷺ فِي أموره العادية الإجتماعية عن الحدِّ المتعارف، ولم يلب حاجاته من الأولوية. وقد عقد النَّبِيُّ ﷺ هَذِهِ الأولوية لِأَمِير المؤمنين ﷺ فِي يوم الغدير، وثبتت هَذِهِ الأولوية لسائر الأئمة ﷺ، فلم نجدهم يعملون بِهَذِهِ الأولوية فِي حياتهم الإجتماعية، بل يسرون حسب المعاملات المقرَّرة شرعاً.

والحكمة الَّتِي اقتضت أن لا يعتمد النَّبِيُّ ﷺ الأولوية فِي حياته الطبيعية هي نفس الحكمة الَّتِي إقتضت أن لا يتصرَّف بالولاية سوى فِي موضع الإعجاز. كما أنَّ الحكمة الَّتِي عَلَى أساسها يدفع الله شرَّ الأعداء، هي الحكمة نفسها إقتضت أن لا يدفعوا كيد أعدائهم من طرق غير عادية.

واقتضت حكمة الله البالغة فِي الخلق أن يجعل الدنيا داراختبار وامتحان، وأن يكون العبد مختاراً فِي فعله غير مجبر ولا مكره فِي أمور

دينه، يعرف طريق الخير عن الشرّ بتعريف الحجّة له ذلك، فيأمره بفعل الخير ويزجره عن فعل الشرّ، فيثيب المطيع ويعاقب العاصي.

كما إقتضت حكمته تعالى أن يجعل عباده مختارين في أفعالهم غير مسلوبى الإختيار، وقدّر لهم آجالهم. وعلى هذا، فإنّ النّبى ﷺ والإمام ﷺ لا يمنعون عن نفوذ قدرة الله وسلطانه ولا يفسدون نظام الخلقة إلّا في موارد خاصّة أذن الله فيها بإظهار المعجزة.

وفي موارد صدور الدعاء عنهم، لا بدّ من التنبيه على أمور:
الأوّل أنّ الدعاء في نفسه له محبوبيّة ذاتيّة بغضّ النظر عن الإستجابة أو عدمه.

ثانياً: أن دعاء العبد وتضرّعه إلى الله لا ينافي التسليم بقضاء الله وقدره.

والنّبى ﷺ والأئمّة ﷺ كسائر عباد الله أمروا بالدعاء وعرض حوائجهم على الله. ولا يخفى أنّهم، صلوات الله عليهم، في موارد خاصّة (كدفع كيد الأعداء في حالات معيّنة) أيضاً لا يريدون منه إلّا ما يريد لهم^(١).

من هنا، لا يجوز لأحد أن يعترض على إبراهيم الخليل بأنه كان يعلم الإسم الأعظم، فلماذا لم يسأل الله أن يدفع البلاء عن ولده؟ أو الربّ الذي أمسك يدي إبراهيم عن ذبح ابنه حتّى إنّ المديّة لم تؤثر في رقة إسماعيل، لماذا لم يمنع عن وقوع مصائب يوم عاشوراء؟

(١) بحار الأنوار، ج ٤٦، ص ٢٢، ح ١ (باب ٣ من تاريخ علي بن الحسين ﷺ).

وهناك آلاف من الحكم الربّانية التي يعجز الإنسان عن فهمها .

هل يمكن لصبي في الصف الأول أن يفهم كلام الأستاذ الجامعي العالم؟ كلاً، لا يمكن له ذلك إلا إذا أطلّ درسه واستمرّ في تعلّمه من الأستاذ. ولكن العبد الضعيف حتى لو درس ألوف السنين، لا يستطيع أن يصل إلى مرتبة الألوهية. وأنى للعبد الضعيف فهم أسرار وحكم أفعال الله، عزّ وجلّ.

وعباد الله المصطفون تجدهم دائماً في مقام التسليم لله، عزّ وجلّ، فهذا إبراهيم الخليل حين همّ يذبح ولده إسماعيل أخيره بالأمر، فقال له إسماعيل: ﴿يَتَأْتٍ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ﴾^(١) ولم يعترض على أبيه أو يسأله الدعاء لرفع البلاء.

ونحن حيث نعتقد ونعلم أن النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام لديهم الاسم الأعظم وأنهم مستجابو الدعوة مع ذلك فإنهم لم يسألوا الله الاسم الأعظم ليصرف عنهم أو عن أرحامهم أو عن شيعتهم شرّ الأعداء وحوادث العقاب دائماً. والحكمة التي اقتضت أن يصبروا على البلاء ولا يسألوه دفع البلاء دائماً هي نفسها اقتضت أن لا يعملوا قدرة الرسالة والإمامة. فمثلاً، كان باستطاعتهم تسخير الجنّ والاستعانة بهم لدفع كيد الأعداء، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: أن يفرّ من قضاء الله إلى قدره. وقد استدل الخصم بقوله: «إغفر لمن لا يملك إلا الدعاء»^(٢) ونفى بها ملكية الإمام لكل شيء.

(١) سورة الصافات، الآية ١٠٢.

(٢) من فقرات دعاء كميل.

أقول: لازم هذا الاستدلال نفي ملكية النبي ﷺ والأئمة ﷺ لأي شيء من مال الدنيا حتى قميصه الذي يلبسه.

ولا يخفى أن كلمات النبي ﷺ والأئمة ﷺ في الأدعية والمناجاة هي لإظهار العبودية والخضوع والخشوع لله، عز وجل، ويقصدون بذلك إفهام الناس أن ما لديهم ليست ذاتية لهم وإنما لطف وإحسان من الله، عز وجل، وهم في مقام الإعراف بأنهم عباد مخلوقون متواضعون متضرعون بكاؤون. من هنا، ليس من المناسب أن ينسبوا مواهب الله ونعمه إلى أنفسهم كأن يدعو النبي فيقول: أنا الذي خصصته بالنبوة، أو يدعو الإمام فيقول: أنا الذي نصبته للإمامة وأعطيته الولاية.

والحكمة الأخرى هي أنهم لم يدفعوا شر الأعداء عن أنفسهم من غير الطرق العادية - أي باستخدام المعجزة - كما تكرر ذلك كثيراً في كلماتهم. وفي العمل، يسلّمون أنفسهم للعوارض وحالات المخلوقية والبشرية. ومن هنا، فهم ينفذون أمر الله في قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾^(١)، لكي لا يدعي الجهال لهم مقام الربوبية والألوهية ويعبدونهم من دون الله، عز وجل. وبما أنهم ذائبون في محبة الله، وليس كمثلهم من يحب الله. فمن يجعلهم آلهة فكأنه يوهن الله مما يثير غضبهم فيدفعون بجميع قواهم الموهنين لله، ويسوقون الناس إلى الله.

ولا يخفى بأن الأئمة ﷺ، ومع أنهم أثبتوا في أقوالهم وأفعالهم بأنهم عباد مخلوقون مربوبون وأسلموا أنفسهم للأثار والعوارض وحالاتهم الخاصة بأنهم من المخلوقات، فقد ظهر من الجهال من

(١) سورة الكهف، الآية ١١٠.

يَتَّخِذُهُمُ آلِهَةً، وَأَدْعُوا أَنَّهُمْ آلِهَتُهُمْ. وإذا لم يظهر النَّبِيُّ ﷺ والأئمةُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حالات التَّعَبُّدِ والخشوع، فماذا كان يقول هؤلاء الجَهَّال في حقِّهم؟!

الشبهة الثالثة: لقد رفض رسول الله ﷺ أن يستجيب للكفار حين طلبوا منه التصرف في الأمور التكوينية كما نقرأ ذلك في سورة الاسراء الآية: ٩٠^(١) وهو لا يتفق مع قولكم بالولاية التكوينية للنبي ﷺ والإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ.

أقول: لقد ترجم هذا الكاتب هذه الآية حسب رأيه وتخمينه، وإني قد ذكرت الآية بشكل مفصل لكي يحكم القارئ ويختار الحق:

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ۖ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ تَحِيلٍ وَعَنَبَ فَتَفْجَرِ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ۖ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا مِثْقَالًا ۖ أَوْ تَأْتِيَ بَالَهُ وَالْمُتَبَكِّعَةُ قَبِيلًا ۖ﴾ (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ ذُرْهُهُ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفَيْكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ۖ﴾ (٩٣) وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ۖ﴾ (٩٤) (٢).

يعني: أنا بشر مثلكم، فكيف تأمروني أن أحضر لكم الله؟ أو هل يمكن إحضار الله، أو أنه عز وجل كال مخلوقين يجيء ويذهب ويتحرك ويقابل شيئاً حتى يؤتى به؟

أفكل ما يقترحه عباد الله فيه صلاحهم؟ أو هل يستطيع أحد أن يحضر الله عز وجل؟ أفي إحضار الملائكة مصلحة للناس؟ أو ليس في

(١) ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ إلى الآية ٩٣.

(٢) سورة الإسراء، الآيات ٩٠ - ٩٣.

القرآن في سورتي الحجر والأنعام (الآية ٨ منهما)^(١) ﴿وَلَوْ أَرْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ
الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾ أفي سقوط السماء وهلاك الناس مصلحة في الخلق؟
وحيث سمع النبي من الكفار مقاتلتهم أجابهم، فقال: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ
مِثْلُكُمْ﴾ ولكن خصني الله بالنبوة وأمرني باتباع الوحي.

وصحيح أن الخلق بأجمعهم منقاد لرسول الله ﷺ ولكن لا يعني
ذلك أن يأتي النبي ﷺ بالمستحيل كأن يحضر الله، عز وجل أو أن يغير
قوانين وأسباب الخلقة، كلما طلب منه ذلك المعاندون.

وإنما الأمر إلى الله عز وجل لا يفعل النبي شيئاً إلا بأمر من الله عز
وجلّ، وهذا مقتضى الاختبار والامتحان الإلهي والرباني.

وأما سائر ما طلبوه (كأن يكون النبي صاحب قصور يحتجب فيها
وعبيد وخدم يسترونه عن الناس) فإضافة إلى أنه يمدور أي بشر فعل
ذلك، فإن في إتيان ذلك تضييع للرسالة وتفويت للحجة والبرهان كما ورد
مفصلاً في تفسير هذه الآية الشريفة^(٢).

ومن الواضح أنّ هدف بعثة الأنبياء والمرسلين هداية الخلق
وإرشادهم ولا تنافي بين هذا وبين ثبوت الملك والسلطنة والرياسة
والولاية التكوينية لهم بل يكون ذلك تثبيتاً لمقام الرسالة (وشهادة من الله
بالصدق للنبي). وحين يرى الناس هذه الخوارق للعادة التي يعجز الناس
عن إتيانها، فإن ذلك سيكون أدعى لثبوت الإيمان في قلوبهم كما أنّ الله

(١) سورة الحجر، الآية ٨ ﴿مَا نَزَّلْنَا الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا تُنْظَرِينَ﴾.

سورة الانعام، الآية ٨ ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَرْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾.

(٢) تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٢٤٩، ذيل الآية ٩٤ من سورة الإسراء.

تعالى أعطى ليوسف وداود وسليمان ﷺ ما شاء من السلطنة والولاية التكوينية، وأعطى لمحمد ﷺ وعترته الطاهرة ﷺ - كما مرّ مفصلاً - الملك العظيم.

الشبهة الرابعة: هل تكفي ولاية وكفالة الله على الخلق أم لا؟
فإن كانت كافية، تكون ولاية غيره لغواً وعبثاً؟ وإن لم تكن كافية فوليّه المنسوب من قبله أيضاً لا تكون ولايته كافية؟
الجواب: إننا نتساءل هل الله يكفي لضبط أعمال عباده أم لا؟ إذا قلنا يكفي، فأمر الله ملائكته حفظه يحفظون أعمال العباد يكتبونها صباحاً ومساءً كما هو صريح آيات القرآن الكريم^(١) يكون لغواً وعبثاً.
كما نتساءل: هل الله يكفي لحفظ أعمال العباد وتدبير أمورهم؟ فإذا كان الله يكفي أمور عباده، فلماذا جعل ملائكة لحفظ عباده كما هو صريح القرآن في قوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾^(٢)؟ ولماذا جعل ملائكة لتدبير أمور الخلق فقال تعالى: ﴿فَالْمَدِيرَاتِ أَمْرًا﴾^(٣)؟
أو ليس الله بكاف عبده يحفظ أمورهم ويدبر شؤونهم؟ فهو لا يحتاج إليهم، فإن الله بذاته القدوسة يكفي أمور عباده من غير حاجة إلى أحد. سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

(١) سورة ق، الآيةان ١٧ و ١٨ ﴿إِذْ يَنْكَلِ الثَّلَاقِيَانِ مِنَ الْبَيْنِ وَحِينَ الثَّلَاقِيَانِ فِيهِ﴾ (١٧) مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ .

(٢) سورة الانعام، الآية ٦١ .

(٣) سورة النازعات، الآية ٥ .

فقد شاءت إرادة الله أن يختار من عباده صفوة يشرفهم على جميع خلقه، يتلطف بهم ويحسن إليهم ويجعلهم مثله الأعلى، فعلمهم وقدرتهم مثل علم الله وقدرته ﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (١).

الله بذاته القدوس خالق للسموات والأرض والحافظ لها والقيوم عليها: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (٢).

وكل تصرف لرسول الله ﷺ والأئمة عليهم السلام في الكون في ما أقدرهم الله تعالى وأذن لهم، وليس لهم إستقلالية في هذه الأمور إذ لازم القول بالاستقلالية تعطيل الله وانعزاله عن السلطنة، وهذا كفر صريح.

إن الله مستقل في أفعاله، صفاته الكمالية ذاتية له، منزه ومبرئ عن النقص والعيب، ولكن النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام مخلوقون محدودون، عباد مكرمون أعطاهم الله الولاية والقدرة والسلطنة على جميع الخلق بفضلله العليم ورحمته الواسعة والحمد لله رب العالمين كما هو أهله، ولا إله غيره.

الأسباب المؤدية لإنكار فضائل الأئمة عليهم السلام

هنا لا بأس بذكر الأسباب التي تؤدي إلى إنكار فضائل الأئمة المعصومون عليهم الصلاة والسلام فمنها:

أ: الأئمة الشديد بكتب أهل الخلاف وخرافاتهم ونتيجة ذلك التقليل من مقام الإمامة.

(١) سورة الأنبياء، الآية ٢٣.

(٢) سورة الرحمن، الآية ٢٩.

ب: دحض وسحق بعض الفرق؛ كالصوفيّة والشيخيّة فما صدر من هذه الفرق في فضائل ومناقب العترة الطاهرة يحاول هؤلاء إنكاره والتشكيك فيه، غافلين بأنّ كلمات وآراء أصحاب هذه الفرق في التوحيد تكفي في الدلالة على فساد مذهبهم وضلالة رأيهم، وقد فصلت الحديث عن ذلك في كتاب تاريخ الفلسفة والتصوّف؛^(١) فراجع.

ج: من موانع عدم تصديق هؤلاء لفضائل أئمة أهل البيت ﷺ عدم تتبّعهم لأخبارهم وآثارهم ﷺ. ومن المؤسف أن كثيراً من طلاب العلوم لا يفحصون في الآيات والروايات المرتبطة بأصول الدين، فيروجون مثل تلك الافكار الناقصة.

د: زعم البعض ان حالات النبي ﷺ والأئمة ﷺ كأكلهم وشربهم ونومهم ونكاحهم وسائر أحوالهم يمنع من ثبوت الولاية المطلقة لهم وهذا القول هو كتكذيب الأولين من الأمم لأنبيائهم حيث قالوا: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾^(٢).

وقد أجاب الله عن قولهم هذا، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلِيسُوكَ﴾^(٣).

وفي الآية دلالة على إمكان اجتماع شؤون الملكوتي والبشري.

هـ: عجز بعض المنكرين عن إثبات ما جاء به النبي ﷺ والإمام ﷺ

(١) تاريخ الفلسفة والتصوّف، ص ٣٧.

(٢) سورة الفرقان، الآية ٧.

(٣) سورة الأنعام، الآية ٩.

من الكرامات، فكان ذلك سبباً لإنكارهم هذه الكرامات، يقول الله تعالى عن هذه الفئة: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ، فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَافٍ قَدِيرٌ﴾^(٢).

تبين هاتان الآيتان أن الموضوع الذي يستنتج من القرآن وتفسير العترة الطاهرة لابد من قبوله، ولا يجوز رده أو إنكاره بمجرد عدم فهمه.

نقل في «مدينة المعاجز» عن عيون المعجزات إن عمر بن فرج الرخجي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام (محمد بن علي الجواد) عليه السلام إن شيعتك تدعي أنك تعلم كل ماء في دجلة وزنه؟ وكنا على شاطئ دجلة. فقال عليه السلام لي: يقدر الله تعالى أن يفوض علم ذلك إلى بعوضة من خلقه أم لا؟ قلت: نعم، يقدر. فقال: أنا أكرم على الله تعالى من بعوضة ومن أكثر خلقه^(٣).

ولو قلنا بكفاية هذا الحديث لوحده في ثبوت فضل أئمة أهل البيت عليه السلام، لم ندع جزافاً.

(١) سورة يونس، الآية ٣٩.

(٢) سورة الأحقاف، الآية ١١.

(٣) منتهى الآمال، ج ٢، ص ٥٣٥؛ بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٠٠، ح ١٢ (باب ٢٨ من تاريخ الإمام الجواد عليه السلام).

الخاتمة

إجابة على بعض الأسئلة

وفي الختام، لا بأس بذكر حادثة حصلت لي . فقد كنت مشغولاً بتعقيبات صلاة الصبح، وكان أحد السادة جالساً أمامي وهو ينتظرني لكي أكمل التعقيبات . فقال لي : تباحث ليلة أمس مع رجل عرض عليّ عذّة مسائل . قلت له : يا هذا، رأيّتك تصلّي، فلمَ لم تقرأ تسبيحة الزهراء في تعقيبات صلاتك ألا تعلم أنّه لم يلزمه عبثٌ فشقي، وقراءتها بعد كلّ فريضة أفضل من ألف ركعة في كلّ يوم وسبب لغفران الذنوب . قال لي : سمعاً وطاعة .

قلت له : هات مسائلك . فقال : قال لي قائل : لا يجوز طلب الحاجة من أبي الفضل أو الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام فإنّ الله قاضي الحاجات ولا يكون غيره قاضي الحاجات، فإنّه يقتضي الشرك بالله العظيم .

قلت له : ألك سؤال آخر؟ فقال : هل هذا الحديث : «لولاك لما خلقت الأفلاك» صحيح؟ قلت له : ألك سؤال آخر؟ فقال : هل هذا الحديث صحيح، قال أمير المؤمنين عليه السلام : «إنّا صنائع ربّنا والناسُ بعد صنائع لنا؟ وإذا كان صحيحاً فما معناه؟ قلت له : ألك سؤال آخر؟ قال :

هل قرأت كتاب درس من الولاية وهل تثق بالأحاديث المنقولة فيه؟ وهل تصحح الروايات الواردة في الكتاب؟ قلت له: ألك سؤال آخر؟ قال: هل تحدث الفقهاء والمجتهدون عن الولاية التكوينية والتشريعية؟ وهل يقرّون بها؟

قلت: بسم الله الرحمن الرحيم.

أما الجواب عن السؤال الأول: فقد ورد في كثير من الروايات تجاوزت المائتين فضل السعي في قضاء حوائج الإخوان المؤمنين وأكدها النبي ﷺ.

فعنه ﷺ (كما في كتاب الفقيه باب الإعتكاف) أنّه قال من سعى في حاجة أخيه المسلم، فكأنما عبد الله عزّ وجلّ تسعة آلاف سنة^(١).

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال:

قضاء حاجة المؤمن أفضل من ألف حجة مُتَبَلِّلَةٍ^(٢).

فلو سعى مؤمن لقضاء حاجة أخيه المؤمن وقضى له ثلاث حاجات من حوائجه، أفلا يصح أن نقول عنه قاضي حوائج ذلك المؤمن؟ وإذا قضى حاجات إخوانه المؤمنين وكان محبّاً لفعل ذلك مجتهداً فيها، أفلا يصحّ أن نقول عنه هذا قاضي حاجات المؤمنين؟

قال: نعم، هذا صحيح وواضح.

(١) من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ١٨٩، ح ٢١٠٨.

(٢) وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٣٦٤، ح [٢١٧٧٣] (باب ٢٦، استحباب اختيار قضاء

حاجة المؤمن على غيرها...).

قلت: هناك شخص أَلَف كتاباً في الدعاء أثبت فيه أن أحد شرائط الدعاء التوسّل بأئمة أهل البيت عليهم السلام والتوسّل معناه أن يقسم على الله بحق أهل البيت عليهم السلام ليقضي حاجته. طبعاً لا بدّ وأن يلتفت الداعي أن لا يطلب من غير الله حاجته لأنّ قاضي الحاجات هو الله، عزّ وجلّ، فيعلم من كلام هذا الكاتب عدم صحّة إطلاق قاضي الحاجات على غير الله. ونتيجة هذا النوع من الإستدلال هو أن نلتزم ونقول بأنّ الله عادل وعالم وقادر ومؤمن وسميع وبصير، ولا يكون غير الله عادلاً ولا عالماً ولا قادراً ولا مؤمناً ولا سميعاً ولا بصيراً.

نعم، إنّ الله قادر وغنيّ بذاته القدّوس قاضي الحاجات، والمخلوق بالقدرة والغنى المعطاة له من الله يقضي حوائج غيره.

ثمّ لا بدّ وأن نسأل من مؤلّف كتاب الدعاء أن إذا مكّنك الله بأن تقضي حاجة لمؤمن سواء كانت تلك الحاجة ماديّة أو معنويّة ألا تكون قاضي حاجاته؟ ثمّ أفلا يصحّ أن يسأل غيرك في قضاء حوائجه لكونك قضيت له بعض حوائجه؟ فكيف يصحّ إطلاق قاضي الحاجات لواحد من الناس ونفيه عن النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام وأبي الفضل عليه السلام؟!

أو تقولون أنّ هؤلاء قد ماتوا وهم متنعمون في الجنّة وليس لهم خبر عن أهل الدنيا ولا يقدرّون على قضاء حاجة من حوائج أهل الدنيا ولكنكم تقطعون بكذب هذا الدعاء لأنكم تدعون أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام بالعلم والقدرة التي أعطاهم الله يعلمون ويقدرّون على فعل كلّ شيء وقدرتهم لا تنقص بذلك بل تزداد ساعة بعد ساعة، فلماذا لا نعتقد أنّهم يقضون الحوائج؟

أضف إلى ذلك ان لو كان طلب الحوائج من غير الله شركاً، فلماذا طلب سليمان ذلك من الحاضرين في مجلسه وذكرها القرآن حكاية عنه :

﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بَعْرُشَهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُوَنِي مُسْلِمِينَ﴾^(١).

كذلك سؤال يعقوب من أولاده :

﴿يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَجِدٍ وَادْخُلُوا مِن أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾^(٢).

وحيث وصلنا في الكلام إلى هنا ، فأنا أسألكم سؤالاً آخر : إذا أعطاكم الله عشرات الحقول من المزارع ومئات القرى ولو سلّطكم على مملكة بأكملها ، ألا تكون مختاراً في تصرفك في أموال و ثروات تلك المملكة؟

ولمّا أعطى الله لسليمان الملك وجعله ملكاً على الجنّ والإنس والوحش والطير وقال له : ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٣) ألم يكن سليمان مختاراً في التصرف بأن يعطي من يشاء ما يريد؟

والآن ، تصوّر شخصاً هو «حجّة الله» و«خليفة الله» و«أمين الله» في خلقه في الفضل والشرف والعلم والقدرة يفوق كلّ المخلوقات ، بتملك الله صار مالكاً وسلطاناً على الدنيا والآخرة ، يعلم ويرى ويقدر على فعل كلّ شيء ، وأعطى الاختيار والمنع ، فكيف تقول ان مثل هذا لو عرضت عنده حاجة يعد ذلك شركاً بالله؟!

(١) سورة النمل ، الآيتان ٣٨ و ٣٩ .

(٢) سورة يوسف ، الآيتان ٦٧ و ٦٨ .

(٣) سورة ص ، الآية ٣٩ .

وقد صرّحت الروايات بجريان هذه الآية: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ يُغْنِرَ حِسَابَ﴾ (٣٩) في النبي ﷺ والإمام علي عليه السلام (١). ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُتِلْتُمْ فَمِنَ نِّسَائِكُم مَّنْ يُغْنِي عَنْكُمْ وَالَّذِينَ أُقْتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَسْبُهُمْ وَلَا جُنْدُهُمْ لِلَّهِ فِي شَيْءٍ خَالِفٍ﴾ (٢).
 ربّ احكم بيننا وبين قومنا بالحق وأنت أحكم الحاكمين.

وأما طلب الوسيلة من الله كما ورد في القرآن الكريم ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ (٣) فهو عمل محبوب ومطلوب، وقد أمرنا به غير قابل للشك.
 وأما الأمور التي يجعلها المؤمن وسيلته إلى الله فهي.

أولاً: صفات الله عزّ وجلّ، كرمه وجوده وعفوه ورحمته كما تدلّ عليه الأدعية المأثورة.

ثانياً: الإيمان بالله، عزّ وجلّ، كما ورد ذلك في الأحاديث (٤).

ثالثاً: كتاب الله، فإنّ القرآن الكريم أيضاً وسيلتنا إلى الله، عزّ وجلّ.

من هنا فلا شك ولا شبهة في مثل هذه الأمور.

أما أن يكون النبي الأعظم ﷺ وسيلتنا إلى الله فهو مما ثبت بالروايات المتواترة عند العامة والخاصة، (٥) ولا يشكّ بذلك مسلم إلّا إذا كان جاهلاً مغروراً بنفسه. وكون الأئمة الهداة عليهم السلام وسيلتنا إلى الله، عزّ وجلّ، ممّا تؤكّده الروايات والزيارات المأثورة الواردة

(١) سورة ص، الآية ٣٩؛ البرهان، ج ٧، ص ٤٨٠، ح ٣ و ٧.

(٢) سورة النجم، الآية ٢٢.

(٣) سورة المائدة، الآية ٣٥.

(٤) الكافي، ج ٢، ص ١٤، ح ١، وص ٣٣ (باب في أن الإيمان...).

(٥) بحار الأنوار، ج ٩٤، ص ٤٣، ح ٢٦ (باب ٢٨ كتاب الذكر والدعاء)؛ وج ٩٥،

ص ٣٩١ (باب ١٢٩)؛ وج ٩٧، ص ٢٩٥ (باب ٤).

عنهم^(١). ففي حديث الإمام زين العابدين عليه السلام في بيان قضايا آدم عليه السلام وإنه لما رأى أشباح محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام قال الله يا آدم: هؤلاء خيار خليقتي وكرام بريتي، بهم آخذ وبهم أعطي وبهم أعاقب وبهم أئيب. فتوسّل إليّ بهم، يا آدم...^(٢).

وقد ذكر العلامة النجفي المرعشي في تذييلاته على إحقاق الحق (ج ٤، ص ٩١؛ وج ٩، ص ١٠٤ و ١٠٥) الروايات المنقولة من طرق العامة في توسّل آدم بالنبي صلى الله عليه وآله والأئمة الهداة عليهم السلام.

كما ذكرها العلامة الجليل الفيروزآبادي في كتابه الشريف «فضائل الخمسة» (ج ١، ص ١٧٠) وفي كتاب «الغدير» (ط ٢، ج ٢، ص ٣٠٠؛ طبع جديد، ج ٢، ص ٤٢٢).

قد ورد في كتاب «التاج الجامع لأصول الستة للعامة» (ط ٤، ج ١ بعد صلاة الاستسقاء، ص ٣١٨): يجوز التوسّل إلى الله بمن يحبّه، ثم يستدل المؤلف على ذلك بنقل روايات وردت عن رسول الله صلى الله عليه وآله^(٣).

(١) بحار الأنوار، ج ٢٣، ص ٩٩ (باب ٦: من كتاب الإمامة)؛ وج ٩٤، ص ١ (باب ٢٨ من كتاب الذكر والدعاء)؛ وج ١٠٢، ص ٢٣١ (باب ٥٩).

(٢) تأويل الآيات الظاهرة، ص ٤٨؛ بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ٣٢٨، ح ١٠. وردت روايات توسّل آدم عليه السلام بمحمد وآل محمد عليهم السلام في بحار الأنوار، ج ١١، ص ١٧٣، ح ١٩؛ وص ١٨٧، ح ٣٩ (باب ٣)؛ وج ١٢، ص ٦٦، ح ١٢ (باب ٣)؛ وج ٢٦، ص ٣١٩ (باب ١٧: أن دعاء الأنبياء أستجيب بالتوسّل والاستشفاع بهم من كتاب الإمامة).

(٣) ذكر المصنف في كتاب أبواب الرحمة ص ٦٠ - ٧١ الروايات الواردة في توسّل الأنبياء وأولاد النبي يعقوب وبني إسرائيل بمحمد وآل محمد عليهم السلام، وهي مذكورة في كتاب بحار الأنوار.

وقد ورد في الزيارة المنقولة، تقف أمام قبر أمير المؤمنين عليه السلام وتقول: «أنت وسيلتي إلى الله تعالى» وتقول: «بك أتوسل إلى ربّي». وأمثال هذه الكلمات كثيرة مذكورة في المفاتيح والبحار وكتب المزار...

وفي دعاء العلقمة الواردة بعد زيارة عاشوراء المروية عن الإمام الباقر عليه السلام تقول (فإني بهم أتوجه إليك في مقامي هذا، وبهم أتوسل وبهم أتشفع).

وورد في زيارة الإمام العسكري عليه السلام: «وأتوسل إليك يا ربّ بإمامنا».

وفي زيارة مولانا صاحب الزمان، عجل الله تعالى فرجه الشريف: «فإني أتوسل بك وبآبائك الطاهرين إلى الله تعالى».

أما الجواب عن المسألة الثانية: حيث قلت: هل هذا الحديث «لولاك لما خلقت الافلاك» صحيح؟

نعم، هذه الرواية صحيحة، ومفادها أنّ الله خلق الخلق بأجمعهم لأجل المعصومين الأربعة عشر، صلوات الله عليهم، وهذا ممّا صرّحت به الروايات الكثيرة المنقولة عن العامة والخاصة.

كما أنّني أوردت في مستدرك السفينة في لغة «خلق» روايات الخلقة مع ذكر مداركها؛^(١) فراجع.

(١) في بحار الأنوار، ج ١٥، ص ٢٧، ح ٤٨، في رسالة الأنوار عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: كان الله ولا شيء معه فأول ما خلق نور حبيبي محمد عليه السلام قبل خلق الماء والعرش والكرسي والسموات والأرض، إلى أن قال: والحقّ تبارك وتعالى ينظر إليه ويقول: =

= يا عبدي أنت المراد والمريد، وأنت خيرتي من خلقي، وعزتي وجلالي لولاك ما خلقت الأنلاك، من أحبك أحبيته، ومن أبغضك أبغضته؛ الخبر.

وفيه: ج ٣٦، ص ٣٠٢، ح ١٤٠ (باب ٤١ من تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام) عن الشيخ المفيد في حديث المعراج بعد تصريحه تعالى باختياره نبيه الأكرم والأئمة المعصومين وقوله هم خزّان علمي فلولاكم ما خلقت الدنيا والآخرة ولا الجنة ولا النار.

وفي الحديث القدسي الصادقي عليه السلام المروي في معالي الأخبار، والعلل للصدوق عن الصادق عليه السلام قال الله تعالى، بعد بيان نبوة الرسول وإمامة أمير المؤمنين عليه السلام: «ولولاها ما خلقت خلقي» كما في البحار، ج ٣٨، ص ٨١، ح ٢ (باب ٦٠، تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام).

وفي المجلد ٣٦، ص ٣٣٧ المجلسي عن العلل والعيون وكمال الدين عن مولانا الرضا عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما خلق الله خلقاً أفضل مني، ولا أكرم عليه مني إلى أن قال: يا علي، لولا نحن ما خلق آدم ولا حواء، ولا الجنة ولا النار، ولا البحار ولا الأرض.

وفي البحار، ج ٣٦، ص ٣٣٧، ح ٢٠٠ (باب ٤١ من تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام) في الحديث النبوي خطاباً لأمر المؤمنين عليه السلام ولولانا لم يخلق الله الجنة ولا النار ولا الأنبياء ولا الملائكة.

وفي البحار، ج ١٧، ص ٣١٧، ح ١٤ (باب ٢: جوامع معجزاته ونوادرها) في تفسير العسكري عليه السلام في حديث معجزاته عليه السلام قال عليه السلام للشجرة دعوتك لتشهد لي بالنبوة بعد شهادتك لله بالتحديد ثم تشهدي بعد شهادتك لي لعلّي هذا بالإمامة وأنه سندي وظهري وعضدي وفخري وعزّي ولولاه ما خلق الله عزّ وجلّ شيئاً ممّا خلق. وغير ذلك ممّا ذكرته في المستدرک. وروى العامة من طرقهم هذا المفاد كما ذكره العلامة الأميني في كتاب الغدير، ج ٢، ص ٤٢٢، وكذا سماحة العلامة النجفي المرعشي، في تذيلاته على إحقاق الحق (ج ٩، ص ١٠٥ و ١٠٦ و ٢٠٢ و ٢٥٤). وقال السيّد ابن طاووس (قدس سرّه) في فلاح السائل، ص ٤٤، هذا كلّ فضل الدعاء لإخوانك فكيف فضل =

أما جواب المسألة الثالثة: راجع إلى مكاتبة أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال «إِنَّا صَنَّاغُ رَبَّنَا، وَالتَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا».

ولا شك في صحّة هذه الرواية، وقد أخطأ من توهم وشكّ في هذا الحديث؛ فهذه العبارة مقتطعة من رسالة الإمام الشريفة كتبها لمعاوية ونقلها السيّد الرضي في نهج البلاغة^(١) والطبرسي في الإحتجاج^(٢) وابن أبي الحديد وابن هيثم في شرحيهما لها، وتعتبر هذه من أتم الحجج التي كتبها مولانا أمير المؤمنين عليه السلام لمعاوية.

قال العلامة الخوئي في شرحه لنهج البلاغة: (٣)

نقل هذه الرسالة الشريفة أعثم الكوفي في كتاب «الفتوح» (ص ١٥٧، طبع بمبي)، وأحمد بن علي القلقشندي في كتاب «صبح الأعشى» (طبع مصر)، وشهاب الدين في كتاب «نهاية الإرْب» (ج ٧).

قال العلامة المجلسي في البحار^(٤) بعد نقله لهذه الرسالة الشريفة: قوله عليه السلام «إِنَّا صَنَّاغُ رَبَّنَا، هذا كلام مشتمل على أسرار عجيبة من غرائب شأنهم التي تعجز عنها العقول ولنتكلّم على ما يمكننا إظهاره والخوض فيه فنقول: صنّعة الملك من يصطنعه ويرفع قدره ومنه قوله تعالى:

= الدعاء لسلطانك الذي كان سبب إمكانك وأنت تعتقد أن لولاه ما خلق الله نفسك ولا أحداً من المكلفين في زمانه وزمانك وإنّ اللطف بوجوده (صلوات الله عليه) سبب لكلّ ما أنت وغيرك فيه وسبب لكلّ خير تبلغون إليه؟

(١) نهج البلاغة، الكتاب ٢٨ (إلى معاوية جواباً).

(٢) الإحتجاج، ج ١، ص ٤١٩ [٩٠].

(٣) منهاج البراعة، ج ١٩، ص ١٠٤.

(٤) بحار الأنوار، ج ٣٣، ص ٦٨ (باب ١٦: كتبه عليه السلام إلى معاوية...).

﴿وَاصْطَلَعْتَكَ لِنَفْسِي﴾^(١) أي اخترتك وأخذتك صنيعتي لتنصرف عن إرادتي ومحبتني . فالمعنى أنه ليس لأحد من البشر علينا نعمة بل الله تعالى أنعم علينا، فليس بيننا وبينه واسطة والناس بأسرهم صنائعنا فنحن الوسائط بينهم وبين الله سبحانه . ويحتمل أن يريد بالناس بعض الناس أي المختار من الناس نصطنعه ونرفع من قدره . وقال ابن أبي الحديد: هذا مقام جليل ظاهره ما سمعت وباطنه أنهم عبيد الله والناس عبيدهم^(٢) . وقال ابن ميثم لفظ الصنائع في الموضعين مجاز من قبيل إطلاق اسم المقبول على القابل والحال على المحل . يقال فلان صنيعه فلان إذا اختصه لموضع نعمته، والنعمة الجزيلة التي اختصهم الله بها هي نعمة الرسالة وما يستلزمه من الشرف والفضل حتى كان الناس عيالاً عنهم فيها .

وقال العلامة الخوئي في شرح نهج البلاغة: ثم إن كلامه هذا فوق كلام البشر وفوق ما تحوم حوله العبارة، عليه مسحة من العلم الإلهي . ولعمري أنه يجري مجرى التنزيلات السماوية لما اشتمل عليه من أمر الخلافة الحقّة وشأن الحجج الإلهية وأراه كأنه موج برز من محيط عظيم أو نور سطع من عالم الأمر الحكيم لا يتفوّه به إلّا من اصطنعه الله تعالى لنفسه ولا يقدر على الإتيان به إلّا قائل أنا لأمرأ الكلام وفيها تنشبت عروقه وعلينا تهذّلت غصونه، إلى أن قال: وأفاد عليه السلام بكلامه والناس صنائع لنا أنّهم وسائط فيض الله تعالى بين الله وبين عباده وبقوله إنّنا صنائع ربّنا أنّه لا واسطة بينهم وبين الله تعالى^(٣) .

(١) سورة طه، الآية ٤١ .

(٢) شرح نهج البلاغة، ج ٤، ص ٣٣٩، جزء ١٥ .

(٣) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ١٩، ص ١١٥، ص ١٢٠ .

وقال غيرهم هو نظير قوله تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾^(١)، أي لأجلكم فاللام في «لنا» للمنفعة وفيه أنه ينافي ما صدر في توقيع الإمام الحجة، فقال صلوات الله عليه بعد ذكر جملة من فضائلهم «ونحن صنائع ربنا، والخلق بعد صنائعنا»^(٢).

= قال الصادق عليه السلام في زيارة مولانا الحسين عليه السلام المروية في الكافي بإرادة الرب في مقادير أموره تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم؛ الكافي ج ٤ ص ٥٧٧ ح ٢ (باب زيارة قبر أبي عبدالله الحسين بن علي عليه السلام).

وفي حديث المعراج، قالت الملائكة لرسول الله صلى الله عليه وآله: فما نزل من الله فاليكم وما صعد إلى الله فمن عندكم. وقال العلامة المجلسي في المرأة، ج ١، ص ٣٠ في شرح الحديث الأول وقد ثبت بالأخبار المستفيضة أنهم الوسائل بين الخلق وبين الحق في إفاضة جميع الرحمات والعلوم والكمالات على جميع الخلق. فكلما يكون التوسل بهم والاذعان بفضلهم أكثر، كان فيضان الكمالات من الله أكثر.

وأيضاً في مرآة العقول (ج ١، ص ١٦٧) في شرح كلمة «بيت الرحمة» ذكر الكافي ٣ روايات عن أئمة أهل البيت عليه السلام قولهم: «نحن بيت الرحمة»، قال العلامة المجلسي: وبيت الرحمة لأنهم منبع كل نعمة ورحمة، وبتوسطهم تفيض الرحمات على سائر الكائنات. وفي علّة تسمية النبي الأعظم عليه السلام بأبي القاسم قال رسول الله صلى الله عليه وآله يعطيني فأقسمه بين الناس؛ بحار الأنوار، ج ١٦ ص ١١٣ ح ٤٢ (باب ٦: أسمائه عليه السلام).

(١) سورة البقرة، الآية ٢٩.

(٢) يُعد هذا التوقيع في نهاية الاعتبار ذكره الطوسي في كتاب الغيبة، ص ٢٨٥، (فصل ٤)؛ والطبرسي في باب احتجاجات الإمام الحجة (عج)، أورد التوقيع الصادر عن الإمام بعينه، ج ٢، ص ٥٣٦، ح ٣٤٢؛ وفي البحار، ج ٥٣، ص ١٧٨، ح ٩ عن الكتائب.

وقال العلامة الجليل الحاج السيّد محمد حسن مير جهاني في كتاب الدرر المكنونة:

فأنهم صنائع الاله والخلق مصنوعاتهم بالله
وانّ توقيعاً بهذا قد صدر عن حجة الله الإمام المنتظر

وجاء في التوقيع بدل «الناس» «الخلق» وهو شامل لكلّ الخلق. ومن الملاحظ عدم وجود كلمة «لنا» في هذه الرواية ويؤيد هذا المعنى ما ذكره البعض في معنى مكاتبة أمير المؤمنين عليه السلام، حيث قال: نحن مصنوعون ومخلوقون لله، عزّ وجلّ، والخلق مصنوع لنا. وذكروا شواهد لهذا الكلام. وعلى كلّ حال، فأصل هذا الكلام صحيح. وبما أنّنا لا نقطع بالمعني، فالأفضل أن نوكل علمه إلى قائله، فنؤمن به وإن لم نفهمه بالتفصيل.

أما جواب المسألة الرابعة: فإني قرأت كتاب «درس من الولاية» ولكن الكتاب ضعيف عندي ولا أثق بالأحاديث المنقولة فيه، وأظنّ ان المصنّف أورد الروايات من دون رجوع إلى أسانيدھا لأنّي سبرت الكتاب فوجدته ينقل الآية والرواية مبتورة، فيأتي بأولها أو وسطها أو آخرها ويسقط منها ما يخالف إدعائه.

هناك شواهد على أخطاء إرتكبها مصنّف الكتاب منها:

الشاهد الأوّل: في الصفحة ٨٨ السطر ٤ روى في البحار، ج ٧، ص ٢٤٨ عن إسماعيل بن عبد العزيز أنّه قال: قال لي أبو عبد الله: يا إسماعيل، ضع لي في المتوضأ ماء. قال: فقمّت فوضعت له. قال: فدخل. قال: فقلت في نفسي: أنا أقول فيه كذا وكذا ويدخل المتوضأ يتوضأ. قال: فلم يلبث أن خرج، فقال: يا إسماعيل، لا ترفع البناء فوق طاقته فينهدم.

هنا يترك المؤلّف باقي الحديث ربّما لأنّها في ضرره. وتكملة الرواية هكذا: ثمّ قال الإمام: «وقولوا فينا ما شئتم فلن تبلغوا»، أيّ قولوا في

فضائلنا ومناقبنا ما شئتُم فلن تبلغوا النهاية، ومعناه لن تعرفوا كنه الإمام وحقيقته ولن تدركوا فضائلنا، وفي الرواية أن الإمام أخبره بما في قلبه .

وربّما، تكمن العلة في أن المستدلّ أسقط تمام الرواية هو تكذيبه الحديث القائل: «قولوا فينا ما شئتُم»، ونسبتها إلى أباطيل وأساطير كاذبة مع أن هذه الروايات - كما مرّ - صحيحة معتبرة .

الشاهد الثاني: في الصفحة ٨٨، السطر ١١ ورد في البحار: ص ١٥٠، (والصحيح، ص ٢٥٠) عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال

وقد اسقط المؤلف مقاطع من أوّل الرواية ووسطها وآخرها، فنظر الإمام في الرواية إلى المغيرة بن سعيد الخبيث اللعين الذي كان يتعلّم السحر والشعوذة من امرأة يهوديّة ثمّ يأتي بدعاوى باطلة .

وفي روايات كثيرة أنّ الأئمة عليهم السلام لعنوهما، وحثّوا الناس على البراءة منهما ومن أقوالهما .

الشاهد الثالث: في الصفحة ٩٠، السطر ٣ ذكر في ترجمة الحديث: إنكم تقدّرون أرزاق العباد؟ فقال: «والله ما يقدر أرزاقنا إلّا الله» .

حيث تخيّل المستدلّ أنّ فعل تقدر ويقدر يشقّان من أبواب الثلاثي المجرد بمعنى القدرة والاستطاعة في حين أنّ الفعلين يصاغان من أبواب الثلاثي المزيد بحرف واحد باب التفعيل بمعنى تقدير الأرزاق . فسأل الراوي هل الأرزاق يقدرها الإمام؟ فأجابه بالنفي .

وللرزق معنى عام لا ينحصر بالمأكل والمشرب بل يشمل - كما في تفسير أهل البيت عليهم السلام - تمام النعم الظاهرية والباطنية؛ فكلّ ما يفاض إلى التبيّي والإمام مقدّر من الله بقدر معلوم كما قال تعالى في سورة الرعد

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾^(١) وَفِي سُورَةِ الْحَجَرِ ﴿وَلَنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾^(٢) فالتقدير من الله ولكنه يجري على يد النبي والإمام فيُقَسَّم على العباد.

روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال :

«إِنَّ اللَّهَ يُقَسِّمُ أَرْزَاقَ الْعِبَادِ، وَعَلَى أَيْدِينَا يَجْرِيهَا»^(٣).

وأما قوله في نهاية الحديث ربّما احتجت إلى طعام فلكني يبينوا عبوديتهم وبشريتهم للناس وبذلك فهم لا يلتمسون في رفع حوائجهم المتعارفة العادية إلى خوارق العادات فلا يأتون بذلك إلا في مقام إثبات الحق أو دفع باطل.

أما الجواب عن المسألة الخامسة : لقد تحدّث الفقهاء والمجتهدون المتمسكون بالقرآن والعروة عن الولاية التكوينية والتشريعية وهنا لا بأس بذكر مقاطع من كلماتهم

قال العلامة الخوئي في شرح خطبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام :

وإنّما قال فكأنّي قد رأيتك - إلخ . . لأنّ الزمان والمكان وسائر الأجسام والجسمانيات إنّما هي حجب لنا، وأما الحجب الإلهية فإنّهم يرون الوقائع في متن العالم على ما هي عليه.

(١) سورة الرعد، الآية ٨.

(٢) سورة الحجر، الآية ٢١.

(٣) كتاب بحار الأنوار، ج ٤٦، ص ٢٣، ح ٥ (باب ٣ : معجزاته ومعالي أموره . . .)؛ والوسائل، ج ٦، ص ٤٩٨، ح ٨٥٣٨ : باب كراهة النوم بين الطلوعين نقلاً عن البصائر، ج ٢، ص ١٥٦، ح ٨، الرقم ١٢٣٥ (باب ١٤ من الجزء ٧).

لا يخفى على المتتبع في أحاديث أهل البيت عليه السلام الروايات الواردة في إخبارات النبي صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام بالغيب كقولهم «كأنني أرى يكون كذا وكذا» وقد بين الله في الآيات الشريفة من الذكر الحكيم قضايا المستقبل، وعالم البرزخ، والقيامة فيسوق النبي للتوجه إليها فيقول له أنظر ماذا ينطقون وماذا يفعلون وكيف يكذبوك^(١).

يقول العالم الكامل السيد الجليل الحاج محمد حسين ميرجهاني في أرجوزته (الدرر المكنونة) في وصف الإمام عليه السلام.

بدر تمام في سماء العظمة منظومة الكون به منتظمة
واسطة في عالم الوجود بين المكنونات والمعبود
قطب رحي عوالم الایجاد ميزان عدل الله في المعاد
أمر نظام الكون طراً بيده بأمر ربّه وفيض مدده
يقول صاحب الكتاب في فصل ألقاب الإمام الحجة عليه السلام في (ص ١٩٥).

ناظم أمر الكون عزّ المؤمنين مدبّر الأمور والحصن الحصين^(٢)
إلى أن قال:

ومحور الكون مدار الدهر ومصدر الامر قوي القهر
مغيث أهل الحق واليقين ومستعان كلّ مستعين^(٣)
صاحب كفاية الموحّدين في جواب الشبهة الخامسة من شبهات

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ١٨، ص ٥٥.

(٢) الدرر المكنونة، ص ١٩٥.

(٣) نفس المصدر، ص ١٩٨.

المخالفين في نزول آية الولاية حيث قالوا: من أين أتى أمير المؤمنين عليه السلام بالخاتم؟ أجاب: في الردّ على هذه الشبهة بأن أمير المؤمنين وأولاده الطاهرين أولى بالتصرّف في السماوات والأرضين. وبيدهم خزائن السماوات والأرض^(١).

وقال سيد الأساتذة الشيخ الأنصاري (قدس سرّه): في المكاسب في مسألة أولياء التصرف في مال من لا يستقلّ بالتصرّف إلى أن قال: مقتضى الأصل عدم ثبوت الولاية لأخذ شيء من الوجوه المذكورة خرجنا عن هذا الأصل في خصوص النبيّ والأئمة عليهم السلام بالأدلة الأربعة: ثمّ شرع في ذكر الآيات والروايات في ذلك إلى أن قال: والمقصود من جميع ذلك دفع ما يتوهم من أنّ وجوب طاعة الإمام عليه السلام مختصّ بالأوامر الشرعية وأنه لا دليل على وجوب إطاعته في أوامره العرفية أو سلطنته على الأموال والأنفس. وبالجملّة، فالمستفاد من الأدلة الأربعة بعد التتبع والتأمل إن للإمام سلطنة مطلقة على الرعية من قبل الله تعالى، وإن تصرّفهم نافذ على الرعية ماض مطلقاً. . إلخ^(٢).

وفي تقارير العلامة المحقّق المرجع الديني الميرزا محمّد حسين الغروي النائيني «قدس سرّه» في المكاسب بقلم العلامة الشيخ محمّد تقي الآملي (ج ٢، ص ٣٣٢) قوله «قدس سرّه»: خرجنا عن هذا الأصل في خصوص النبيّ صلى الله عليه وآله إلخ. إعلم أنّ ولاية الحاكم لمّا كان من شؤون من له الولاية الكبرى على الدين والدنيا حيث إنّ الحاكم منصوب من قبله،

(١) كفاية الموحدين، ج ٢، ص ٢٧٤.

(٢) كتاب المكاسب، ج ٣، ص ٥٤٦.

صلوات الله عليه، فلا جرم كان اللازم البحث أولاً عن أصل الولاية الثابتة للنبي والأوصياء من بعده ثم التكلم في ولاية الفقيه النائب عنهم إلى أن قال: فاعلم أن لولايتهم مرتبتين: إحداهما: الولاية التكوينية التي هي عبارة عن تسخير المكونات تحت إرادتهم ومشيتهم بحول الله وقوته كما ورد في زيارة الحجة أرواحنا فداء فإنه ما منا شيء إلا وأنتم له السبب^(١) وذلك لكونهم ﷺ مظاهر أسمائه وصفاته تعالى، فيكون فعلهم فعله وقولهم قوله وهذه المرتبة من الولاية مختصة بهم وليست قابلة للإعطاء إلى غيرهم لكونها من مقتضيات ذواتهم النورية ونفوسهم المقدسة التي لا يبلغ إلى دون مرتبتها مبلغ.

ثانيتها: الولاية التشريعية الإلهية الثابتة لهم من الله سبحانه في عالم التشريع بمعنى وجوب اتباعهم في كل شيء وأنهم أولى بالناس شرعاً في كل شيء من أنفسهم وأموالهم.

والفرق بين المرتبتين ظاهر حيث أن الأولى تكوينية والثانية ثابتة في عالم التشريع وإن كانت الثانية أيضاً لا تكون ثابتة إلا لمن له المرتبة الأولى إلى أن قال: ولا إشكال عندنا، في ثبوت كلتا المرتبتين من الولاية للنبي ﷺ وللأوصياء من عترته، صلوات الله عليه وعليهم. وتدل عليه الأدلة الأربعة كما استدلل به المصنف في الكتاب فلا يعياً بخلاف

(١) رواها العلامة المجلسي في تحفة الزائر وكذا في مزار البحار، ج ٩٤، ص ٣٧؛ وج ٢ ١٠٢، ص ٩٣، وقال أنها خرجت من الناحية المقدسة وفي هذه الزيارة بحار المعارف الحقة وتشرح مقامات النبي والأئمة الهادية الكريمة، وتقدم بعضها في الفصول السابقة.

من يخصّ الولاية التشريعية بخصوص وجوب اتباعهم ﷺ في الأحكام الشرعية والتقبل عنهم في ما يبلغون منها إلى أن قال: ولا يخفى وانه وسخافته بل الأدلة الأربعة ناهضة على رده وكأته تبع في ذلك المخالفين... (١) إلخ.

وقال العلامة الكامل فقيه العصر المرجع الديني ميرزا حسن البجنوردي «دام ظلّه» في كتابه منتهى الأصول: الأمر الثالث في أن الولاية والخلافة والإمامة والنبوة كلّ واحدة من هذه الأمور على قسمين تكوينيّة وتشريعيّة، أمّا التكوينيّة منها فهي بلوغ النفس بواسطة العلم والعمل أو بواسطة الموهبة الإلهيّة من دون سبق عمل بل لاستعدادها الذاتي ونفاسة جوهرها وعلوّ طينتها أعلى مراتب الكمال ووصولها إلى أقرب مدارج القرب إلى ذي الجلال بحيث يكون سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده الذي يبطش به وهذه المرتبة من الولاية هي التي قارنها الله في كتابه العزيز بولاية نفسه حيث قال عزّ من قائل: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ ذَاكِرُونَ﴾ (٢) وهذه الولاية عبارة عن كون الولي متصرفاً في جميع الكون سمائه وأرضه بإذن الله، جلّ جلاله، وهي التي بها يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله تعالى، وبها يشقّ القمر ويجعله نصفين كلّ ذلك وما شابهها بإذن الله عظم شأنه وهكذا الأمر في الخلافة والإمامة... (٣) إلخ.

(١) كتاب المكاسب، ج ٢، ص ٣٢٢.

(٢) سورة المائدة، الآية ٥٥.

(٣) منتهى الأصول، ج ٢، ص ٥٣٢ (استصحاب، الأحكام الوضعيّة، الأمر الثالث).

ثم شرع في بيان الولاية التشريعية وقسمها إلى ولاية عامة كولاية السلطان العادل أي النبي والأئمة وإلى ولاية خاصة كولاية الحاكم الشرعي .

أقول : قوله بلوغ النفس بواسطة العلم والعمل إلخ ، إشارة إلى بعض درجات الولاية التي تحصل لبعض المقرّبين غير النبي والأئمة عليهم السلام ، وهذه المرتبة تحصل لمن تقرب إلى الله بعد أداء الفرائض بالنوافل والمستحبات بحيث يكون الله سمعه وبصره ويده كما في الوسائل ، كتاب الصلاة باب استحباب المداومة على النوافل عن الكافي بسندين صحيحين عن مولانا الباقر عليه السلام أنه تعالى وتقدس يقول وأنه (يعني العبد) ليتقرب اليّ بالنافلة حتّى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ، ويده الذي يبطش بها ، إن دعاني أجبت ، وإن سألني أعطيت^(١) . قال ورواه البرقي في المحاسن عن عبد الرحمن بن حماد عن حنان بن سدير عن أبي عبد الله عليه السلام مثله ورواه في المستدرک^(٢) عن الحسين بن سعيد الاهوازي (ثقة جليل) في كتابه المؤمن عن الصادق عليه السلام والباقر عليه السلام نحوه ونقل العلامة المجلسي (ره) في المرأة^(٣) عن الشيخ البهائي أنه قال : هذا الحديث صحيح السند وهو من الأحاديث المشهورة بين الخاصة والعامة وقد رواه في صحاحهم بأدنى تغيير . إلخ .

(١) وسائل الشيعة، ج ٤، ص ٧٢، ح ٤٥٤٤ .

(٢) مستدرک، ج ٣، ص ٥٨، ح ٨ [٣٠١٤] (باب ١٦ تأكد استحباب المداومة على النوافل . . .) .

(٣) مرآة العقول، ج ١٠، ص ٣٨٢ .

ثم شرع في شرح الحديث مفصلاً في صفحات، وردّ ما توهّمه أهل الضلال من هذه الرواية الشريفة، فراجع إلى المرآة باب من أذى المسلمين واحتقرهم.

للشيخ البهائي «قده» في قصيدته المعروفة (وسيلة الفوز والأمان في مدح صاحب الزمان (صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه الطاهرين).

خليفة ربّ العالمين وظلّه	على ساكن الغبراء من كلّ ديارٍ
علوم الورى في جنب أبحر علمه	كغرفة كفت أو كغمسة منقارٍ
باشراقها كلّ العوالم أشرقت	لما لاح في الكونين من نورها الساري
ومقتدر لو كلّف الصمّ نطقها	باجذارها فاهت إليه بإجذارٍ
همام لو السبع الطباق تطابقت	على نقض ما يقضيه من حكمه الجارٍ
لنكّس من أبراجها كلّ شامخ	وسكن من أفلاكها كلّ دوارٍ
ولا نتثرت منها الثوابت خيفة	وعاف السرى في سورها كلّ سيّارٍ
أيا حجة الله الذي ليس جارياً	بغير الذي يرضاه سابق أقدارٍ
ويا من مقاليد الزمان بكفّه	وناهيك من مجد به خصّه الباري
إليك البهائيّ الحقير يزقّها	كغانية مياسة القدّ معطار ^(١)

وفي ديوان الفاضل القمقام والنحرير العلام الحاج ميرزا أبي الفضل الطهراني (المتوفى ١٣١٦ ش) في مدح مولانا صاحب الزمان والأئمة عليهم السلام إلى أن قال:

لا سيما مهديهم بدر الدجى ومن إليه المشتكى والملتجى

(١) الكشكول، ج ١، ص ٢٣٢. بيان: يزقّها: يهديها. وغانية: العروس الغنية من الزينة لحسنها. مياسة: متبخرة. وعاف السرى: كره السير في منازلها.

سلطان أهل الأرض والسماء ومالك أزمّة القضاء^(١)
وفي مدح مولانا الحسين عليه السلام فيه (ص ٥٧).

ومن فَوْضَ الله أمر الوجود قبضاً وبسطاً إلى راحته^(٢)
مدار الوجود وقطب السعود ومن جملة الخلق في حوزته
يقول أحد المراجع في رسالته: للإمام مقام الخلافة الإلهية الكلية
وهذا ما نطق به الأئمة الهداة وهي الخلافة التكوينية بمعنى خضوع جميع
الأشياء من الذرة إلى المجرة لأوامرهم ولا يصل إلى هذا المقام
(مقامات الأئمة المعنوية) لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، وإليه أشار
الإمام الهادي عليه السلام في زيارة الجامعة الكبيرة حيث قال (وذَلَّ كل شيء
لكم) وهذا الأمر من ضروريات مذهبنا.

وقال العلامة الشيخ علي نجل كاشف الغطاء في كتابه النور الساطع
في الجزء الأول ص ٢٧٠ أَنَّ لِلنَّبِيِّ ﷺ والأئمة عليهم السلام مقامات ثلاثة:

المقام الأول: جهة إفاضاته بوجوده الشريف على العالم فيستفيد به
العالم أزيد من استفادته بالشمس. وهذا المقام هو المشار إليه في
الأخبار والأدعية والزيارات كما في زيارة الجامعة الكبيرة: وبكم ينزل
الغيث وبكم يمسك السماء أن تقع على الأرض وبكم يكشف الضرّ،
ولعلّ لهذا المعنى يشير ما روي عنهم ﷺ أَنَّ الأرض كلها لنا^(٣) لاسيّما

(١) إلى آخر الآيات.

(٢) إلى أن قال:

(٣) مواضع هذه الروايات كثيرة منها ما رواه الكليني في كتاب أصول الكافي، ج ١،
ص ٤٠٧، كتاب الحجّة باب أن الأرض كلها للإمام ٩ روايات صحيحة ومعتبرة =

إذا قلنا أنّ الشيء الواحد لا يكون مملوكاً لمالكين فيكون المراد أنّها تحت قدرتهم وبقبضتهم نظير ملك الله تعالى، ولعلّه إليه يشير أيضاً قول أمير المؤمنين (عليه السلام) في كتابه إلى معاوية: (نحن صنّاع الله والخلق صنّاعنا)، ويمكن أن يشير إليه ما في الزيارة الرجبية من قوله: «فيكم يجبر المهيض ويشفى المريض وما تزداد الأرحام وما تغيض»، وبهذا المقام عندهم علم الغيب وتظهر على أيديهم المعجزات، وهذا المقام يرجع إلى عالم التكوينات والولاية عليها تكون تكويناً... إلخ.

المقام الثاني: الولاية والأولوية بالمؤمنين من أنفسهم، فكما أن للمؤمنين السلطنة على نفوسهم وللتبّي والأئمة (عليهم السلام) سلطنة على أنفس المؤمنين أقوى من سلطنة نفس المؤمنين على أنفسهم لقوله تعالى: التّبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم^(١) وقوله يوم الغدير: ألسْتُ أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى. قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه. انتهى ملخصاً^(٢).

والمتّبع في كتب كبار علماء الشيعة ودواوين شعرائهم، يجد الإشارة

= وذكر العلامة الكاشاني في كتابه الوافي، ج ١٠، (باب ٣٣)، ص ٢٩٠، ح ٨، رقم ٩٥٩٦ بما في الكتب الأربعة في كتاب الخمس في باب أنّ الأرض كلّها للإمام عشر روايات من الكتب الأربعة، الكافي والتهذيب والفقيه في ذلك، وفيها قول أبي بصير للصادق (عليه السلام): أما على الإمام زكاة؟ فقال: أحلت يا أبا محمّد، أما علمت أنّ الدنيا والآخرة للإمام يضعها حيث يشاء ويدفعها إلى من يشاء، جاز له ذلك من الله تعالى... إلخ.

(١) سورة الأحزاب، الآية ٦.

(٢) النور الساطع (الجزء الأول) ص ٣٧ (تقسيم الولاية، محل النزاع في الولاية).

إلى هذا المعنى بوضوح كـ (ديوان السيّد الرضي مؤلف (نهج البلاغة) وديوان السيّد الحميري والشيخ كاظم الأزري وديوان السيّد حيدر الحلّي وديوان دعبيل الخزاعي) والذين هم من كبار شعراء الشيعة وعلمائهم المعروفين . قد ورد عنهم ما ذكرناه .

ولا يسعنا في هذا المختصر التطويل .

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْفَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿وَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَانُ﴾ ﴿قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَتَأْمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ﴾ ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ وأحذركم الله يوم القيامة ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ ﴿١١﴾ والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والحمد لله رب العالمين أولاً وآخرأ كما يحب ربنا ويرضى وكما هو أهله وكما ينبغي لكرم وجهه وعزّ جلاله وصلى الله على محمد وآله الطاهرين المعصومين والسلام عليكم أجمعين .

قد وقع الفراغ منه بيد مؤلفه الخاطي علي بن محمد بن
إسماعيل النمازي الشاهرودي (رحمهم الله تعالى)

وعفى عنهم في الدنيا والآخرة

في ١٢ / ربيع الأول / ١٣٩٠ هـ - ق

على هاجره

وآله آلاف النجّة والسلام

وقد انتهت من ترجمة هذا الكتاب القيم في الليلة الأولى من شهر ذي الحجة لعام ١٤٣٠هـ ق المصادف ١٨ / نوفمبر / ٢٠٠٩، وكنت قد ابتدأت بترجمته في شهر رجب عام ١٤٢٨هـ. ق وأنا بجوار قبر السلطان أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام بمدينة مشهد المقدسة وانتهت منه وأنا بجوار قبر السيدة فاطمة المعصومة بنت الإمام موسى بن جعفر عليه السلام بقم المقدسة. والله الحمد أولاً وأخيراً، راجياً منهم أن يتقبلوا مني ذلك بكرمهم، ويشفعوا لي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم «يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين».

أهدي ثواب هذه الترجمة إلى روح جدتي المرحومة المغفور لها، كريمة آية الله العظمى الميرزا مهدي الشيرازي «قدس سرّه»، حرم آية الله السيّد محمد كاظم المدرسي «قدس سرّه».

محمد جعفر المدرسي

مصادر التحقيق

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - نهج البلاغة . طبعة مؤسسة الأعلمي - بيروت .
- ٣ - الصحيفة السجادية ، طبعة مؤسسة الأعلمي - بيروت .
- ٤ - آصف محسنی ، محمد . صراط الحق . مشهد ، منشورات الولاية .
- ٥ - أملي ، محمد تقی . المكاسب والبيع . قم ، جامعة المدرّسين في الحوزة العلميّة .
- ٦ - أملي ، محمد تقی . مصباح الهدى . طهران ، ناشر مؤلف . ١٣٨٠هـ . ق .
- ٧ - ابن شهر آشوب ، محمد بن علي . مناقب آل أبي طالب . مؤسسة الأعلمي - بيروت .
- ٨ - ابن فراس المالكي الأشتري ، أبي الحسين . مجموعة ورام . مؤسسة الأعلمي - بيروت .

- ٩ - ابن كثير، حافظ. التفسير الكبير. بيروت، دارالكتب العلمية.
- ١٠ - ابن منظور الإفريقي المصري، جمال الدين. لسان العرب. مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
- ١١ - أبو نعيم، احمد بن عبدالله. حلية الأولياء. بيروت، دارالكتب العلمية.
- ١٢ - الإربلى، علي بن عيسى. كشف الغمة. تبريز، مكتبة بني هاشم.
- ١٣ - الإصفهاني، ميرزا مهدي. مصباح الهدى. قم، بوستان كتاب.
- ١٤ - الأميني، عبدالحسين. الغدير، قم، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ١٤١٦هـ.ق.
- ١٥ - الأنصاري، الشيخ مرتضى. كتاب المكاسب. قم، مجمع الفكر الاسلامي.
- ١٦ - الأنصاري، الشيخ مرتضى. كتاب الطهارة. ———.
- ١٧ - عرب باغي، سيدحسين. قواعد الإسلام في بيان دين سيد الأنام. مكتبة يلدا وحقيري، الطبعة الثالثة، ١٤ محرم ١٣٨٨ ق.
- ١٨ - البجنوردي، ميرزا حسن. منتهى الأصول. قم، مؤسسة العروج للطباعة والنشر.
- ١٩ - البحراني، سيدهاشم. الإنصاف في النص على الأئمة الاثني عشر الأشراف. لبنان، مؤسسة أم القرى.

٢٠ - البحراني، السيد هاشم. البرهان في تفسير القرآن. بيروت، مؤسسة البعثة، ١٤١٩هـ.ق.

٢١ - البحراني، السيد هاشم. مدينة المعاجز. بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

٢٢ - البخاري، محمد بن اسماعيل. صحيح البخاري. بيروت، شركة دار الأرقم.

٢٣ - البرقعي، أبو الفضل. درس من الولاية، طهران، مكتبة شمس.

٢٤ - البرقي، أبو جعفر أحمد. المحاسن. قم، الدائرة الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت.

٢٥ - البياباني، محمد. معرفة الإمام، طهران.

٢٦ - البيارجمندي الخراساني (آرام الحائري)، يوسف. مدارك العروة. النجف، مطبعة النعمان. ١٣٩٤هـ.ق.

٢٧ - البيضاوي، عبدالله بن عمر. تفسير البيضاوي. بيروت، دار إحياء التراث العربي.

٢٨ - الترمذي، محمد بن عيسى. الجامع الصحيح، سنن الترمذي.

٢٩ - الثعالبي، عبدالرحمن بن محمد. تفسير الثعالبي. ———.

٣٠ - الحاكم الحسكاني، عبيدالله بن عبدالله. شواهد التنزيل. طهران، وزارة الثقافة والإرشاد.

٣١ - الحرّ العاملي، محمد بن الحسن . إثبات الهداة. بيروت،
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات .

٣٢ - الحر العاملي . وسائل الشيعة . بيروت، مؤسسه آل البيت عليه السلام
لإحياء التراث .

٣٣ - الحلّي، ابن إدريس . مستطرفات السرائر .

٣٤ - الحلّي، حسن بن يوسف . نهج الحق وكشف الصدق . قم،
دار الهجرة .

٣٥ - الحلّي، عزالدين ابومحمد . المحتضر . النجف، المكتبة
الحيدرية .

٣٦ - الحلّي، محمد بن احمد . مستطرفات السرائر . قم، مؤسسة
الإمام المهدي عليه السلام .

٣٧ - الحويزي، عبد علي . تفسير نور الثقلين . بيروت، التاريخ
العربي .

٣٨ - الخزاز، علي بن محمد . كفاية الأثر في النص على الأئمة
الاثني عشر . قم، بيدار .

٣٩ - الخوئي، حبيب الله . منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة،
طهران، منشورات المكتبة الإسلامية .

٤٠ - الخوئي، السيّد أبو القاسم . معجم رجال الحديث . بيروت،
دار الزهراء .

٤١ - ديوان الحاج ميرزا أبي الفضل الطهراني . رنگين .

١٣٦٩هـ.ق.

٤٢ - الرازي، محمد. حجج القرآن. بغداد، مكتبة الشرق الجديد.

٤٣ - الراوندي، قطب الدين. الخرائج والجرائح. قم، مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام.

٤٤ - السيزواري، محمدباقر. شهاب الأخبار.

٤٥ - السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر. الدر المنثور. بيروت، دار الفكر.

٤٦ - الشرتوني، سعيد. أقرب الموارد. قم، أسوة.

٤٧ - الشريف الرضي، محمد بن حسن. حقائق التأويل. بيروت، دار المهاجر.

٤٨ - الشريف الرضي. عيون المعجزات.

٤٩ - الشريف الرضي. خصائص الأئمة. مشهد، الآستانة الرضوية المقدسة.

٥٠ - الشوشتري، شرف الدين. إحقاق الحق. قم، مكتبة آية الله المرعشي.

٥١ - الشيخ البهائي، محمد بن حسن. الكشكول. بيروت، مؤسسة الأعلمي للطبوعات.

٥٢ - الصدوق، محمد. الأمالي. طهران، مؤسسة البعثة.

٥٣ - الصدوق. التوحيد. قم، جامعة المدرسين في الحوزة العلمية.

٥٤ - الصدوق. الخصال. بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

٥٥ - الصدوق. معاني الأخبار. بيروت، مؤسسة الأعلمي.

٥٦ - الصدوق. من لا يحضره الفقيه. بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

٥٧ - الصدوق. علل الشرائع. بيروت، مؤسسة الأعلمي.

٥٨ - الصدوق. عيون أخبار الرضا عليه السلام. بيروت، مؤسسة الأعلمي.

٥٩ - الصدوق. كمال الدين وتمام النعمة. بيروت، مؤسسة الأعلمي.

٦٠ - الصفار، محمد بن الحسن. بصائر الدرجات. بيروت، مؤسسة الأعلمي.

٦١ - ابن طاووس، سيد رضي الدين. فرج المهموم (كتاب النجوم). قم، منشورات الرضي.

٦٢ - ابن طاووس. الإقبال. بيروت، مؤسسة الأعلمي.

٦٣ - ابن طاووس، علي بن موسى. الأمان في أخطار الأسفار والزمان. قم، مؤسسه آل البيت عليه السلام لإحياء التراث.

٦٤ - الطبرسي صغير، ابي جعفر. دلائل الإمامة. قم، الدراسات الإسلامية.

٦٥ - الطبرسي، فضل بن حسن. إعلام الوری. بیروت، مؤسسة الأعلمي.

٦٦ - الطبرسي. الاحتجاج. بیروت، مؤسسة الأعلمي.

٦٧ - الطبرسي. مجمع البیان. بیروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

٦٨ - الطبرسي النوري، السيد إسماعیل. كفاية الموحدين. طهران، المكتبة الإسلامية.

٦٩ - الطريحي، فخرالدين بن محمد. مجمع البحرين. بیروت، مؤسسة الأعلمي.

٧٠ - الطوسي، أبو جعفر. رجال الكشي. تحقيق وتصحيح: ميدي، موسويان. طهران، وزارة الإرشاد الإسلامي.

٧١ - الطوسي، محمد. الأمالي. بیروت، مؤسسة البعثة، الدراسات الإسلامية.

٧٢ - الطوسي. تهذيب الأحكام. طهران، منشورات الصدوق.

٧٣ - الطوسي. الغيبة. قم، مؤسسة المعارف الإسلامية، ١٤١١هـ.ق.

٧٤ - العاملي الكفعمي، تقي الدين إبراهيم. مصباح الكفعمي. بیروت، مؤسسة الأعلمي.

٧٥ - العاملي، السيد جعفر مرتضى. الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ. قم، دار الحديث.

٧٦ - عبدالفتاح، عفيف. مع الأنبياء في القرآن الكريم. بيروت، مطبعة دار الكتب.

٧٧ - العسكري، نجم الدين. محمد وعلي ﷺ وبنوه الأوصياء ﷺ. النجف، مطبعة الآداب.

٧٨ - العياشي، محمد بن مسعود. تفسير العياشي. بيروت، مؤسسة الأعلمي.

٧٩ - فرات الكوفي، أبو القاسم. تفسير فرات الكوفي. طهران، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي.

٨٠ - الفيض الكاشاني، محسن. تفسير الصافي. بيروت، مؤسسة الأعلمي.

٨١ - الفيض الكاشاني. كتاب الوافي. إصفهان، مكتبة الإمام أمير المؤمنين ﷺ، ١٤٠٩ هـ. ق.

٨٢ - القاضي، عبد الجبار أحمد. متشابه القرآن. القاهرة.

٨٣ - القزويني، السيد محمد حسن. الإمامة الكبرى والخلافة العظمى. قم، دارالمجتبى ﷺ.

٨٤ - القزويني، السيد محمد كاظم. فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد. بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

٨٥ - القمي، ابن قولويه. كامل الزيارات. بيروت، مؤسسة الأعلمي.

٨٦ - القمي، الشيخ عباس. سفينة البحار. مشهد، مؤسسة الطبع والنشر في الآستانة الرضوية المقدسة.

٨٧ - القمي، الشيخ عباس. منتهى الآمال. قم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين.

٨٨ - القمي، علي بن إبراهيم. تفسير القمي. بيروت، مؤسسة الأعلمي.

٨٩ - الكاشاني، ملاّ محمد تقي. هداية الطالبين. ميرزا محمد باقر الطهراني. ١٢٨٦ق.

٩٠ - كاشف الغطاء، الشيخ علي. النور الساطع في الفقه النافع. النجف، مطبعة الآداب. ١٣٨١هـ.ق.

٩١ - الكراجكي الطرابلسي، محمد بن علي. كنز الفوائد. بيروت، دار الأضواء.

٩٢ - الحسيني اللاريجاني، السيّد محمدعلي. آيات الأئمة. طبع حجري، ١٣٠١.

٩٣ - المامقاني، عبدالله. تنقيح المقال. قم، مؤسسه آل البيت ﷺ لإحياء التراث.

٩٤ - المجلسي، محمدباقر. بحار الأنوار، طهران، المكتبة الإسلامية.

٩٥ - المجلسي. مرآة العقول. بيروت، مؤسسة الأعلمي.

٩٦ - الحسيني الفيروزآبادي. فضائل الخمسة من الصحاح الستة. بيروت، مؤسسة الأعلمي، الطبعة الأولى.

٩٧ - معجم مقاييس اللغة. بيروت، مؤسسة الأعلمي.

- ٩٨ - المفيد، محمد بن محمد. الاختصاص. مصنفات الشيخ المفيد، ج ١٢. قم، مؤتمر الشيخ المفيد.
- ٩٩ - المفيد. الإرشاد. مصنفات الشيخ المفيد، ج ١١. مؤتمر الشيخ المفيد.
- ١٠٠ - الملكي الميانجي، محمدباقر. مناهج البيان. طهران، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي.
- ١٠١ - الموسوي الدهسرخي الإصفهاني، محمود. مفتاح الكتب الأربعة. النجف، مطبعة الآداب.
- ١٠٢ - الميرجهاني الطباطبائي، السيد حسن. الدرر المكنونة والإمامة وصفاته الجامعة. طهران، مكتبة الصدر. ١٣٨٨هـ. ق.
- ١٠٣ - الميلاني، السيد علي. محاضرات في العقائد. قم، مركز الأبحاث العقائدية.
- ١٠٤ - ناصف، منصورعلي. التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول. بيروت، دار إحياء الكتب العربية.
- ١٠٥ - النباطي العاملي، علي بن محمد. الصراط المستقيم. قم، المكتبة الرضوية.
- ١٠٦ - النعماني، محمد بن إبراهيم. الغيبة. طهران، المكتبة الإسلامية.
- ١٠٧ - النمازي الشاهرودي، علي. أبواب الرحمة. قم، واحدة الكتاب.

- ١٠٨ - النمازي. أصول الدين. طهران، السعدي، ١٣٧٨، منشورات.
- ١٠٩ - النمازي. الاعلام الهادية الرفيعة في اعتبار الكتب الأربعة المنيعة. قم، جامعة المدرّسين في الحوزة العلميّة.
- ١١٠ - النمازي. تاريخ الفلسفة والتصوّف. طهران، السعدي، ١٣٨٧، منشورات.
- ١١١ - النمازي. علم الغيب. طهران، المعارف الحقّة، ١٣٧٧، منشورات.
- ١١٢ - النمازي. مستدرك سفينة البحار. قم، جامعة المدرّسين في الحوزة العلميّة.
- ١١٣ - النمازي. أركان الدين، طهران، السعدي، ١٣٨٦، منشورات.
- ١١٤ - النمازي. مقام القرآن والعترّة. طهران، منشورات السعدي. الطبعة الأولى، ١٣٨٢.
- ١١٥ - النوري الطبرسي، حسين. مستدرك وسائل الشيعة. بيروت، مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث.
- ١١٦ - النيشابوري، مسلم. صحيح مسلم. بيروت، دارالفكر، ١٢٢١هـ.ق.
- ١١٧ - الهمداني، رضا. مصباح الفقيه. قم، صبح الإنتصار.
- ١١٨ - علي بن يونس النباطي البياضي. مؤسسة المكتبة الحيدرية، النجف.

١١٩ - النباطي . تأويل الآيات الظاهرة . جامعة المدرّسين في الحوزة العلميّة، قم .

١٢٠ - المرورايدي، الميرزا حسن علي . تنبيهات حول المبدأ والمعاد . منشورات الآستانة الرضويّة المقدّسة، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٦هـ .

١٢١ - ابن ميثم، ميثم بن علي البحراني . إختيار مصباح السالكين . مشهد الآستانة الرضويّة المقدّسة .

١٢٢ - النهاوندي، علي أكبر . العبقري الحسان في أحوال مولانا صاحب الزمان . قم، مسجد جمكران .

١٢٣ - المجلسي، محمد تقي . روضة المتقين . دار الثقافة الإسلامية .

١٢٤ - الموسوي الجزائري، السيّد نعمة الله . الأنوار النعمانية .

المحتويات

المؤلف	٥
في وجوب التمسك بالثقلين (الكتاب والعترة)	٧
استنتاجات حديث الثقلين	٩
الدلالة الأولى: أهل البيت أفضل الناس وأشرفهم بعد النبي	١٠
الدلالة الثانية: أهل البيت ملاذ الأمة	١٠
الدلالة الثالثة: عصمة أهل البيت عليهم السلام عن الذنب والخطأ ..	١٢
الدلالة الرابعة جميع القرآن لدى العترة	١٣
الدلالة الخامسة: أهل البيت: خلفاء الله ورسوله	١٣
الدلالة السادسة: أهل البيت والإمامة الإلهية	١٥
الدلالة السابعة: أهل البيت طريق الهداية الإلهية	١٥
الدلالة الثامنة: وجود العترة والقرآن معاً في كلّ زمان	١٦
من هم المعنيون بالعترة؟	١٧
الأخبار الواردة في معرفة العترة	١٧
مفاسد تفسير القرآن من دون الرجوع إلى العترة الطاهرة	٢١
وجوب الرجوع إلى العترة في تفسير آيات القرآن	٢٥
تخصيص آيات القرآن بالروايات	٣٢
القرآن وعلم غيب النبي ﷺ والإمام عليه السلام	٣٥

- ٤١ ضرورة الطاعة المطلقة للقرآن وأهل البيت عليهم السلام
- ٤٦ النبي والإمام ووجوب العمل بالظاهر
- ٥١ أهل البيت عليهم السلام والولاية التكوينية

الباب الأول

في إثبات الولاية التكوينية للنبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام

- ٥٩ الفصل الأول
- في معنى لفظة «المُلْك» وتفسير الآيات المذكورة فيها لفظة الملك وذكر
مَنْ وهب الله لهم الملك وهم يوسف الصديق وطالوت وداود وسليمان على
نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام ٥٩
- النبي يوسف والمُلْك الإلهي ٦٠
- مُلْك طالوت وقصة النبي داود ٦٠
- مقارنة بين مقام النبي سليمان عليه السلام والأئمة الأطهار عليهم السلام ٦٦
- ٧٣ الفصل الثاني
- في جهات علومهم عليهم السلام وأن عندهم جميع كتب الأنبياء ٧٣
- ٨١ الفصل الثالث
- علم النبي صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام بجميع علوم الأولين والآخرين ٨١
- ٨٣ الفصل الرابع
- أن للنبي صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام ولاية التصرف على جميع الخلق وما فرض الله
على الخلق من الطاعة لهم عليهم السلام ٨٣
- ٩٩ الفصل الخامس
- في قدرة النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام ٩٩

الفصل السادس	١٠١
في نفوذ إرادة النبي ﷺ والإمام ﷺ في صور الناس وأبدانهم	١٠١
الفصل السابع	١١٩
في إطاعة الحيوانات بأنواعها وكذلك صورها للنبي ﷺ والإمام ﷺ	١١٩
وهي كثيرة	١١٩
الفصل الثامن	١٣١
في قدرة النبي ﷺ والأئمة ﷺ على إحياء الموتى	١٣١
الفصل التاسع	١٣٩
في إطاعة الأشجار والنباتات وتكلمها مع النبي ﷺ والإمام ﷺ	١٣٩
المبحث الأول: في إطاعة الأشجار لرسول الله ﷺ	١٣٩
المبحث الثاني: في إطاعة الشجر للإمام أمير المؤمنين ﷺ وأولاده الأئمة	
الأطهار ﷺ وذكر ما ظهر من معجزاته عليه الصلاة والسلام في النباتات	١٤١
الفصل العاشر	١٥٣
في إطاعة الأرض والجمادات والجبال والأحجار للنبي ﷺ	
والأئمة ﷺ	١٥٣
الفصل الحادي عشر	١٦٣
في إطاعة السحاب والريح للنبي ﷺ والإمام ﷺ	١٦٣
الفصل الثاني عشر	١٦٩
في إطاعة الماء لهم صلوات الله عليهم وانقلابه جواهر وذهب لهم	١٦٩
الفصل الثالث عشر	١٧٥
في طاعة الملائكة للنبي ﷺ والأئمة ﷺ وافتخارهم بخدمتهم صلوات	
الله عليهم	١٧٥

الفصل الرابع عشر ١٧٩

في اطاعة الجن والشياطين للنبي ﷺ والأئمة ﷺ ١٧٩

الباب الثاني

الرد على الشبهات

الفصل الأول ١٨٣

في الرد على المستدلين بالآيات المتشابهة على نفي الولاية التكوينية

وطرح آرائهم والإجابة عليها ١٨٣

الفصل الثاني ٢١٩

في الرد على المستدلين بالروايات على نفي الولاية التكوينية ٢١٩

معاني الغلو ٢٣٩

تبصرة ٢٥٦

موارد التفويض في أمر الدين ٢٥٦

تنقسم معاجز النبي ﷺ والأئمة ﷺ إلى قسمين ٢٦١

الفصل الثالث ٢٦٥

بحث في الأدلة العقلية ٢٦٥

الأسباب المؤدية لإنكار فضائل الأئمة ﷺ ٣٠٣

الخاتمة إجابة على بعض الأمثلة ٣٠٧

مصادر التحقيق ٣٣١

المحتويات ٣٤٧